وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة واسط / كلية التربية

قسم التاريخ / الدراسات العليا

دور المؤسسة الدينية في الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥ – ١٩١١

رسالة تقدم بها :

عبد الله لفته حالف البديري

إلى مجلس كلية التربية / جامعة واسط

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في

التاريخ الحديث

بأشراف

الأستاذ الدكتور

خضير مظلوم فرحان البديري

شعبان ١٤٢٦ هـ   أيلول ٢٠٠٥م

المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	أ – ب
المقدمة	١–٧
الفصل الأول :	
المؤسسة الدينية وأثرها في تطور الأحداث الداخلية في إيران حتى عام ١٩٠٥ .	٨– ٤٨
المبحث الأول :	
المؤسسة وسياسة الاستبداد القاجارية	٩ – ٢٦
المبحث الثاني :	
المؤسسة الدينية الإيرانية في ظل التنافس البريطاني الروسي على إيران أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .	٢٧ – ٤٨
الفصل الثاني :	
اثر المؤسسة الدينية في أحداث الثورة الدستورية ١٩٠٥ – ١٩٠٧	٤٩ – ٩٥
المبحث الأول :	
اثر المؤسسة الدينية في تطور الأحداث الداخلية الإيرانية ١٩٠٥ – ١٩٠٦	٥٠ – ٧٢
المبحث الثاني :	
ردود أفعال علماء الدين في إيران تجاه الثورة الدستورية ١٩٠٦ – ١٩٠٧ .	٧٣ – ٨١
المبحث الثالث :	
موقف المؤسسة الدينية من حالة التقارب البريطاني الروسي ١٩٠٧ .	٨٢ – ٨٧
المبحث الرابع :	
علماء الدين في العراق وأثرهم في تطور أحداث الثورة الدستورية ١٩٠٥ – ١٩٠٧	٨٨ – ٩٥

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث :	
المؤسسة الدينية وقيادتها للأحداث الداخلية خلال عهد محمد علي شاه .	٩٦ – ١٤٢
المبحث الأول :	
طبيعة العلاقة بين المؤسسة الدينية ومحمد علي شاه ١٩٠٧ – ١٩٠٨	٩٧– ١٠٨
المبحث الثاني :	
اثر المؤسسة الدينية في خلع محمد علي شاه ١٩٠٩ من السلطة.	١٠٩ – ١٣٦
المبحث الثالث :	
علماء الدين في النجف وأثرهم في توجيه احداث الثورة الدستورية حتى عام ١٩٠٩ .	١٣٧ – ١٤٢
الفصل الرابع :	
المؤسسة الدينية والمرحلة الثانية من الثورة الدستورية في إيران ١٩٠٩ – ١٩١١ .	١٤٣ – ١٨٦
المبحث الأول :	
المؤسسة الدينية والتطورات الداخلية في ايران بعد انتصار الثورة .	١٤٤ – ١٦٤
المبحث الثاني :	
قضية شوستر وموقف المؤسسة الدينية .	١٦٥ – ١٨٧
المبحث الثالث :	
موقف المؤسسة الدينية من الغزو الروسي لأيران وفشل الثورة الدستورية .	١٧٩ – ١٨٦
الخاتمة	١٨٧ – ١٨٨
قائمة المصادر	١٨٩ – ٢٠٨
الملخص	٢٠٩ – ٢١١

شكــــر وتقــديــــر

لا يسـعني فـي ختـام دراسـتي الا ان اجـد مـن بـاب العرفـان بالفضـل ان انحنـي إجـلالاً وإكراماً لتقديم جزيل شكري وتقديري لاستاذي الجليل الاستاذ الدكتور خضير مظلوم فرحان البديري، الذي منحني وافر الثقة في نفسي لمواجهة الصعاب والعقبات بعد ان راودني الخوف والشك في قدرتي على المضي قدماً في طرق هذا الموضوع الصعب والشائك، الذي دفعني الى التردد في كثير من الاحيان، واجد نفسي ملزما ان اثمن وباعتزاز كبير توجيهاته السديدة، وملاحظاته الدقيقة ، التي اغنتني كثيرا وساعدتني في خوض غمار البحث العلمي، اذ كان لصبره الجميل، الذي ارتبط بروحه العلمية الوثابة ودعمه المتواصل ، الاثر الفاعل للنهوض بالرسالة الى ما استطاعت ان تبلغه من مستوى علمي يتطلع ان يحضى بالرضا والقبول . دعائي ان يمد الله بعمره ويوفقه في جليل اعماله.

واجد من حق الوفاء علي ان اعبر عن خالص شكري وامتناني الى اساتذتي الاجلاء خلال السنة التحضيرية، الذين لم يبخلوا علي بتوجيهاتهم حتى في اثناء مدة اعداد البحث، واخص بالذكر الاستاذ الدكتور كمال مظهر احمد، امد الله بعمره وابقاه ذخراً للعلم، والاستاذ الدكتور ابراهيم خلف العبيدي، نسأل الله له دوام الصحة والعافية، والاستاذ الدكتور طارق نافع الحمداني متمنياً له ايضاً كل الخير والموفقية والاستاذ الدكتور نائل حنون، والاستاذ الدكتور جعفر عبد كاظم والدكتور فاهم نعمة ادريس..

واذكر باعتزاز كبير المساعدات القيمة التي قدمها لي الاساتذة الافاضل في جامعة طهران، كلية الالهيات الاسلامية، وكلية الاداب والعلوم الانسانية واخص بالذكر دكتر ايرج تنهاتن ناصري، رئيس قسم التاريخ في كلية الاداب والعلوم الانسانية، ودكتر منصور صفت كل، مدير اجرايي في مجلة تاريخ، وعليَ ان اسجل تقديري العالي للسيد نعمت اله علي محمدي، امين مكتبة قسم التاريخ في كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة طهران ((كتاب خانة تخصص تاريخ)) لجهوده التي اسهمت بتذليل الكثير من المتاعب طوال مدة مراجعتي لجامعة طهران بما في ذلك توفير النادر من المصادر الفارسية وضيافته الكريمة، ولا يفوتني ان ادون بمزيد من الاعتزاز والتقدير امتناني لطالب الدراسات العليا، الايراني الجنسية ، من قسم التاريخ ، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة طهران، السيد محمد

شيخ احمدي، الذي كان يكتب رسالته للماجستير عن ((ثورة العشرين في العراق)) لما قدمه لي من مساعدة علمية تجعلني محملا بفضل له لا انساه ابداً ، وأذكر بتقدير عالٍ الجهود التي ابداها الزميل العزيز الاستاذ اسعد عبد الصاحب في ترجمة العديد من المصادر الفارسية، مما اجد نفسي مديناً له بفضل اكاد اعجز عن رده، كما ادون بمزيد من الاعتزاز والتقدير شكري الخالص الى الاخ العزيز علي مظلوم وعائلته الكريمة لوقوفهم الى جانبي ومدهم يد العون الخالصة لي خلال جمعي مصادر البحث ومتابعة ترجمة المصادر الفارسية في محافظة بغداد، كما اتقدم بشكري الجزيل الى زميلي صباح كريم رياح الذي لم يبخل علي باعارتي بعض المصادر الخاصة بالدراسة، فحملني فضلاً يصعب نسيانه.

كما اعبر عن شكري وتقديري لمنتسبي المكتبة المركزية في جامعة طهران، ومنتسبي مكتبة كلية الاداب والعلوم الانسانية في جامعة طهران لتسهيلهم مهمة الحصول على المصادر المطلوبة، وكذلك الموظفات العاملات في اجهزة الاستنساخ في كلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة طهران لتعاونهن السخي في استنساخ العديد من المصادر الفارسية.

كما اعبر عن شكري وتقديري لمنتسبي المكتبة المركزية، جامعة بغداد ومنتسبي المكتبة الوطنية ومكتبة كلية اللغات، قسم اللغة الفارسية، لما ابدوه لي من مساعدة في الحصول على بعض المصادر العربية والفارسية، ولا انسى ان اقدم شكري الجزيل الى منتسبي مكتبة المعهد التقني/ كوت ، وأخص بالذكر منهم الزميل حسين عليوي، مدير وحدة المكتبة، لتعاونه معي في الحصول على بعض المصادر الخاصة بالبحث، كما لايفوتني ان اقدم شكري وتقديري العالي الى كل من ساهم في تشجيعي وشد من ازري لاتمام الدراسة، وفي النهاية لايسعني الا ان اذكر بالخير والوفاء زوجتي وأولادي الذين شاركوني عناء الرحلة بصبرهم الجميل وتحملهم المشاق، مبتهلا الى العلي القدير ان يوفقني لرعايتهم، والله ولي التوفيق..

الباحث

المقدمـــة

تعد الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥ ـ ١٩١١ حدثا تأريخيا بارزا ، كان الأول من نوعه في إيران ومنطقة الشرق الأوسط ، نتيجة لما شهدته البلاد من تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية فعالة لم ينحصر مداها على إيران حسب ، بل تعدى تلك الحدود ليشمل المنطقة بأسرها ، الى الحد الذي كانت فيه هذه الثورة تمثل بداية النهاية الحقيقية للنظام القاجاري في إيران ، وعاملا مساعدا في العديد من الثورات اللاحقة التي شهدتها الدول المجاورة ، التي كانت تعاني من أنظمة استبدادية جائرة آنذاك .

أعطى تدخل المؤسسة الدينية الإيرانية في الثورة الدستورية طابعا خاصا جعل منها المحرك الأساسي لكل حدث سياسي شهدته الساحة الإيرانية طيلة فترة البحث ، وفي الوقت نفسه ميزها عن بقية الثورات التي شهدتها المنطقة بفعلها ، بطابع أتسم بالصبغة الدينية ، التي امتزجت الى حد بعيد مع التوجهات و الأفكار الليبرالية الإيرانية الجديدة ، الأمر الذي خلق قاعدة جماهيرية واسعة كان بمقدورها أن تعصف « بعرش الطاووس » باعتبارها ثورة شرعية مثلت الشعب الإيراني بأغلب فئاته الاجتماعية .

وعلى الرغم من أهمية الثورة الدستورية الإيرانية وارتباطاتها الاجتماعية ، وحجم تأثيرها على الوعي السياسي و الفكري في إيران والمناطق المجاورة ، لا سيما العراق ، فإن دراساتنا العلمية والأكاديمية ، التي تناولت تأريخ إيران الحديث والمعاصر أغفلت دور المؤسسة الدينية في قيادة الثورة وتوجيه أحداثها حتى عام ١٩١١ باستثناء بعض الدراسات الأكاديمية التي تناولت التأريخ السياسي للمؤسسة الدينية حتى عام ١٩٠٩ دون التطرق الى المرحلة الثانية من عمر الثورة الدستورية (١٩٠٩ـ ١٩١١) علما بأنها ابتعدت بقصد أو دون قصد عن الخوض في دور المؤسسة الدينية في الأحداث السياسية المهمة ، وهذا ما شجعني الى الإنفراد في الكتابة في هذا الموضوع البكر ، ضمن رؤيا واضحة لإبراز دور المؤسسة الدينية ، التي كانت ولا زالت تحتفظ بثقلها في المجتمع الإيراني ، مما كسب يكسب أهمية خاصة .

اقتضت طبيعة تطور الأحداث السياسية الإيرانية أيام الثورة الدستورية وموقف المؤسسة الدينية منها آنذاك ضرورة تقسيم محتويات الرسالة الى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .

مهد الفصل الأول منها لبدايات تحرك المؤسسة الدينية ضد سياسة الاستبداد القاجارية ، التي نالت من أمتيازات رجال هذه المؤسسة وتكرار محاولات منعهم من التدخل في شؤون البلاد السياسية ، في وقت عانت فيه إيران من انهيار اقتصادي كبير دفع حكامها الى رهن البلاد بالمزاد الأجنبي ، وإتباعهم سياسات خاطئة ألحقت أضرارا بالغة ليست بالمؤسسة الدينية الإيرانية وحدها حسب ، بل لفئات الشعب الإيراني الأخرى ، التي أبدت وبشدة تأييدها الى ما سعى أليه رجال المؤسسة الدينية ، لتستكمل بذلك أحدى الحلقات المهمة في معارضة النظام القاجاري عبرت عن نفسها وبوضوح في أزمة التبغ والتنباك عام ١٨٩٠ـ ١٨٩٢ ، التي عدت البداية الأولى لانطلاق الثورة الدستورية بعد أن تركت المؤسسة الدينية الإيرانية آنذاك بصماتها واضحة ، وبشكل جريء ، في تطور الأحداث السياسية عشية اندلاع الثورة ، ورسمت بجدية أهدافها على لوحة النضال ضد الاستبداد .

وتطرق الفصل الثاني الى دور المؤسسة الدينية في تطور الإحداث الداخلية الإيرانية (١٩٠٦ـ١٩٠٧) وقدرتها الفعالة على التعبئة الجماهيرية وبالتالي قيادتها للكثير من الاحتجاجات الشعبية المطالبة بإنهاء سياسة القمع و الاستبداد التي يمارسها حكام طهران ضد رجال تلك المؤسسة و أتباعهم ، مما أجبر السلطة الحاكمة بسرعة الاستجابة لمطاليبها ، التي توجت بافتتاح أول مجلس برلماني منتخب في تأريخ إيران الحديث عام ١٩٠٦ ، مما عد نصرا كبيرا للمؤسسة الدينية ومؤيديها ، الأمر الذي لم يثر حفيظة الرجعيين وأعداء الثورة حسب ، وإنما البعض من رجال الدين ، الذين التزموا خط الإستبداد وتصدوا بقوة لقادة الثورة وممثلي المؤسسة الدينية المؤيدين للدستور ، فضلا عن البريطانيين والروس ، الذين أدخل تصاعد المد الثوري لدى الثوار وقيادة المؤسسة لأحداث الثورة ، رعبا حقيقيا في نفوسهم دفعتهم أخيرا الى التقارب فيما بينهم للتوقيع على معاهدة مشتركة عام ١٩٠٧ ، التي أساءت الى إيران وأنهت سيادتها واستقلالها ، على الرغم من تأكيد الدولتين على حرصهما بالمحافظة على سيادة و استقلال إيران بشكل صريح في ديباجة المعاهدة ، التي

رفضت جملة وتفصيلا من لدن المؤسسة الدينية الإيرانية ، ولكن الواقع آنذاك كان يشير الى عدم قدرتها على التصادم مع كل الأطراف في آن واحد .

وعالج الفصل الثالث طبيعة العلاقة بين المؤسسة الدينية الإيرانية ومحمد علي شاه خلال فترة حفلت بتحولات مهمة كانت خطيرة من حيث أحداثها ، فمنذ البداية لم يكن هناك انسجام بين الطرفين ، لا سيما وأن محمد علي شاه أراد استخدام نفوذه لمعالجة جميع الشؤون الإيرانية ، فأنتشر المد الرجعي بشكل واضح ، وجرت محاولات حدية للتقليل من مكاسب الثورة ومحاولات ضرب المؤسسة الدينية ضربة مميتة ، ولكن هذه الإجراءات كانت أعجز من أن تضع حدا للمد الجماهيري ، الذي أدى الى تزايد نشاط خندق الثورة وتفعيل قوة المؤسسة الدينية ، الى الحد الذي تعرض الشاه نفسه الى محاولة اغتيال في شباط ١٩٠٨ نجا منها بأعجوبة ، الأمر الذي دفع محمد علي شاه الى التعنت أكثر والتمادي في إجراءاته تجاه المؤسسة الدينية والثوار ، كانت خاتمتها قصف بناية المجلس الإيراني ومن ثم حله وإنهاء العمل بالدستور ، لتبدأ مرحلة جديدة في التأريخ الإيراني بـ « الاستبداد الصغير » التي استمرت حتى تموز ١٩٠٩ ، إلا أن رد المؤسسة الدينية ومؤيديها من الدستوريين كان سريعا ، إذ لم تعد السيطرة على طهران تعني السيطرة على كل إيران في نظر الثوار ، وباتت الأقاليم الإيرانية قادرة على أن تضع حدا لاستبداد محمد علي شاه ومؤامراته ، فتمكن ثوار تبريز من السيطرة على الموقف ، واتخذت الأحداث الإيرانية شكل الحرب الأهلية في معظم مناطق إيران ، التجأ الشاه خلالها الى المناورة في أغلب الأحيان من أجل كسب الوقت لصالحه ، ولكن ذلك لم يجد نفعا أمام تصميم المؤسسة الدينية ومؤيديها بدخول طهران في أواسط تموز ١٩٠٩ وخلع محمد علي شاه وتنصيب إبنه « أحمد شاه » حاكما جديدا لإيران ، واضعا بذلك نهاية المرحلة الأولى من الثورة الدستورية .

في حين تناول الفصل الرابع المرحلة الثانية والأخيرة من الثورة الدستورية (١٩٠٩- ١٩١١) التي تمثلت بتزايد دور المؤسسة الدينية في تقرير السياستين الداخلية و الخارجية في غضون السنتين الأوليتين من حكم أحمد شاه على الأقل ، لكن مع ذلك حدث تصدع في صفوف المؤسسة الدينية الإيرانية وقادة الثورة ، الذين واجهوا مشاكل جمة تمثلت بالوضع الاقتصادي المزري والهيمنة الاستعمارية على البلاد ، والخلافات الكبيرة بين الأحزاب السياسية ، التي برزت على الساحة الإيرانية بشكل واضح ، فضلا عن ذلك

فأن البعض من قادة الثورة الليبراليين ، ومنهم البعض من رجال الدين ، بدأوا يعتقدون أن الثورة انتهت بخلع محمد علي شاه ، كما تراجعوا عن العديد من مواقفهم تجاه القوى الأجنبية ، ففي الوقت الذي كان بإمكان المؤسسة الدينية الإيرانية إثناء المد الثوري العارم عام ١٩٠٩ إسقاط النظام القاجاري ، إلا أنهم افتقروا الى الحزم في مواجهة الأنظمة لاستعمارية وقوى الرده ، إذ لم يستطع هؤلاء استيعاب حركة الجماهير الرامية الى التغيير ، وعلى الرغم من محاولة المؤسسة الدينية تخطي الواقع و التغلب على العقبات من خلال شد أزرها عن طريق الفتاوى التي كان يصدرها المجتهدون في مدينتي النجف وكربلاء العراقيتين ، إلا أن الخلافات ، وتفضيل المصالح الخاصة ظلت السمة البارزة للمرحلة الثانية ، والتي راح ضحيتها ألمع قادة الثورة ألا وهو رجل الدين المعروف المجتهد عبد الله البهبهاني ، كما أن إصرار المؤسسة الدينية للسير في طريق الثورة قدما ودفع الروس والبريطانيين أكثر فأكثر للخندق المعادي للثورة ، من خلال دعمهم للشاه المخلوع في محاولته أعادة حكمه المفقود ، ومن ثم التدخل العسكري المباشر لقمع الثورة تحت ذريعة إخراج شوستر ، الخبير الأمريكي ، الذي حاولت الحكومة الدستورية الاعتماد عليه لأيجاد مخرج لمشاكلها المالية المعقدة آنذاك ، مما أفسح المجال أمام الرجعية الإيرانية والنظام القاجاري لأن يرفعوا رؤوسهم عاليا ، إذ أصبح بالإمكان القضاء على الثورة بعد أن عمد ناصر الدولة ، الوصي على العرش الإيراني ، الى حل المجلس الإيراني في يوم ٢٤ كانون الأول ١٩١١ ، وإعلان الأحكام العرفية ، واعتقال رجال المؤسسة الدينية والدستوريين ، وبهذه الطريقة فقط تم وضع نهاية حاسمة للثورة الدستورية ، التي كان للمؤسسة الدينية الإيرانية الدور القيادي في توجيه أحداثها .

لعل أبرز الصعوبات و المعوقات التي واجهت الباحث هي ندرة الدراسات العربية في هذا المجال ، باستثناء بعض الرسائل الجامعية ، التي لا تصل في عددها الى أصابع اليد الواحدة ، والتي توقفت في أحداثها عند المرحلة الأولى من الثورة الدستورية ، أي حتى عام ١٩٠٩ ، دون التطرق الى تفاصيل دور المؤسسة الدينية في الأحداث السياسية الإيرانية ، الذي يعد من المواضيع الصعبة والشائكة والجديدة في الوقت نفسه على باحثينا ، مما شجع الباحث أيضا على طرق هذا الموضوع ، فضلا عما تعانيه مكتبتنا التأريخية من فقر مدقع في الدراسات المتخصصة في هذا الموضوع بالذات ، ناهيك عن اختفاء أغلب

المصادر الأساسية ، لا بل وحتى المساعدة منها ، العربية والأجنبية معا ، من المكتبات الرسمية بسبب الظروف الصعبة التي ألمت بالبلاد والتي كان البحث عنها دون جدوى ، ولكن لحسن الحظ وفقت بالحصول على فرصة ثمينة لزيارة جامعة طهران ، وإن كانت على حسابي الخاص ، بعد أن رفضت جامعة واسط رفضا قاطعا ، وللأسف الشديد ، المناشدات العديدة والطلبات التي قدمتها لها بتوفير هذه الفرصة وتحمل نفقات سفري دون جدوى ، إلا أنها كانت رحلة علمية بحته زاد من أهمية هدفها وغزارة حصيلتها مرافقتي لأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور خضير مظلوم فرحان ، المشرف على الدراسة ، الذي كان موفدا رسميا الى جامعة طهران ، التي أستقيت منها مع بعض المكتبات الإيرانية الأخرى جل مصادري الأساسية والأصلية ، لا سيما الفارسية ، التي شغلت الحجم الأكبر من مصادر الدراسة ، ومع ذلك شكلت ترجمتها الى اللغة العربية صعوبة بالغة بحد ذاتها ، أخذت من الوقت والجهد مأخذا كبيرا .

ولإنجاز مهمتنا المتواضعة على أفضل وجه ، حاولت الاستعانة بكل مادة علمية بالأمكان الاستفادة منها ضمن الإطار الزمني لرسالتنا ، فألفت وثائق وزارة الخارجية البريطانية (Foreign Office) المنشورة ، على الرغم من قلتها ، مصدرا أساسيا مهما أغنت الرسالة بمعلومات قيمة ، نتيجة لما احتوته من تقارير ومراسلات بريطانية في غاية الأهمية مرسلة من قبل الوزير المفوض البريطاني في طهران ، والقناصل البريطانية في المقاطعات الإيرانية الأخرى ، الى وزارة الخارجية البريطانية .

تؤلف المصادر الأجنبية ، لاسيما الفارسية ، مصادر أصيلة ومهمة ، باعتبارها مصادر لا غنى عنها لأي باحث يتصدى لدراسة دور المؤسسة الدينية في أحداث إيران السياسية ، ومنها الثورة الدستورية ، وتكمن أهميتها في أن أغلبها أستخدم لأول مرة في دراسة أكاديمية ، إذ بذل الباحث جهودا استثنائية في الحصول على هذا العدد ، الذي قلما احتوته رسالة أكاديمية اهتمت بتأريخ إيران الحديث والمعاصر ، من جامعة طهران وكلية الالهيات التابعة لجامعة طهران وبعض المكتبات الإيرانية الأخرى ، وأخص بالذكر منها مؤلفات أحمد كسروي المعنونه« تأريخ مشروطه إيران » و «تأريخ هيجده ساله أذربيجان » ومؤلفات مهدي ملكزادة المعنونة «تأريخ انقلاب مشروطيت إيران » بأجزائه السبعة ، فضلا عن مؤلف محسن بهشتي سرشت المعنون « نقش علما درسياست » التي أغنت

الرسالة بمعلومات هامة شكلت الركن الأساسي من معلوماتها ، فضلا عن أن الكتب الأجنبية الأخرى المترجمة الى اللغة الفارسية ، ومنها مؤلف جانيت أفاري ، المعنون « انقلاب مشروطة إيران ١٩٠٦ـ ١٩١١ » وكذلك مؤلف حامد الگار ، المعنون « نقش روحانيت بيشرو در جنبش مشروطيت ـ أثر علماء الدين في حركة الثورة الدستورية » الذي أحتوى على معلومات ضرورية أغنت الرسالة في فصلها الأول والثاني ، وكذلك مصادر عديدة أخرى لا مجال لذكرها

أن الاعتماد على المصادر الفارسية لم يمنع من استخدام المصادرالأنكليزية ، التي شغلت حيزا واضحا في الرسالة ، وعلى الرغم من أنها تحمل وجهات نظر أحادية في أغلبها ، إلا إنها عدت مصادر أساسية ومهمة غطت فصول الرسالة ، ومنها مؤلف E.Brown المعنون «The Persian Revolution of 1905 - ١٩٠٩» الذي أضاف للرسالة معلومات هامة سلطت الضوء على دور المؤسسة الدينية في الأحداث السياسية خلال المرحلة الأولى من الثورة الدستورية .

ولا يفوتني أن أذكر أهمية الرسائل العلمية الجامعية ، التي رفدت الرسالة بمعلومات قيمة عن المؤسسة الدينية ، وأذكر منها أطروحة الدكتوراه « المؤسسة الدينية ودورها في السياسة الإيرانية ١٨٤٨ ـ ١٩٠٩ » لباسم حمزة عباس والمقدمة الى جامعة البصرة / كلية الآداب ، وكذلك رسالة الماجستير « التأريخ السياسي للمؤسسة الدينية الإيرانية ١٥٠١ـ ١٩٠٩ » لفيصل عبدالجبار عبد علي والمقدمة الى معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية (الملغى) ، بحكم اهتمامها بالمؤسسة الدينية الإيرانية ومتابعة الأوضاع الإيرانية آنذاك .

ولا ننسى أيضا من أهمية واضحة للمصادر باللغة العربية والمعربة التي شغلت حيزا بين هوامش الرسالة ، ومنها مؤلف الأستاذ كمال مظهر أحمد ، المعنون (دراسات في تأريخ إيران الحديث و المعاصر) ومؤلف عبد العزيز سليمان نوار المعنون (تأريخ الشعوب الإسلامية) اللذان اعتمدا بشكل كبير في الفصل الأول ، إما المصادر المعربة فكان من أهمها مؤلف يرفاند أبراهيميان ، المعنون (إيران بين ثورتين) و دونالد ولبر ، (إيران ماضيها و حاضرها) فضلا عن الفائدة العلمية التي استقتها الرسالة من البحوث و الدراسات العربية و الأجنبية ، لما يكمن بين ثناياها من فائدة علمية قيمة أغنت فصول

الرسالة بالكثير من المعلومات المهمة ، لاسيما وأن أغلبها تخصص بالدراسات و البحوث الإيرانية البحتة التي شملت فترة البحث ، في حين أسهمت الدوريات الفارسية والعربية بتغطية جانبا مهما من الجوانب العلمية في الرسالة ، لاسيما تلك التي صدرت منها أيام الثورة الدستورية الإيرانية ، ومنها مجلة (الهلال) المصرية وصحيفتي (حبل المتين) و (صور أسرافيل) الإيرانيتين ، اللتين ضمتا معلومات في غاية الأهمية لمعالجة بعض الأحداث السياسية وموقف المؤسسة الدينية منها . ويؤسفني جدا أنني لم أتمكن من الحصول على بعض الدوريات الإيرانية من الجرائدوالمجلات الأخرى ، التي صدرت أيام الثورة الدستورية وأخص بالذكر صحيفتي: مجلس (روزنامة مجلس) و أختر (روزنامة أختر) ، إذ على الرغم من الجهود المضنية التي بذلتها في تشخيص وتهيئة أرقام أعداد هاتين الصحيفتين ، وأحضارهما للأستنساخ من على جهاز المايكروفيلم في المكتبة المركزية لجامعة طهران ، إلا أنني فوجئت في اليوم ، الذي وعدت خلاله بالحصول عليهما ، برفض الموظفة المسؤولة عن أرشيف الدوريات في المكتبة باستنساخ ما طلبته لأسباب قالت أنها (توجيهات رسمية) لكني لا أعلمها .

وختاما أرجوا أن يكون هذا الجهد المتواضع عملا يملأ فراغا في مكتبتنا العربية ، باعتباره إضافة علمية نتمنى أنها حققت ما كنا نطمح الى تحقيقه ، فأن أخطأت فحسبي أني لا زلت عند الخطوة الأولى في درب البحث العلمي الشاق والطويل ، وأن أصبت فالفضل لجهود ورعاية أساتذتي الأجلاء وعون الخيرين ، فلهم الشكر و الأمتنان ، كما أجد نفسي ملزما بتقديم وافر أمتناني وشكري لأعضاء لجنة المناقشة ، أساتذتي الأفاضل لما تجشموه من عناء في تصويب الرسالة بلوغا بها الى كمال الفائدة العلمية المرجوه ، وما الكمال إلا لله وحده أنه نعم المولى ونعم النصير .

الباحث

الفصل الاول

المؤسسة الدينية واثرها في تطور الاحداث الداخلية في ايران حتى عام ١٩٠٥

المبحث الاول:

المؤسسة الدينية وسياسة الاستبداد القاجارية

المبحث الثاني:

المؤسسه الدينيه الايرانيه في ظل التنافس البريطاني الروسي على ايران اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

المبحث الأول:

المؤسسة الدينية وسياسة الاستبداد القاجارية

اصبحت المؤسسة الدينية في ايران تشكل فئة مستقلة بفعل ما كانت تمتلكه من امكانيات اقتصادية هائلة ، تأتيها منذ زمن بعيد من الوقف الخاص والعام الذي لم يقتصر على الارض الزراعية وحدها ، بل امتد ليشمل قنوات الري ، والخانات و الدور والدكاكين و غيرها من الاموال غير المنقولة [١].فضلاً عن الخمس والزكاة المعروف بشكل عام . كما تميزت المؤسسة الدينية في إيران عن غيرها في باقي البلدان الإسلامية الاخرى ، إذ تبنت السلطة الزمنية الدين الذي اتخذ (اللون الاثني عشري) [٢] للدولة الفارسية التي أسسها اسماعيل الصفوي منذ عام١٥٠١ ، وذلك من أجل تحقيق عدد من الأهداف في ظل الأوضاع التي أحاطت بظهور تلك الدولة التي تجاورها الإمبراطورية العثمانية القوية ذات المذهب السني ، فأعطت الدولة الصفوية دعماً قوياً للشيعة ، إذ اعتمد ملوكها على فقهاء الشيعة و علمائهم في إدارة شؤون الدولة ، و كان لعدد كبير من المجتهدين تأثيراً و نفوذ مهم في سياستها [٣] . فأعطاها ذلك القدرة في أن تكون مؤثرة ضمن إطارها الذاتي أو ضمن ما إنعكس لها من دور في حدود الساحة الإيرانية وتفاعلها مع معظم المفردات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وبذلك استطاع علماء الدين تأكيد سيطرتهم حتى على الشاه نفسه بحيث لم يعد قادراً على ان يفرض أو يؤكد قوته[٤]

---

(١) كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، منشورات اليقظة العربية ، بغداد ، ١٩٨٥ ص ١٨٤

(٢) في عهد الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠١ – ١٥٣٤ م) اصبح المذهب الجعفري عقيدة الدولة الرسمية ، وجعل الاعتراف بالامامة الشرعية مقرونة بالسلطة السياسية للدولة جاعلاً بذلك نفسه ممثلاً للإمام الغائب ، مزيد من التفاصيل ، يراجع ، عبد الله النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، بيروت ، ١٩٦٦، ٣٨٩

(٣) علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج ٣ ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص ٣٠

(٤) باسم حمزة عباس ، المؤسسة الدينية ودورها في السياسة الايرانية ١٨٤٨- ١٩٠٩ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب جامعة البصرة ، ١٩٩٨ ، ص ٢٣

كما تعززت هذه الاستقلالية بفعل ان رجالات هذه المؤسسة ما كانوا يأخذون الرواتب من خزينة الدولة ، الامر الذي جعل منهم فئة مستقلة عن الشاه والسلطة الى حد كبير[١]. وفي الوقت نفسه قريبين كل القرب من عامة الناس وعلى الاقل السواد الاعظم منهم ، فهم يهتمون في كل ناحية من نواحي الحياة البشرية ، من ادق التفاصيل في الطهارة الى اعظم القضايا السياسية[٢] وبذلك اصبحت المؤسسة الدينية على رأس الهرم بأعتبار ان الاسرة الصفوية وبتفويض من رجال الدين هي حاملة لواء (آل البيت) وحكامها ينوبون عن الامام الغائب في ادارة شؤون المسلمين ، ومن هنا اكتسبت المؤسسة الدينية امتيازاتها التي اخذت تدافع عنها ، بعد انحلال الدولة الصفوية وسقوطها عام ١٧٢٢م ، وبكل ما اوتيت من قوة .. ومنذ ذلك التاريخ ظلت المؤسسة الدينية ترى في نفسها السلطة الشرعية التي يجب ان تدير شؤون البلاد وفيما عدا ذلك فهو غير شرعي ، وبذلك تركت بافكارها وطقوسها بصمات واضحة على فئة من الافراد والجماعات في ايران ، فخلقت طبقة من الناس المتزمتين في معتقداتهم الدينية [٣] كل ذلك جعل السلطة تنظر الى امكانياتها الاقتصادية الهائلة ونفوذها الواسع بعين من الغيرة والحسد ، في الوقت الذي كانت فيه خزينتها تعاني عجزاً شديد وتحتاج الى كل ريال لتثبيت دعائمها[٤]

ويمكن اعتبار العهد القاجاري بما حمله من ضعف وتردي في الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،البداية الواضحة لصراع المؤسسة الدينية مع السلطة الزمنية ،ذلك لأختلاف المصالح والمواقف السياسية[٥] فقد اعلن بعض رجال الدين منذ بداية تشكيل الحكومة القاجارية بإنها حكومة غاصبة ، لذلك ابتعدوا عن التعاون معها[٦]. في الوقت الذي كانوا فيه يتدخلون لمنع ظلمها للشعب ، فقد اعتبر بعض رجال الدين هذا التدخل ضروري

---

(١) كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران ايران الحديث والمعاصر ، ص ١٨٥

(٢) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ٨١

(٣) فيصل عبد الجبار عبد علي ، التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في ايران ١٥٠١-١٩٠٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، ١٩٨٨، ص ١٢٠

(٤) كمال مظهر احمد ، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ١٨٧

(٥) مهدي بزركان ، الحد الفاصل بين الدين والسياسة ، ترجمة فاضل رسول ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٣٠

(٦) عبد الهادي حائري ، تشيع ومشروطيت در ايران ونقش ايرانيات مقيم عراقي ، انتشارات امير كبير ، تهران ، ١٣٨١ ، ص ٧٦

لمصلحة الشعب ، وبداية كانت العلاقة بين المؤسسة الدينية والسلطة القاجارية حذرة جداً، ففي الوقت الذي حاولت فيه المؤسسة الدينية الاحتفاظ بنفوذها وامتيازاتها،جهد الملوك القاجاريون سحب جزء من هذه الامتيازات التي كان يتمتع بها رجال المؤسسة الدينية ايام الصفويين ، من خلال تلقب شاهاتهم بلقب (ظل الله في الأرض) لتقوية نفوذهم في السلطة السياسية [١] ولمعرفة الملوك القاجاريين المسبقة بقوة ونفوذ رجال الدين،فقد حاول بعضهم إبداء تودده وتقربه منهم،كما فعل آغا محمد خان (١٧٩٤-١٧٩٧) مؤسس الدولة القاجارية ،الذي اصدر أوامره بتشييد القبة الذهبية وسوَّر مرقد الامام علي (ع) في النجف ، فضلاً عن تذهيبه قباب كربلاء ، وإرسال رفات أسلافه لتدفن مرة اخرى في العتبات المقدسة في العراق ، محاولاً بذلك إبداء اهتمامه واعطاء دور ديني كبير لهذه العتبات.[٢] غير أن قصر فترة حكمه وانشغاله بتثبيت اركان دولته لم يعطي مجالاً لتوضيح علاقاته المستقبليةمع المؤسسة الدينية ،التي توضحت وبشكل جلي في عهد خليفته فتح علي شاه (١٧٩٧-١٨٣٤م) الذي تميز عهده بكثرة حروبه مع الروس والتي تطلبت التعبئة الجماهيرية الواسعة لمواجهة الخصم، وبناءً على ذلك سعى فتح علي شاه الى ربط نفسه بعلاقات طيبة مع كبار علماء الدين في العاصمة طهران ، كالميرزا أبو القاسم قمي ، وسيد مهدي بحر العلوم ، والملا علي نوري ،والحاج محمد ابراهيم كلبايسي، فضلاً عن توجيه اهتمامه بالمراقد وبناء المساجدوالمدارس الدينية[٣] فقام هؤلاء العلماء وغيرهم بمساعدته من خلال الايمان الديني للجماهير، والذي مكنهم من زج هذه الجماهير الى ساحة القتال ضد الاستعمار الروسي ، الا أن نفوذ الاجانب المتزايد في البلاط الإيراني ، وابتعاد السلطة عن الجماهير لم يؤدي الى ان ينتقل العلماء ورجال الدين الى الخندق المقابل فحسب،بل ويقودون الشعب ضد الحكومة[٤] الا أن ما ترتب على حروب فتح علي شاه ضد روسيا من نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية كان وخيماً بالنسبة لإيران[٥]. فضلاً عن عقدها بشكل خاص معاهدات مخزية حملت العديد من الامتيازات الاجنبيةكمعاهدتي

---

(١) باسم حمزة عباس ، المصدر السابق، ص٣٢

(٢) محمد حسن اعتماد السلطة ، كتاب منتظم ناصري يا تاريخ قاجارية ، جلدسوم، بلاد تهران، ١٣٤٠ ، ص٤٥

(٣) Hamid Algar , Religion and State in Iran ,1785-1906 , California , 1969 , P.43.

(٤) يعقوب آجند ، قيام تنياكو ، انتشارات امير كبير ،تهران ،١٣٦٧،ص٧٣

(٥) كمال مظهر احمد،دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص٧٧

كلستان(١٨١٣) وتركمانجاي(١٨٢٨) [١].ومما زاد في آثار الحرب وبنود المعاهدات، ان حكومة الشاه لجأت الى فرض ضرائب ورسوم جديدة على الشعب أثقلت وبشكل كبير كاهل الفرد الإيراني ، وفي الوقت نفسه ، أوجدت لروسيا موطئ قدم في الاراضي الايرانية، بل انها حولت إيران الى سوق لتصريف البضاعة الروسية ، لاسيما بعد تحديد الرسوم الكمركية بخمسة بالمائة فقط ، اضافة الى اعفائها من الرسوم الداخلية في إيران[٢].كما انها جاءت بعلاقات خارجية من نمط جديد، لا سيما بين إيران وبريطانيا، اذ كانت الفرصة مؤاتية امام البريطانيين لاستغلال الآثار السلبية التي تركتها هاتين المعاهدتين[٣] وعلى اثرها تمكنت بريطانيا منذ البداية من ان تعقد معاهدة تجارية عام ١٨١٤، كانت مشابهة بامتيازاتها لمعاهدة كلستان ١٨١٣ ، ثم تبعتها بعد حين بمعاهدة اخرى مع ايران عام ١٨٤١ حصلت بموجبها على امتيازات كبيرة[٤]

وهكذا مهدت هذه المعاهدات والاتفاقيات الطريق امام التغلغل الاجنبي في ايران ، الذي اخذ يزداد بشكل كبير خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فقد ادت الاندحارات العسكرية الى تنازلات دبلوماسية وتلك ادت الى منح امتيازات تجارية التي مهدت الطريق الى التغلغل الاقتصادي وبالتالي الى تقويض الصناعات اليدوية ، مما ادى الى فقر اصحاب هذه الصناعات وهجرتها الى البلدان المجاورة ، لا سيما روسيا [٥].

---

(١) خاضت إيران حربين مدمرتين مع روسيا امتدت الاولى من (١٨٠٤-١٨١٣) انتهت بعقدها معاهدة كلستان١٨١٣ ، والثانية امتدت من (١٨٢٦-١٨٢٨) وانتهت بعقد معاهدة تركمانجاي عام ١٨٢٨- لمزيد من التفاصيل عن ذلك يراجع كمال مظهر احمد ، من تاريخ الحروب الإيرانية-الروسية ، مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ،١٩٨٤.

(٢) مزيد من التفاصيل ، يراجع جهانكيز ميرزا ، تاريخ نو شامل حوادث دورة قاجارية از سال ١٢٤٠ ثا ١٢٦٧، تهران ،١٣٢٧، ص١٥٥-١٧٠

(٣) خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانية تجاه ايران ١٨٩٦ – ١٩١٩ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ايلول ، ١٩٩١ ، ص ٣٧

(٤) فوزي خلف شويل ، ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٥ ، ص ٣٥

(٥) يرفاند ابراهيميان ، ايران بيت ثورتين ، ترجمة مديرية التطوير القتالي ، ١٩٨٦، ص ٦٧-٦٨

ومن هنا يبدو واضحاً ان فتح علي شاه لم يستطيع التوفيق بين سياسة الاستبداد ومهادنة علماء الدين ، الامر الذي ادى في النهاية الى قيام بعض رجال الدين في قيادة عدد من الثورات في مناطق مختلفة من ايران ، فقد ثار علماء خراسان ضد ولي عهده محمد ميرزا ، الابن الاكبر للشاه وحاكم المقاطعة ، وعندما حاصرتهم القوات الحكومية ارسل رجال الدين في بخارى النجدة الى الثوار ، غير ان احد علماء الدين الكبار في مشهد عمل لصالح الشاه واستطاع ان يفرق الثائرين[١]. كما قامت تمردات ومظاهرات واسعة في اصفهان ضد الحكم القاجاري ، غير ان فتح علي شاه استطاع تحويل نقمة الشعب وما تمر به البلاد من ضنك العيش وقلة الموارد نحو الحكومات الروسية ، فاندفعت الجماهير الغاضبة يتقدمهم عدد من رجال الدين نحو السفارة الروسية فحدثت مذبحة كبيرة لأعضاء السفارة الروسية ، كان من بين ضحاياها (غريبويدوف) الذي تسميه دائرة المعارف الروسية السوفيتية الكبرى (الكاتب الدرامي) والشاعر الروسي العظيم والدبلوماسي البارز[٢] .

اخذ الصراع يزداد بين المؤسسة الدينية وملوك آل قاجار كلما ابدوا تجاهلهم لرجال الدين وزادوا تطرفاً في سياستهم الاستبدادية ، فقد تجددت الفوضى والاضطرابات في اصفهان بعد وفاة فتح علي شاه وبداية حكم محمد شاه (١٨٣٤- ١٨٤٨م) ، حيث اعلن حسين ميرزا ، احد افراد العائلة المالكة ، نفسه شاهاً في مدينة شيراز ، فأيده في ذلك بعض رجال الدين وفي مقدمتهم المجتهد محمد باقر شفتي احد كبار علماء الدين في اصفهان،غير ان محمد شاه تدارك الموقف واستطاع كسب ود العلماء في زيارة سريعة قام بها الى اصفهان [٣]. كما بعث امين الدولة ، الصدر الاعظم ، رسالة الى علماء اصفهان تضمنت تذكيرهم بأواصر الود والاحترام التي شملهم بها الشاه والمكانة المتميزة التي حظوا بها في عهده اذ طلب منهم ايقاف هذه الحركة وانهاء الاضطرابات ، ورداً على هذه الرسالة ، ادعى كل من السيد محمد باقر شفتي ، والسيد محمد مهدي ، امام جمعة اصفهان ، بأنهما لم

---

(١) باسم حمزة عباس المصدر السابق ، ص ٤٥

(٢) لمزيد من التفاصيل ، يراجع ، كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، ص ٧٧-٨٣

(٣) H.Algar,op,cit ,pp,108-110.

يحرضا على نشر الفوضى والاضطرابات ، بل على العكس من ذلك حاولا كبح جماح المتظاهرين وتوجيه ضربة الى حاكم المدينة المتعاون مع حسين ميرزا [١].

ويبدو ان ذلك لم يكن الا تمويها منهما ، فأن تردي الاحوال الاقتصادية وعبء الضرائب التعسفية التي اخذت تنهش في عموم الشعب الايراني ، دفعت السيد محمد باقر شفتي والسيد محمد مهدي مع عدد اخر من رجال الدين في المدينة الى قيادة تمرد ضد خسروي خان ، حاكم المدينة الجديد ، الذي عارض تدخل العلماء في شؤون الدولة رافضاً مطاليبهم بمرعاة البعض من الناس غير القادرين على دفع الضرائب المفروضة عليهم ، الامر الذي دفع الحكومة الى ارسال فروخ خان ، احد كبار تجار طهران ، للتوسط بين الحكومة وعلماء الدين الذين اصروا على طرد خسروي خان وحلول نروخ خان محله ، فاضطرت الحكومة الى قبول مطاليبهم[٢]. وفي مدينة خراسان اعلن حسن خان سالار ، ابن اصف الدولة حاكم المدينة ، وبتأييد علماء الدين في المدينة ، الثورة على الحكومة ، الا ان انتفاضته فشلت بعد ان قمعت بقوة من قبل الدولة[٣] .

وفي الوقت الذي بدأت فيه مقاومة رجال الدين تشتد ضد الحكام القاجاريين لتزايد تسلطهم على رقاب الناس وانغماسهم في ملذاتهم ، حاول هؤلاء الحكام من جانبهم الحد من امتيازات رجال الدين وذلك باختزال القضايا في محاكم الشرع[٤] ، للتقليل من قوتهم[٥]. مما دفع هذا الامر آغا محمد محلاتي ، احد كبار رجال الدين في قم ، الى قيادة ثورة في مدينته ضد الحكم القاجاري ، الا ان فشل ثورته ادى الى نفيه الى الهند ، مع تراجع الدولة عن قرارها[٦] .

أما بالنسبة للشعب الإيراني فقد عانى الامرين خلال العهد القاجاري ، تمثل بتسلط شاهاته واستبدادهم ، وغزو السلعة الاجنبية لسوقهم الى الحد الذي أدى الى إفلاسهم

---

(١) محمد تقي سبهر (لسان الملك) ، ناسخ التواريخ ، جلد اول ، نهران، ص ٤٣٠

(٢) H.Algar,op,cit ,pp,111-112.

(٣) عبد الله مستوفي ، تارخي اداري واجتماعي دورة قاجاريا شرح زندكاني مان ، جلد اول ،انتشارات اقبال ، تهران ، ١٣٢١، ص ٦٥-٦٦

(٤) هي محاكم دينية يديرها ويشرف عليها رجال الدين .

(٥) باسم حمزة عباس ، المصدر السابق ، ص٥٣

(٦) P. Sykes ,Thousand Miles in Persia ,Vol . 2 , London ,1902 ,P.336

واغلاق محالهم ، فلم يبق للإيرانيين امام الرأسمال الاجنبي سوى ان يكونوا تجاراً أو وسطاء للمؤسسات الاجنبية[١].

ومن جانب آخر كانت سلطات الشاه لاحدود لها فكلمته هي العليا ومشيئته قانون لايرد ، وكانت أقدار رعاياه بين يديه ان شاء قتل وان شاء عزل ، وكان يتصرف بثروات وبخزائن الدولة كيفما جمحت به الرغبة ومال به الهوى[٢] ولم يستطع احد الوقوف بوجه هؤلاء الحكام الطغاة ،حيث لاتزال السلطة قوية وما كانت تبديه من احترام وتقدير لرجال الدين محفوف بالهيبة والخوف من كل ما لا يرضيهم او يتعارض مع مصالحهم ، وعلى الرغم من ذلك كان رجال الدين يعارضون النظام السياسي واقطابه الذين لم يجدوا بداً من مهادنتهم في الظروف الاعتيادية ، لكن متى ما كان هذا التهديد يستهدف نظام الحكم او الشاه نفسه ، اتخذت اجراءات تنفيذية ضدهم كالنفي مثلاً[٣].

وفي الوقت الذي كان فيه الشاه وحاشيته ينعمون بحياة مرفهة ، كانت طبقات الشعب الايراني تتعرض الى ابشع انواع الظلم والاستبداد لا سيما الطبقات الفقيرة التي تحملت العبء الاكبر من الضرائب المجحفة التي كان يفرضها النظام الاستبدادي لتغطية نفقاته الشخصية ، فاضافت الى فقرهم فقراً وزادت من تعاسةاوضاعهم[٤]. فضلاً عن التجار ،الشريحة الاجتماعية الاساسية في المجتمع الإيراني ، التي تحملت اعباء الضرائب المضاعفة ، ناهيك عن انهم كانوا قد حرموا نهائياً من تلك الامتيازات التي يتمتع بها اقرانهم الاجانب، فعلى سبيل المثال ان التاجر الاجنبي كان يدفع الضريبة مرة واحدة على بضاعته التي تقطع البلاد من الشمال الى الجنوب ، في حين كان التاجر الايراني يقوم بدفع الضريبةفي كل نقطة عبور بين المقاطعات الإيرانية لتصل الى اربعة عشر مرة اضعاف ما كان يفرض على التاجر الاجنبي[٥] ولا ننسى نقطة مهمة ان قطاع الطرق المنتشرين بكثرة في إيران ، لطالما تعرضوا لقوافل التجار الإيرانيين ، وعلى العكس تماماً من قوافل التجار الاجانب التي قلما يتعرضون لها ، وهذا كان عاملاً مهماً قد يدفع البعض من التجار

---

(١) فيصل عبد الجبار عبد علي ، المصدر السابق ،ص١٤٣

(٢) طلال مجذوب ، إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ١٩٠٦- ١٩٧٩، دار الرشد للطباعة والنشر ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص١٥

(٣) يونس مرواريد ، از مشروطة تا جمهوري ، جلد اول ، جاب اول ، تهران ، ١٣٧٧، ص ٢٥

(٤) طلال مجذوب ،المصدر السابق ، ص١٦

(٥) كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، ص١٠٤

الإيرانيين انذاك الى المساومة بكثير مما لديهم من الوطنية والكرامة ليطلبوا الحماية البريطانية او الروسية من اجل ان يكسب لقمة عيشه[١].

ان هذه الشريحة الاجتماعية الواسعة والمؤثرة فعلاً في الاحداث السياسية في إيران تعد مصدر التمويل الاساسي للمؤسسة الدينية من خلال ما تمنحه من هدايا وهبات لرجال الدين وما توقفه على مساجدهم ومدارسهم من اوقاف وما يصل اليهم من هؤلاء من الخمس والصدقات[٢] وبالمقابل لا يخفى علا أحد ان رجال الدين يعدون القاعدة الاساسية التي يعتمد عليها هؤلاء التجار في دعمهم ومعارضتهم للسلطةفي إيران ، وهذا يجعل ارتباط الشريحتين الاجتماعيتين ارتباطاً وثيقاً بعضهما بالبعض الاخر الى الحد الذي يصعب فيه عملية فصل السوق او البازار عن المسجد في العديد من الاحداث السياسية والتطورات الداخلية[٣] . وهذا ما يدعو رجال الدين بان ينظروا الى السلطة في إيران بانها تدور في حلقة من الفساد والانحلال ، بما يوحي بانها تقترب من هاوية السقوط الكامل في خندق الاجنبي[٤].

لقد كان لسياسة الاستبداد التي مارسها الحكام القاجاريون دور مهم في اثارة المؤسسة لاسيما في عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦م) الذي حاول جاهداً تهميش دورهم وتقليص نفوذهم من خلال صدره الأعظم محمد تقي خان[٥] ، الذي اتخذ جملة

---

(١) يرفاند ابراهيميان ، المصدر السابق ، ص٧٦

(٢) امال السبكي ، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين ١٩٠٦-١٩٧٩،دار المعارف الكويتية ، بلا ،ص١.

(٣) سعيد زاهد ، تحليل ديكراز انقلاب مشروطة ، إيران ، في كتاب نهضة مشروطيت إيران ، جلد اول ، جاب اول ، مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران، تهران ،١٣٧٨ ، ص١٢٧

(٤) فيصل عبد الجبار عبد علي ، المصدر السابق ، ص١٤٥

(٥) هو محمد تقي خان فرهاني الملقب بامير كبير ، ولد عام ١٨٠٧في مدينة "هزاوة "،كان والده يعمل طباخاً في بيت قائم مقام ، صدر أعظم محمد شاه انذاك ، عمل محمد تقي خان في البلاط القاجاري ، وكان يؤدي خدماته بدقة وذكاء ، كما كان له دور مهم في معاهدة ارضروم الثانية لعام١٨٤٧ التي عقدت بين إيران والدولة العثمانية ، وفي اثناء وجوده هناك اعجب بحركة الاصلاح العثمانية التي شملت عدداً من مرافق الدولة ، وفي عام ١٨٤٨ اصبح صدراً ، عظم لدى ناصر الدين شاه فحاول وضع برنامج لأصلاح البلاد ، غير ان محاولاته الاصلاحية دفعت اعوان الشاه الذين تضررت مصالحهم الى الوشاية به ، فعزل عن منصبه في ٢١ تشرين الثاني ١٨٥١ وأبعد الى كاشان ، ثم القي القبض عليه وتم اعدامه لأستمرار الوشاية ضده ، لمزيد من التفاصيل ، يراجع ، فريدون ادميت ، امير كبير وايران ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٣٤، ص ١٠-١٥.

اجراءات بهذا الخصوص منها منع حق منح اللجوء الـ (به ست)[١] والحد من اقامة التعازي الدرامية ايام محرم وصفر،والاشراف على المحاكم الشرعية[٢]. فضلاً عن تدخله في تعيين وعزل إمام جمعة طهران[٣].مستخدماًفي ذلك القوة ضدهم[٤]. الا ان محاولاته لم تفلح في الحد من نفوذهم ،لان رجال الدين في نظر غالبية المجتمع الايراني كانوا يؤلفون فئة وطنية حقيقية ويمثلون في كثير من الاحيان مطامح الشعب ووجهة نظره ، فقد استطاعوا اكثر من مرة ان يدرأوا عن الشعب جور الحكام[٥] .

ورداً على هذه السياسات القمعية اخذ رجال الدين يستغلون المناسبات العديدة كالتعازي الدينية[٦]، لتوجيه الراي العام واقناع الناس بعدم جواز ولاية الحاكم الظالم[٧]. كما ان استفحال حالة الفساد الاداري في عهد ناصر الدين شاه وخلفاءه وإشاعة الرشوة والمحسوبية بين حاشية البلاط الإيراني حتى أصغر موظف في الدولة ، خلق حالة من الفوضى في مؤسسات الدولة الرسمية وضياع حقوق الاخرين ،فقد روي ان ناصر الدين شاه كان لايتردد في مصادرة اموال الاموات حتى مع وجود ورثة لهم[٨] . ناهيك عن الجرائم البشعة التي كانت ترتكب بحق الشعوب الايرانية[٩]. وهذا ما أفقد الحكام القاجاريين القاعدة الشعبية التي كان يجب عليهم الارتكاز عليها ، مما مهد السبيل لظهور الكثير من الحركات التي اتخذت طابعاً دينياً تارة وسياسياً تارةً أُخرى .

---

(١) عرف ايراني يعطي الحماية لكل الاشخاص الخارجين على القانون والمعارضين للسلطة عند لجوئهم الى المساجد والى دور كبار رجال الدين دون ان تتخذ السلطة أي اجراءات بحقهم= والوصول اليهم ، وقد اتسع ايام الثورة الدستورية ١٩٠٥- ١٩١١ ليشمل السفارات ايضاً ، مزيد من المعلومات ، انظر ،ادوارد سابيليه ، إيران مستودع البارود ، سلسلة الدراسات المترجمة ، بغداد ، ١٩٨١، ص٣٣

(٢) عباس اقيال ، ميرزا تقي خان امير كبير ، تهران ،١٣٤٠ ، ص١٦٣

(٣) محمد حسن خان ، اعتماد السلطة ، كتاب منتظم ناصري با تاريخ قاجارية جلدسوم ،ص١٤٢

(٤) شن حملة من الاعتقالات التي طالت عدد من المجتهدين مثل الميرزا حجي باقر ، شيخ الاسلام ، الميرزا علي اصفر وغيرهم ،انظر ، فيصل عبد الجبار عبد علي ، المصدر السابق ، ص١٢٨

(٥) علي الوردي ،المصدر السابق ، ص٨١

(٦) مراسيم دينية خاصة كان يمارسها رجال الدين في إيران في العديد من المناسبات

(٧) يونس مرواريد، از مشروطةتا جمهوري ، ص٣٦

(٨) يوسف هادي ، منهج التحريض السياسي عند الافغاني - دراسة لدوره في اغتيال ناصر الدين شاه ، بحث منشور على الانترنيت ، ص١٩

(٩) لمزيد من المعلومات ، انظر ، المصدر نفسه ، ص٩ - ١٨

كانت الحركة البابية[١] ، اولى الحركات التي اتخذت طابعاً دينياً وسياسياً فيما بعد ، بقيادة السيد علي محمد الشيرازي[٢].

لاقت حركة الشيرازي قبولاً كبيراً بين المجتمع الايراني لا سيما في بدايتها ، فقد كان الناس تشدهم رغبة كبيرة نحو التغيير والخروج من واقعهم المزري ، ولذا فقد التحقت اعداد كبيرة من هؤلاء بالشيرازي [٣].

وبما ان هذه الحركة قد خرجت عن تعاليم الاسلام وشرائعه السمحاء لذا فقد وقف رجال الدين ضد مبادئها وعدوها خروجاً على الدين الاسلامي ، واعلنوا ان كل من يعتنق دعوة الباب هو كافر[٤].

وفي الوقت الذي استطاع فيه الباب ان يؤثر على مجموعة من رجال الدين وجذبهم الى دعوته[٥] واصل علماء الدين مقاومتهم للباب من اجل دحض حركته واعتباره مرتداً ، فاشتركوا في مناظرة عقدوها في مسجد الوكيل بشيراز[٦] وفي نهاية المناظرة كتب حسين

---

(١) هي الحركة التي اعلنها السيد علي محمد الشيرازي عام ١٨٤٣م ، وقد شكلت اهمية واضحة في تاريخ إيران السياسي الحديث بحيث أثرت على مسار الحركة الفكرية في انحاء المنطقة ، تركزت هذه الحركة اساساً على ان مؤسسها هو الباب الذي من خلاله تصل شكاوى الناس الى المهدي المنتظر (عج) ، ثم زعم انه المهدي نفسه الذي سيملأ الارض عدلاً بعد ان ملئت جورا. ومما لا شك فيه ان جوهر العقيدة المذهبية الشيعية التي تتضمن ترقب ظهور المهدي والتي يتعلق = بها الفرس ، والشوق العظيم واللهفة التي تشدهم الى ذلك اليوم الموعود ، هو احد الدواعي الرئيسية لانسجام هذه الافكار هناك ، فضلا عن انبهارهم الشخصي بقادتها . لمزيد من التفاصيل يراجع H.Algar,op,ci +,pp,137 – 138محمد زرندي ، مطالع الانوار، مصر ،١٩٤٠ ، ص١٢١

(٢) ولد علي محمد الشيرازي ١٨١٩م من عائلة معروفة بالسادة الحسينية ، توفي والده وهو لايزال طفلاً فكفله خاله الحاج ميرسيد علي التاجر الشيرازي، تنقل سعياً وراء التجارة ولكنه كان ميالاً الى الرياضيات الذهنية الشاقة ، وبعد اعلانه دعوته مال اليه الناس الذين كانوا يعانون الجهل والفقر وظلم السلطة المستبدة ، فضلاً عن عدد من رجال الدين ، اعتقل من قبل الدولة لفترة من الزمن ثم أُعدم عام ١٨٥٠، لمزيد من المعلومات ، يراجع،دونالد ولير ، إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين ، القاهرة ، ١٩٥٨، ص٩٨ ؛ سهراب يزداني ، كسروي وتاريخ مشروطة إيران ، جاب أول ، انتشارات ني ، تهران ، ١٣٧٦، ص١١٩

(٣) J.Davidson Fram, phaimin persia, the moslim world, vol,Iv,1914,p.23

(٤) سهراب يزداني ، كسروي وتاريخ مشروطة ، ايران ، ص ١٢١

(٥) كان من بينهم علي اكبر تافروش ، ملا محمد صادق شيرازي ، ملا علي بافروش وغيرهم ، انظر ، رضا قلي خان هدايت ، روضة الصفا ي ناصري ، جلد اول ، تهران ، ١٣٠٤ ، ص ٣١٢

(٦) محمد حسن خان اعتماد السلطنة ، منتظم ناصري يا تاريخ قاجارية ، جلد سوم ، ص ١٨٢

خان ، حاكم شيراز والذي أدار المناظرة ، تفاصيلها الى محمد شاه ، موضحاً ان الباب كان ضعيفاً في الرد على مجمل الاسئلة التي وجهها العلماء اليه(١).

وفي مدينة تبريز ، وتلبية لرغبة علمائها ، تم احضار علي محمد الشيرازي من شيراز الى هناك ، حيث استجوب من قبل الشيخ محمد مامقاني ، زعيم الشيخية ، وبحضور محمد نظام ، وميرزا علي اشكار ، شيخ الاسلام ، وميرزا احمد مجتهد ، امام جمعة تبريز ، والحاج مرتضى مرندي ، كما حضر جلسة الاستجواب ناصر الدين ميرزا ، حاكم المدينة وولي العهد ، وقد تنوعت الاسئلة التي طرحت على الباب ، تعلقت باللغة العربية وتراكيبها ، واهمية القانون الشرعي ، والطبيعة البشرية ، وعلامات ظهور المهدي الغائب(٢) فكانت اجاباته ايضاً ضعيفة وغير دقيقة وتحمل في كثير من جوانبها المساس بالشرع والدين ، لذا اصروا على معاقبته(٣).

اما بالنسبة لموقف الحكومة تجاه حركة الباب ، فقد تميز بالمرونة وعدم اتخاذ قرار حاسم ضدها لا سيما في عهد محمد شاه ، فقد اكتفت الحكومة بفرض الاقامة الجبرية على علي محمد الشيرازي في شيراز مع السماح لأتباعه الاتصال به(٤). كما ان الحاج ميرزا اغاسي ، الصدر الاعظم ، كان يطمح الى استغلال الحكومة الايرانية لتلك الاحداث في صراعها مع المؤسسة الدينية ، بأطلاقه العنان لهذه الحركة لأشغال رجال الدين بأمور جانبية بعيداً عن سياسة الدولة ، لذا فقد اصدر اوامره الى حاكم شيراز بإنهاء اية مناقشات او اجراءات تتخذ ضد محمد الباب(٥) .

كما ان حكام الاقاليم الفارسية لم يبالوا بما كان يبثه الباب من تعاليم ، بل على العكس من ذلك فقد ايد بعضهم دعوته(٦) الامر الذي اثار علماء الدين وجعلهم يطلبون من الدولة اتخاذ قرار حاسم بشأن دعوة الباب والقضاء عليها نهائياً ، وقد كانت صرخات رجال الدين تلاقي قبولاً كبيراً من قبل الرأي العام(٧). كما اعتلى بعضهم المنابر الدينية مخاطباً الدولة

---

(١) باسم حمزة عباس ، المصدر السابق ، ص ٦٤

(٢) رضا قلي خان هدايت ، روضة الصفاي ناصري ، ص ٤٢٣

(٣) Edward Brown , Aliterary History , vol, 2 , Cambridge , 1924,p,27.

(٤) رضا قلي خان هدايت ، روضة الصفاي ناصري ، جلد اول ، ص٣١١

(٥) باسم حمزة عباس ، المصدر السابق ، ص ٦٢

(٦) رضا قلي خان هدايت ، روضة الصفاي ناصري ، جلد اول ، ص٣١١

(٧) عبد الرزاق الحسني ، البابيون والبهائيون ، ط ٥ ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٥٠

والمجتمع الايراني ، بأن من اقوى دعائم المذهب الاثني عشري غيبوبة الامام الثاني عشر ، (فأما ان ننبذ مذهبنا الجعفري وننكر احاديثنا او ان نعد محو الباب وحركته فريضة)[١] .

وبعد ظهور عدة عوامل ، ساعدت في نهاية المطاف في القضاء على مؤسس الحركة واعدامه عام ١٨٥٠ وتشتيت اتباعه من قبل الدولة[٢].

ان الحركة البابية لم تنته بأعدام مؤسسها بل استمرت تحت اسم جديد[٣] . لكن مع ذلك فقد ادت هذه الحركات دوراً مهماً في تهيئة الظروف امام المؤسسة الدينية ، التي اعطتها تلك التطورات دافعاً قوياً للتدخل في السياسة وشؤون الدولة ، على الرغم من كل حالات الاستبداد والدكتاتورية التي كان يستخدمها شاهات ايران[٤].

ومن الجدير بالذكر ان السياسة الاستبدادية التي كانت تمارس من قبل كل شاهات ايران آنذاك لم تنعكس على الايرانيين من اصل فارسي فحسب ، بل شملت كذلك الشعوب غير الفارسية ، كالعرب والاذربيجانيون والبلوش والارمن والاكراد ، لذلك لم يكن غريباً ان يخرج مناضلي تلك الشعوب وممن يتمتعون بنفوذ ديني ودنيوي بشكل خاص بانتفاضات واسعة ، ولعل خير نموذج على ذلك انتفاضة الاكراد التي عبرت في الحقيقة عن ذروة الاستياء الكردي من حكم القاجار المتخلف واخص بالذكر انتفاضة الشيخ عبيد الله بن طه الشمزيني عام ١٨٨٠ التي امتدت اثارها من بحيرة وان الى منطقة ارومية وخيوى ومهاباد

---

(١) مقتبس من : محب الدين الخطيب ، دراسات عن البابية والبهائية ، المكتب الاسلامي ، مطبعة شعاركو ، عين الرمان ، ١٣٩١ ، ص١٨-١٩

(٢) كان من بينها قيام اتباع الباب بعدة حوادث مسلحة في مدن ايرانية مختلفة . وكانت موجهة ضد الدولة والمؤسسة الدينية على حد سواء ، كما ان وصول ناصر الدين شاه الى عرش ايران كان= من الامور التي ساعدت على ذلك لمزيد من التفاصيل ، يراجع ، عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ص٣٩- ٥٠

(٣) انقسم البابيون الى فريقين اولهما نادى بخلافة اخيه الميرزا يحيى نور الملقب بـ (صبح الازل) وعرفوا (بالازلية) وثانيهما نادى باخيه الاخر الميرزا حسين علي الملقب بـ (بهاء الله) وعرفوا (بالبهائية) الذي عدد نفسه بالمنتظر .. ، وفي الوقت الذي ادت فيه هذه الحركات دوراً مهماً في مواجهة الحالة الاستبدادية للسلطة الى الحد الذي نفذ فيه البهائيون محاولة لأغتيال رأس السلطة ناصر الدين شاه ، الا انها باءت بالفشل ، الامر الذي لم يكن امام السلطة القاجارية سوى اتخاذ الاجراءات القمعية ضدهم ، فقامت بنفي قادتهم وبعض اتباعهم الى الدولة العثمانية التي اسكنت الاخوين وبعض اتباعهما في بغداد ١٨٥٣، وبذلك لم يحقق رجال الدين البابيين والبهائيين من رغبتهم في التخلص من حالة الاستبداد والظلم والجور الذي كانت تمارسه السلطة الحاكمة مزيد من التفاصيل ، يراجع ، دونالدولبر ، المصدر السابق ، ص ٩٩ ، عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ص ٦٩-٧٠.

(٤) انظر ، H.Algar,op,cit,pp,122-128.

واردلان والتي كان الشيخ عبيد الله يتمتع فيها بنفوذ واسع ، وعلى الرغم من فشل هذه الانتفاضة الا انها مثلت دليلاً دامغاً على رفض الظلم القاجاري وحالة الاستبداد المقيتة التي مارسها شاهات آل قاجار ، فضلاً عن انها كانت الشرارة التي اضرمت النار في هشيم الحكم القاجاري عن طريق الحركات او الثورات اللاحقة[١].

لم يكن دور المنابر الدينية التي اعتلاها رجال الدين من الخطباء والوعاض والمصلحين اقل تأثيراً من الحركات المسلحة في مواجهة ومقاومة النظام الاستبدادي في ايران ، بل انها هي التي هيأت الاذهان وايقضت الشعوب الايرانية من غفوتها التي دامت سنوات طوال ، فبثت فيها ارادت العمل للتغيير.

ولعل من اهم الذين احدثوا تأثيراً هاماً في هذا المضمار هو السيد "جمال الدين الافغاني " [٢] الذي تميز برجاحة عقله واسلوبه ، وقد اكدت اغلب مقالاته وخطبه على الحاكم الواحد وحالات الاستبداد التي يمارسها الحكام الطغاة وانعكاساتها على المجتمع الاسلامي ، ففي مقالة له في مجلة (العروة الوثقى)[٣] لخص فيها وبدقة الاثار التي تترتب على الاعمال التي يقوم بها الطغاة عندما اشار الى ان الأمة التي ليس لها في شؤونها حل ولا عقد ، ولا تستشار في مصالحها ولا اثر لارادتها في منافعها العمومية ، انما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام ، يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، فتلك امه لا تثبت على حال واحد ، ولا يضبط لها سير ، فأذا كان حاكمها جاهلاً سيء الطبع ، اسقط الامة الى

---

(١) لمزيد من التفاصيل يراجع ، كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، ص ٢٣٦ وما بعدها .

(٢) جمال الدين الافغاني صفدر ، ولد عام ١٨٣٩ في مدينة اسد اباد قرب همدان الايرانية ، اكمل تعليمه في قزوين وطهران ثم سافر الى افغانستان ثم الى الهند وهو في سن الثامنة عشر ، وقد التبس الامر لدى الذين كتبوا عن جمال الدين عندما اكدوا انه افغاني الاصل ، ولكن في الحقيقة ان الكثير من المصادر المختلفة اكدت على انه ايراني الاصل ، فضلا عن مظفر الدين شاه (١٨٩٦-١٩٠٧) ، شاه ايران ، بعث بوثيقة في بداية تسلمه العرش سلمت الى الحكومة العثمانية عن طريق سفيره في الدولة العثمانية آنذاك علاء الملك ، اثبتت بالادلة الدامغة ان جمال الدين من اصل ايراني ، كما ان جمال الدين نفسه اعترف صراحة لناصر الدين شاه اثناء مقابلته الخاصة له عندما ذكر له رداً على سؤال طرح من قبل الشاه بهذا الخصوص ، اذ قال جمال الدين (نعم انني ايراني اسد ابادي) لمزيد من التفاصيل يراجع ، ابراهيم صفائي ، رهبران مشروطة ، انتشارات جاويدان ، تهـــران ، ١٣٦٤، ص١١- ١٢

(٣) كانت تصدر في باريس ، وقد صدر العدد الاول منها في ١١ أذار ١٨٨٤ ، ثم احتجبت عن الظهور بسبب محاربة الانكليز لها ، وكان ما صدر منها ثمانية عشر عددا ، كان رئيس تحريرها السيد محمد عبده وقد مثلت هذه المجلة فكر جمال الدين الافغاني ، انظر ، ابراهيم صفائي ، وهران مشروطة ، ص١٥-١٧

مهاوي الخسران وجلب عليها الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل وفتح باباً للعدوان ، فيتغلب القوي على حقوق الضعيف ويختل النظام وتفسد الاخلاق وتخفض الكلمة ويغلب اليأس ، وعند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها واراد الله بها خيرا، اجتمع اهل الرأي وارباب الهمة من افرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة)[١].

ويبدو واضحاً من هذه المقالة انها كانت موجهة ضد ناصر الدين شاه ، فقد اتضح نشاط الافغاني في فترة حكمه الذي دام نصف قرن تقريباً ، وكان النفوذ الاجنبي في ايران على اشده ، كما كانت الحالة الاقتصادية بالغة السوء ، ولم يهتم ناصر الدين شاه باصلاح الاوضاع في بلاده قدر اهتمامه برحلاته وملذاته ومصالحه الخاصة ، في الوقت الذي غابت فيه الوطنية وصحوة الضمير من رجال دولته بما تحقق لهم من جاه وثراء ، فأخذوا يتقربون له بانواع من النفاق والدجل[٢] ويبدو ان جمال الدين الافغاني قد ضاق بالحياة في فرنسا ولم يجد ثمة ما يدعوه الى البقاء فيها ، وبينما كان يتأهب لمغادرة اوربا ، تلقى برقية من ناصر الدين شاه يدعوه فيها بالتوجه الى بلاده ، فأتجه الافغاني نحو ايران عام ١٨٨٥م [٣] وفي اول لقاء له مع الشاه بعد مجيئه الى ايران ، ابدى الشاه ترحيبه به معبراً عن سروره بلقاءه وقبول دعوته وتجشمه متاعب السفر ، فرد عليه الافغاني رداً يدل على ثباته وقوة شخصيته (استطيع ان افخر بنفسي ان ارى عاهل ايران قد استيقض من سباته العميق واخذ يفكر في تعمير البلاد ورقيها) فتوجس منه الشاه خيفة وانصرف بعد ذلك عنه[٤] غير ان الافغاني كان اكبر من ان تغريه لقاءات الاباطرة والملوك كناصر الدين شاه ، فاخذ الافغاني ينتقد الاوضاع المغلوطة ويشير بصراحة الى ان خراب وذل وشقاء الايرانيين التعساء تعود الى الذات السلطانية نفسها[٥] فأخذ القلق يعصف بقلب الشاه ويساوره الخوف

---

(١) هاني عبد الوهاب المرعشلي ، التجديد في الفكر الاسلامي المعاصر – جمال الدين الافغاني وقضايا المجتمع الاسلامي ، دار المعرفة الاسلامية ، الاسكندرية ، بلا ، ص ١١٥-١١٦

(٢) ميرزا لطف الله خان ، جمال الدين الاسد ابادي المعروف بالافغاني ، ترجمة عبد النعيم حسنين ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص١٩

(٣) محمد سعيد عبد المجيد ، مذاهب وشخصيات – نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغاني ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، بلا ، ص٧٣

(٤) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ٩٥

(٥) ميرزا لطف الله خان ، المصدر السابق ، ص ٩٥

من الافغاني الذي ادرك هو الاخر بوضوح عدم الرضا عنه ، فطلب الافغاني من الشاه ان يأذن له بالخروج من ايران قبل ان يشتد الامر ، فأذن له وغادر الافغاني هذه البلاد متوجها نحو روسيا[١] وبعد اربع سنوات ، التقى ناصر الدين شاه ، اثناء رحلته الثالثة الى اوربا عام ١٨٩٩ بجمال الدين الافغاني في مدينة ميونخ ، وهناك جرى حديث بينهما انتهى بدعوة الافغاني الى ايران مجدداً[٢].

بعد عودته الى طهران بدأ جمال الدين الافغاني ممارسة نشاطه السياسي من خلال نشره الافكار الثورية ذات الطبيعة الدينية – السياسية بين المجتمع الايراني مما اثار غضب الشاه ، الذي قام بالضغط عليه ومضايقته ، وهذا ما دفعه للألتجاء الى مسجد عبد العظيم جنوب ايران للأحتماء به ، ومن هناك اكد على مبدأ " حق الثورة " عن طريق لقاءاته المتكررة مع زوار مسجد عبد العظيم ، الذين تحولوا الى ناقمين على الحكومة الايرانية[٣] . وفي الوقت نفسه اعطت الخطب النارية ، التي كان يلقيها الافغاني هناك ، ردود فعل جماهيرية واضحة كادت ان تثير اضطرابات صاخبة قد تمتد الى اغلب المقاطعات الايرانية لولا الاجراءات القمعية المعهودة التي استخدمت من قبل ازلام النظام القاجاري انذاك ضد كل من اتبع جمال الدين الافغاني ، الذي ابعد هو الاخر الى البصرة في العراق خوفاً من حدوث ما لا تحمد عقباه في طهران من جراء احاديثه وخطبه مع الناس[٤] .

استقر الافغاني في البصرة نحو سبعة اشهر ، وخلال مدة اقامته فيها التقى عدداً من علماء الدين الايرانيين الذين ابعدوا عن ايران بسبب مواقفهم السياسية المضادة للشاه ، فتعهدوا جميعاً بمقاومة الفساد في ايران ، فضلاً عن قيامه بالقاء الخطب الثورية في المجالس والمنتديات الدينية[٥].

---

(١) محمد سعيد عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص ٧٣

(٢) يوسف هادي ، المصدر السابق ، ص ٢٠

(٣) Edward.J.lazzerini,Sayyid Jamal ad-Din al-Fghani from the perspective of a Russion Musllm , London,1980-p, 60

(٤) ميرزا لطف الله خان ، المصدر السابق ، ص ١٠٩

(٥) مصطفى عقيل ، سياسة ايران في الخليج العربي في عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦) ، قطر / ١٩٨٧، ص٧٠

وصادف وجوده في البصرة ان منح الشاه امتيازات مهمة الى الانكليز والروس ، التي سيأتي ذكرها فيما بعد ، الامر الذي اثار غضبه بالشكل الذي دفعه الى ان يكتب رسالة الى الميرزا محمد حسن الشيرازي[١] في سامراء ، اوضح له فيها ما يجري في ايران من مآسٍ واستلاب لثروات البلاد ، مضيفاً الى ذلك قوله " ما هذا الكسل والخمول ؟ الا يوجد من يصم راحة يده ويوجه ضربة الى الاجنبي[٢] وفي رسالة اخرى وجهها الى المجتهد الشيرازي ، دعاه فيها الى اسقاط الشاه ، الامر الذي شجع جميع العلماء الذين بدأوا يرفعون اصواتهم عالياً بخلع الشاه[٣].

واصل الافغاني نضاله ضد ناصر الدين شاه وحكمه الاستبدادي ، فبعد ان غادر البصرة سراً ، نتيجة المحاولات التي بذلها الشاه لألقاء القبض عليه ، وهناك في لندن اتخذ من صحيفتي "القانون" [٤] و "ضياء الخافقين" [٥] منبراً جديداً لمهاجمة الشاه وحكمه

---

(١) ولد في مدينة شيراز في ٢٥ نيسان ١٨١٥ ، واتم دروسه الاولية فيها ، وحين بلغ الثامنة عشرة من عمره سافر الى اصفهان لمواصلة دراسته فيها ، وفي عام ١٨٤٣ هاجر الى النجف الاشرف ليحضر دروس المجتهدين الكبار فيها ، وينال مرتبة الاجتهاد ، كان الميرزا الشيرازي على صلة وثيقة بالشيخ مرتضى الانصاري ، المرجع الاعلى في العراق منذ بداية هجرته الى النجف ، كما ان الانصاري كان معجبا به مفضلا اياه على الكثير من تلامذته ، كما كان يكن له احتراما كبيراً ، وبعد وفاة الشيخ الانصاري في ١٨٦٤م توزعت المرجعية بين اربعة مجتهدين كبار كان الشيرازي اولهم ، ولم يحل عام ١٨٧٤م حتى اصبح الشيرازي اكثر المجتهدين مرجعية وارفعهم مكانة ، وفي شهر ايلول من ذلك العام سافر الى سامراء واستقر فيها حتى وفاته في ٢٠ شباط ١٨٩٥ عن عمر تجاوز الثمانون سنة ، لمزيد من التفاصيل ، يراجع ، آغا بزرك الطهراني ، الميرزا ، الميرزا الشيرازي ، انتشارات وزارت ارشاد الامي ، تهران ، ١٣٤٣، ص٢٠؛ العقيقي البخشايشي ، كفاح علماء الاسلام في القرن العشرين ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص٩- ١٠ .

(٢) خضير مظلوم فرحان البديري ، ازمة امتياز التبغ والتنبال في ايران ١٨٩٠- ١٨٩٢ (دراسات في التاريخ والاثار) (مجلة) ، جمعية المؤرخين الاثاريين في العراق ، بغداد ، العدد الثامن ، ٢٠٠٢ ، ص ١٨ .

(٣) N.R.Keddi,Religion and Rebellion in Iran the tobacco protest of 1891-1909, London, 1966,p,35.

(٤) صحيفة اسلامية اصدرها مالكوم خان في لندن عام ١٨٩٠ ، وقد صدر العدد الاول منها في ٢٠ شباط ١٨٩٠، وكانت تصل الى ايران بصورة سرية وبوسائل متعددة ، لمزيد من التفاصيل ، يراجع E. Brown , the persian Revolution of 1905 -1909 , London, 1966,p,35

(٥) صحيفة شهرية اشترك في تأسيسها جمال الدين الافغاني ، وكان ينشر من خلالها مقالاته مترجمة الى اللغة العربية ، انظر Edward Brown, The Persian Revolution , p.15.

الاستبدادي ، فقد كتب في صحيفة ضياء الخافقين مقالاً فضح فيه سوء الحالة الاقتصادية في ايران واصفاً اياها " بان الخراب يبسط ظله عليها فأهلها يسكنون من فقرهم دوراً حقيرة بينما يقسو الحاكمون فيها على رعاياها ، والحكم فيها لا يسير على اساس القانون او العقل وانما مرجعه القهر والسيف ، مما اضطر اهلها الى الهجرة شمالاً وجنوباً ، ومن بقي فيها يخضع لحكم الارهاب والفوضى والضرائب الباهظة[١] .

وقد كانت لحملاته هذه ابلغ الاثر في نفس ناصر الدين شاه الذي اضطر ، بعد ان اعيته الحيل في استرضاء الافغاني واسكاته ، ان يكتب الى السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) يرجوه فيها استدعاء الافغاني ، ليجعله تحت مراقبته دفعاً لشره[٢].

وهذا ما حدث فعلاً اذ استقر في استانبول ، لكنه لم يبتعد عن مهاجمة ناصر الدين الشاه وسلطته الاستبدادية عبر مجلة "اختر" التي كانت تصدر باللغة الفارسية في استانبول[٣].

وبعد محاولات ناصر الدين شاه لاسكات الافغاني ، مرة باغرائه بالمال واخرى بالجاه ، الاان ذلك لم ينفع .

ويبدو ان محاولاته جاءت بعد فوات الاوان ، فقد اصر مريدوا الافغاني على اجتثاث شجرة الظلم من جذورها كما كان يريد الافغاني ، حيث تم اغتيال ناصر الدين شاه على يد احدهم المدعو الميرزا محمد رضا الكرماني في الاول من ايار عام ١٨٩٦ عندما كان الشاه يزور مرقد " شاه عبد العظيم " احتفالا بالعيد الخمسيني لحكمه حسب التقويم القمري،فاطلق الكرماني عليه الرصاص وهو يصيح " خذها من جمال الدين "[٤]. منهياً بذلك حياة اطول شاهات القاجاريين حكماً واكثرهم استبداداً.

ولعل من المهم ان نذكر هنا احدى مقولات الكرماني مبرراً قتله للشاه اذ يقول " اخرجوا قليلاً من إيران ، وانظروا لاعداد الإيرانيين الهاربين من بلادهم ، ففي عراق العرب والقفقاس وعشق اباد واراضي روسيا الاف مؤلفة من الإيرانيين المساكين الذين تركوا

---

(١) محمد سعيد عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص ٧٩

(٢) العقيقي البخشايشي ، المصدر السابق ، ص ٦٧

(٣) عبد القادر المغربي ، جمال الدين الافغاني ، القاهرة ، ١٩٤٨ ،ص٣٥

(٤) Mangol Bayat . Philipp , Mirza Aqa khan kirmani – Anineteenth century Persian Nationalist , London ,1980 , pp , 69-79 .

وطنهم العزيز هرباً من الظلم والتعسف ، وامتهنوا أتعس المهن ، فحينما ترى خادماً او حمالاً او كناساً فهو ايراني ، لقد فرقوا الرعية شذراً مذر .... ، والناس يعلمون ذلك بالتفصيل ، ولكنهم لا يجرأون على اعلانه ، والان وقد قدر لي ان اتحمل الامر ، فأزحت بعملي حملاً ثقيلاً عن كاهل الناس وهم يترقبون ما يقدمه الجديد لهم من عدل ورأفة ومودة ، وهل سيجبّر ما انكسر من القلوب؟..."[1].

واذا كان الافغاني قد استطاع ايصال صوته الرافض للظلم والاستبداد القاجاري من خلال ما كتبه في الصحف الخارجية فأن علماء الدين كان لهم دور فاعلاً في مقاومة الاستبداد القاجاري من جهة وتلاعب الاجنبي بمقدرات البلاد من خلال منحهم الامتيازات من جهة أخرى ، وقد مثل ذلك المواجهة الحقيقية بين الشعب الذي تقوده المؤسسة الدينية وبين المؤسسة التي تمثلها الدولة ، لا سيما وان الصراعات بين الجانبين كان مسألة متكررة في تاريخ القاجار .

---

(1) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري إيرانيان ، انتشارات بيكان ، جلد اول ، جاب دوم ، تهران ، ١٣٢٤ ، ص٩٥

المبحث الثاني:

ألمؤسسه الدينية الايرانيه في ظل التنافس البريطاني الروسي على ايران اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

تعد الفترة القاجارية (١٧٩٦- ١٩٢٥) من الفترات المهمة في تاريخ ايران الحديث ، حيث واجهت خلالها اندفاع الدول الكبرى ورغبتها في التوسع ا لاستعماري نحوها وزيادة نفوذها وضمان مصالحها وكان لروسيا وبريطانيا الباع الطويل في هذا المضمار ، بحكم عوامل عديدة منها الجغرافية والسوقية والسياسية[١].

فمنذ السنوات الاولى من القرن التاسع عشر دخلت ايران في حسابات بريطانيا كدولة حاجزة بين روسيا القيصرية ، صاحبة الاطماع التقليدية في المنطقة ، وممتلكاتها في الشرق الاوسط وخاصة الهند ، ولذلك اصبحت ايران طيلة النصف الاول من القرن التاسع عشر مسرحاً للاحداث العسكرية ، لا سيما من جانب روسيا القيصرية ، ترتبت عليها نتائج وخيمة بالنسبة لأيران ، ثم اختتمت ايران تلك الفترة بأخر حرب لها مع بريطانيا (١٨٥٦-١٨٥٧) التي استمرت لعدة اشهر انتهت بتوقيع معاهدة باريس في ٤ مايس ١٨٥٧ [٢] واعتراف ناصر الدين شاه باستقلال هرات وقد وضعت هذه المعاهدة بريطانيا على قدم المساواة مع روسيا ، فيما يتعلق بالسيطرة على الشؤون الايرانية[٣].

وهكذا استقبلت ايران النصف الثاني من القرن المذكور وهي محطمة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، في الوقت الذي شهدت فيه تغلغلاً استعمارياً من نوع جديد تمثل

(١) خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦-١٩١٩ ، ص٩٣

(٢) جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، بلا ، ص ١٣٤

(٣) بزهان جازاني ، مدخل الى التاريخ المعاصر ، مركز البحوث والمعلومات ، سلسلة الكتب المترجمة ، بلا ، ص ١٩

بالضغوط البريطانية والروسية للحصول على الامتيازات واستثمار رؤوس الاموال الفائضة ، فارسى المستعمرون صيدهم للاميتيازات فيما وراء البحار ، في الوقت الذي كان فيه ناصر الدين شاه بحاجة ماسة للأموال عن طريق المستثمرين الاجانب ، لتغطية نفقاته الخاصة[١].

وصل التنافس بين البريطانيين والروس اوجه في عهد ناصر الدين شاه للحصول على الامتيازات ونهب ثروات واموال البلاد . فقد افتتحت فترة صيد الامتيازات عام ١٨٧٢ ، عندما منح ناصر الدين شاه لاحد الرعايا البريطانيين المدعو (جوليوس دي رويتر)[٢]منابع الثروة في إيران على طبق من الاخلاص[٣].

وقد تضمن هذا الامتياز الذي كانت مدته ٧٠ عاماً ، تأسيس طريق سكة الحديد بين رشت وتهران وحتى الخليج العربي ، فضلاً عن استخراج كل المعادن باستثناء الذهب والفضة والاحجار الكريمة، والاستفادة من كل الغابات في اية منطقة كانت ، وشق القنوات وصناعة السدود وغيرها [٤]، وقد كتب اللورد كيرزون ، السياسي الانكليزي المعروف ، حول هذا الامتياز قوله " ان هذا الامتياز العظيم وغير المسبوق هو في الحقيقة تنازل من قبل إيران ، ويجب الاعتراف بان بريطانيا لو تمكنت من اكمال هذه اللعبة الى نهايتها ، لاصبح باستطاعتها قتل الشاه على غرار لعبة الشطرنج ، وايضا يصبح بامكانها تقييد قيصر الروس وايقافه عند حده[٥].

وقد كان للميرزا حسن خان ، الذي تولى منصب الصدارة العظمى عام ١٨٧١ ، دوراً مهماً في التأثير على الشاه بقبول هذا الامتياز والترحيب به لأعتقاده ان الامتياز سوف

---

(١) يرفاند ابراهيميان ، المصدر السابق ، ص٧٠

(٢) يهودي الاصل ، ولد في مدينة نيو كاسل الغربية عام ١٨١٦ ، سافر الى بلدان اوربية عديدة حتى حل به المطاف اخيراً في بريطانيا عام ١٨٥١ وفيها عمل في حقل الاخبار ، وبعد تحسن اوضاعه المالية اخذ ينشر الاخبار في صحيفة رويترز ، فاكتسب شهرته منها ، للمزيد ، يراجع ، ابراهيم تيموري ، عصر بيخبري يا تاريخ امتيازات در إيران ، تهران ، ١٣٣٢ ، ص٩٧ – ١٠١

(٣) خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانيا تجاه إيران ١٨٩٦ – ١٩١٩ ، ص٥٨

(٤) لمزيد من التفاصيل راجع ، خان ملك ساساني ، دست بنهان سياست انكليس در إيران ، انتشارات بابك ، تهران ، ١٣٦٢ ، ص٥٧ - ٦٥

(٥) G.N. Curzon ,Persia and the Persian Question ,Vol ,1, Second Impression , London , 1966 , pp , 180 –181 .

يجعل من ايران دولة متحضرة على غرار الدول الاوربية ، وان البارون رويتر في نيته اقامة مرافق خدمية جديدة لأيران ، فضلاً عن استعداده الكامل لتحمل نفقات سفرات الشاه التي يروم القيام بها[1] . وتلك فقرة مهمة بالنسبة لناصر الدين شاه ، بما عرف عن ولعه وحبه للحياة الاوربية.

ومن جانب اخر اولى الانكليز الموجودين في ايران اهتماماً كبيراً من اجل حماية الحكومة الايرانية لشركة رويتر ، التي كان مركزها في لندن ، فكان على الحكومة الايرانية ان توفر لها اليد العاملة الرخيصة ، فضلاً عن اعفائها من الضرائب ، مقابل تعهد رويتر بدفع ٦٠% من جميع واردات كمارك ايران[2] .

لقد نظرت الحكومة الايرانية الى هذا الامتياز على انه فرصة كبيرة يمكن من خلالها معالجة التدهور الاقتصادي الذي كانت تشهده ايران آنذاك ، ولذلك تمت موافقتها عليه في ٢٥ تموز ١٨٧٢[3].

وبعد عقد الامتياز والتوقيع عليه طلب رويتر من الحكومة البريطانية الموافقة على مشروعه وحمايته فيما اذا حدث خلاف بينه وبين الحكومة الايرانية او اية جهة اخرى لأنه كان يدرك تماماً ان الروس سوف يثيرون عليه المشاكل التي تعرقل مشروعه ، لا سيما فيما يتعلق بمد سكة الحديد حتى بحر قزوين[4] غير ان الحكومة البريطانية لم تكن مستعدة للتدخل في هذه الاتفاقيات الحرة ، لكونها امور غير سياسية[5] . فضلاً عن ان بريطانيا كانت تتبع سياسة (العزلة المجيدة) التي تنطوي على عدم التدخل في معمعة المشاكل الاوربية.

وبعد هذا التنازل من قبل الشاه وصدره الاعظم ، الذي كان قد حصل على المزيد من الرشاوى من قبل رويتر ، تمكن مع الشاه من السفر الى اوربا عن طريق روسيا في حزيران عام ١٨٧٣ ، الا انهما واجها اعتراض الحكومة الروسية الشديد على ذلك التعهد

---

(1) ابراهيم تيموري ، عصر بيخبري يا تاريخ امتيازات در ايران ، ص ١٠٣

(2) خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦-١٩١٩ ، ص٦١

(3) ابراهيم تيموري ، عصر بيخبري يا تاريخ امتيازات در ايران ، ص ١١٢

(4) بيتر اوري ، تاريخ معاصر ايران از تأسيس تا انقراض سلسلة قاجارية ، ترجمة محمد رفيعي مهرابادي ، جاب سوم ، مؤسسة انتشارات عطايي ، تهران ، ١٣٧٣، ص١٧١

(5) خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦-١٩١٩ ، ص ٦٢

الذي يجعل ثروات ايران بيد الانكليز من خلال احد رعاياهم[1]. ونتيجة لذلك ولتسهيل عملية السفر ، وعد الشاه الروس بمنحهم امتيازات مماثلة والغاء امتياز رويتر[2] وفي الوقت نفسه اعتبرت بريطانيا اتفاقية رويتر غير عملية وغير قابلة للتنفيذ بالمستوى الكافي والمطلوب ، بسبب المنافسة الروسية ، ولذلك عملوا على استثمار نتائجها سياسياً من خلال عقد اتفاق مستقل مع الروس لحفظ الامن على حدود الهند ، اسفرت عن عقد اتفاقية (كرانفيل – كور جاكوف) في شباط ١٨٧٣ ، التي نصت على تعهد روسيا بأخراج افغانستان من دائرة عملياتها في اسيا الوسطى مع الاقرار بحقوق الطرفين ان تكون محفوظة هناك[3] .

لم تكن المؤسسة الدينية بمعزل عن هذه الاحداث ، فقد تميز موقفها بالمعارضة الشديدة لهذا الامتياز ، ولم تقف مطاليبهم عند الغائه فحسب ، بل طالب رجال الدين بأقصاء ميرزا حسين خان عن منصبه ، لتعاونه مع الانكليز وتسهيله مهمة قبول الامتياز[4]، وقد تصدر المعارض في مدينة شيراز المجتهد علي اكبر كني[5] ، الذي بعث برسالة شديدة اللهجة الى الشاه في ١٦، ايلول ١٨٧٣ ، اوضح من خلالها بأن منح الامتيازات الى الاجانب سيجلب على البلاد المصائب والفوضى واصفاً اولئك الذين مهدوا لتحقيق ذلك بالخونة[6]. فكان رد الشاه على ذلك أن اصدر اوامره الى حاكم المدينة بالقاء القبض عليه ونفيه الى البصرة[7] ، بحجة ان تلك الامور ليست من اختصاص رجال الدين[1] ، الامر الذي

---

(١) اغا بزرك الطهراني ، الميرزا الشيرازي ، ص ٢٣٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣١

(٣) خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦-١٩١٩ ، ص٦٣

(٤) بيتراوري ، تاريخ معاصر ايران ، ص١٧٠

(٥) ولد في قرية كنا غربي ايران عام ١٨٠٢ ، وبعد اتمام تحصيله الابتدائي توجه نحو العتبات المقدسة في العراق ، فدرس على يد سيد ابراهيم الموسوي القزويني ، والشيخ محمد حسن النجفي ، وبعد ان نال درجة الاجتهاد عاد الى ايران عام ١٨٢٩ ليستقر في مدينة شيراز ، توفي عن عمر تجاوز السادسة والثمانون سنة ، انظر ، ابراهيم تيموري عصر بيخبري يا تاريخ امتيازات در ايران ، ص ١٢٣

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٦

(٧) لم يعد الا بعد الغاء الامتياز

قاد الى تحرك علماء الدين في مختلف المدن الايرانية ، ففي مدينة تبريز اعلن المجتهدين الميرزا حاج باقر مجتهد والميرزا علي اصغر المعروف بشيخ الاسلام تبريزي ، ان الحكومة التي لا تحافظ على استقلال البلاد وحماية ثرواتها ، ولا تعترف بعلمائها ، فأنها لا تمت الى الدين الاسلامي ، وعليه فانها حكومة غير شرعية[٢] وفي الوقت ذاته بعث الميرزا علي اصفر تحذيراً الى الشاه ، تضمن التهديد باستخدام السلاح فيما اذا اصر الشاه بمنح ثروات البلاد الى الاجانب[٣] وفي العاصمة طهران تضامن التجار مع رجال الدين في قيادة المظاهرات ورفض الامتياز ، فيما اعلن رجال الدين عدم شرعية الامتياز واصفين اياه بأنه سرقة لحقوق الشعب[٤] كما استغل علماء الدين فرصة منح هذا الامتياز لأثارة الشرائح الاجتماعية الاخرى ضد سياسة الحكومة القاجارية التي سلمت موارد البلاد الى الاجنبي ، من خلال الضرب على الوتر الحساس لدى الجماهير الايرانية الا وهي العاطفة الدينية مؤكدين لهم ان مد سكة رويتر لا تبتعد كثيرا عن مسجد شاه عبد العظيم ، فكان هذا الموضوع كافياً لأن يزيد من اعتقاد الايرانيين البسطاء بأن الاجانب سوف يقومون بتدنيس المسجد المقدس[٥]. الامر الذي كان ينذر بحدوث ثورة شعبية عارمة بقيادة رجال الدين ضد الشاه ونظامه السياسي ، غير ان الشاه تدارك الامر قبل استفحاله ، فأقال حسين خان من منصبه ، ومن ثم الغى الامتياز في ١١ تشرين الثاني ١٨٧٣ بعد ايجاد بعض الامور الفنية والقانونية المخالفة للعقد[٦] .

وهكذا طويت صفحة الامتياز بتأثير الموقف المعارض لرجال المؤسسة الدينية ، فضلاً عن عوامل اخرى كان من بينها معارضة الحكومة الروسية للامتياز.

---

(١) رحيم نيكبخت ميركوهي ، نقش روحانيت در تحولات سياسي واجتماعي اذربيجان – في كتاب نهضة مشروطيت ايران ، جلد اول ، جاب اول ، مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران ، تهران ، ١٣٧٨، ص٣٨٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨١

(٣) حامد الكار ، نقش روحانيت بيشرو در جنبش مشروطيت ، ترجمة ابو القاسم سري ،جاب دوم انتشارات توس ، تهران ، ١٣٥٩، ص ١٨٥-١٨٦

(٤) رحيم نيكبخت ميركوهي ، نقش روحانيت در تحولات سياسي واجتماعي اذربيجان ، ص ٣٨٢

(٥) H.Algar, op,cit,p,175

(٦) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ١٩٠٦- ١٩١١ ، ترجمة رضا رضائي ، جاب اول ، انتشارات بيستون ، تهران ، ١٣٧٨، ص٥١

وعلى الرغم من الغاء امتياز رويتر الا ان ذلك لا يعني ابداً ان البريطانيين قد تخلوا عن طموحاتهم في الحصول على امتيازات جديدة لاحكام سيطرتهم على ثروات البلاد . فقد حاول البريطانيون تعويض امتياز رويتر بامتيازات جديدة في ايران ، لذا جدد البريطانيون مطالبتهم[1] بمنحهم امتياز حرية الملاحة في نهر الكارون لعام ١٨٨٨ عندما استلم السر هنري دروموند وولف (H.D.wolf) لمهام منصب الوزير المفوض البريطاني في طهران والذي تزامن وجوده في ايران مع صدارة الميرزا علي اصغر خان امين السلطان (١٨٨٥-١٨٦٩) الذي عرف عنه بروابطه الصميمية مع البريطانيين ، لا سيما في السنوات الخمس الاولى من صدارته ، فضلاً عن علاقاته المتينة بالمفوض البريطاني وولف[2]. وبعد محادثات بين امين السلطان و وولف ارسل الاخير مذكرة الى الشاه في ١٨ أيلول ١٨٨٨ اشار فيها الى ضرورة اطمئنان الشاه من ان الملاحة في نهر الكارون ستكون ملاحة تجارية عالمية ، وستقوم بيطانيا بتسهيل امر الذهاب والاياب بين المناطق ، لذا فأن بريطانيا تأمل من الحكومة الايرانية ان تفي بالوعود التي قطعتها بشأن الملاحة في الكارون[3].

ولرغبة الشاه في كسب رضا البريطانيين وازالة التوتر الذي عكر صفو الاجواء بينهما في الفترة السابقة ، ولتسهيل مهمة سفرته الثالثة التي كن ينوي القيام بها الى اوربا ، فضلاً عن اغراءات وولف وموافقة امين السطان ، وافق الشاه على منح الامتياز وشكل مجلساً من اعيان الدولة لاتمام الموافقة ، وبعد محادثات ومناقشات شكلية أقر منح امتياز حرية الملاحة التجارية في الكارون لكافة الدول ، واعلم جميع الممثلين السياسيين في ايران بذلك بمذكرة رفعت الى السفراء بتاريخ ٣٠ تشرين الاول ١٨٨٨[4].

---

(١) بذلت بريطانيا جهوداً كبيرة منذ عام ١٨٤٠ للحصول على امتياز الملاحة في نهر الكاردن ، الا ان جهودها باءت بالفشل بسبب رفض الحكومة الايراينة . لمزيد من التفاصيل يراجع ، محمود محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ميلادي ، جلد جهارم ، تهران ، ١٣٣٦، ص ١١٣١-١١٣٢.

(٢) علي خضير عباس المشايخي ، ايران في عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨- ١٨٩٦) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧، ص٢٧٤

(٣) انظر نص المذكرة في ، ابراهيم تيموري ، عصر بيخبري يا تاريخ امتيازات در ايران ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦

(٤) المصدر نفسه ، ص١٦٦

رافق منح الامتياز معارضة شعبية شديدة تزعمها رجال الدين في ايران ضد الحكومة لأنها منحت اهم مناطق ايران للاستغلال الاجنبي مقابل مبلغ زهيد من المال لسد نفقات الشاه الخاصة ، وطالب المتظاهرون خلال تلك التظاهرات بالغاء الامتياز ، يشاركهم في ذلك التجار والحرفيين الذين تطابقت مصالحهم مع اراء ومواقف المؤسسة الدينية الايرانية المقاومة لأشكال التغلغل الاجنبي(١) . غير ان حالة الاستبداد التي مارسها النظام القاجاري آنذاك من جهة والدعاية التي اخذ يبثها من ان هذا الامتياز هو احد اهم الوسائل التي يمكن من خلالها تعمير وتطوير عدد من المناطق الايرانية المهمة ، كالمحمرة والاهواز الغنيتان بالمحاصيل الزراعية ، من جهة اخرى ، حجم من فاعلية المظاهرات وقلل من حالة الرفض العام(٢).

وعلى الرغم من ان امتياز نهر الكارون قد احدث نفوراً وتذمرا في اوساط قطاعات مهمة في ايران ، الا انه كان فاتحة لأمتيازات اجنبية لاحقة كأمتياز البنك الشاهنشاهي الذي منح لرويتر في بداية عام ١٨٨٩ تعويضاً له عن امتيازه الملغى لعام ١٨٧٣. وبعد مناقشات حادة بين اعضاء المجلس تم توقيع وثيقة الامتياز ، الذي عرف بأسم البنك الشاهنشاهي الايراني ، في ٣٠ كانون الثاني ١٨٨٩ ٣ ،دون الاخذ بنظر الاعتبار الرأي المخالف او المعارض للامتياز(٤). وقبل ان ينتهي عام ١٨٨٩ وفي اثناء سفرة الشاه الثالثة الى اوربا وبدافع حاجته الى المال ، منح الشاه امتياز اليانصيب الرياضي ، وهو لا يزال في اوربا ، الى ملكم خان ، بعد ان قدم له الف ليرة ذهبية ، ولضمان مستقبل الامتياز سجله الاخير باسم سكرتير السفارة الايرانية في لندن المسيو بوزيك دو كاردوال (Buzic de cardoel) الفرنسي الاصل(٥). وبعد ان تم توقيع الامتياز في ٢٠ تموز ١٨٩٩ حوله

---

(١) نكي . ار.كيدي وارك هوكلند ، الثورة الايرانية والجمهورية الاسلامية ، ترجمة علي حسين فياض ، مركز دراسات الخليج العربي ، مطبعة جامعة البصرة ، البصرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٦٦

(٢) جانيت فاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٥١

(٣) لمزيد من التفاصيل حول الموضوع يراجع ، محمود افشاريزدي ، سياست اوربا در ايران ، ترجمة سيد ضياء الدين ديشيري ، تهران ، ١٣٥٨ ، ص٢٥٣- ٢٥٥

(٤) خان ملك ساساني ، سياستكران دورة قاجار ، جلد دوم ، تهران ١٣٣٨، ص١٧٤

(٥) ابراهيم تيموري ، عصر بيخبري يا تاريخ امتيازات در ايران ، ص ٢١٣

كاردوال بأسم ميخائيل ، شقيق مالكم خان الذي باعه بدوره الى الشركة الانكليزية الاسيوية بمبلغ (٦٠) الف ليرة ، وضع منها (٢٠) الف ليرة في حساب شقيقه مالكم خان[١] .

وعند عودة الشاه من اوربا وانتشار خبر الامتياز في ايران ، اعلن علماء الدين معارضتهم للأمتياز ، واصدروا فتوى تقضي بتحريم الامتياز باعتباره مخالف للشرعية الاسلامية[٢] ، وهكذا اصدر الشاه قراراً في ٥ كانون الاول ١٨٨٩ الغى بموجبه الامتياز ، وارسلت الخارجية الايرانية في نفس اليوم نص القرار الى ملكم خان وطالبته بإعادة الاموال التي حصل عليها نتيجة بيع الامتياز الى اصحابها[٣].

شكلت معارضة رجال الدين وقيادتهم للمظاهرات الشعبية ، ضد منح الامتيازات الاجنبية ، شوكة في جنب ناصر الدين شاه ورغبته في الحصول على المزيد من الاموال لصرفها على ملذاته الشخصية . والشيء الذي يمكن ملاحظته هنا انه كلما ازداد الشاه تطرفاً في منحه للامتيازات الاجنبية كلما ازدادت معارضة رجال الدين ومقاومتهم لرغبات الشاه وطموحات الاجانب ضراوة ، كما ان انقياد الشاه لحاشيته ، لا سيما صدره الاعظم ، علي اصغر خان ، وسهولة منحه للامتيازات ، دفعت رجال الدين وعناصر المعارضة الى اتخاذ مواقف اكثر راديكالية ازاء النظام والشك في قدرة الشاه وحكومته على الدفاع عن المصالح الايرانية ضد القوى الكبرى ، الامر الذي يمكن ملاحظته وبشكل واضح في مسألة منح امتياز التبغ والتنباك الذي زلزل عرش السلطة القاجارية .

---

(١) دكتر ابو القاسم طاهري ، تاريخ روابط بازركاني وسياسي ، ايران وانكليس ، جلد دوم ، بلا ، ١٣٥٤، ص٥١٩

(٢) H.Algar, op,cit,p.182

(٣) ابراهيم تيموري ، عصر بيخبري يا تاريخ امتيازات در ايران ، ص ٢١٥

امتياز التبغ والتنباك

اثارت الامتيازات التي منحتها الحكومة الايرانية الى الدول الاجنبية غضب الشعب ، وزادت في الوقت نفسه تدهوراً في الاوضاع الايرانية التي تردت تماماً في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والانكى من ذلك السلوك الشخصي للمستشارين والوكلاء الاجانب واستهانتهم بالشعب الايراني[١].

لم يقف الامر عند هذا الحد ، فقد كان ناصر الدين شاه قد خول روسيا بتشكيل فرقة عسكرية تسمى (القوزاق)[٢]، وعهد بقيادتها الى الجنرال الروسي (دومونتوفتش) ، وكانت هذه الفرقة سيفاً مسلطا على رقاب الايرانيين[٣] والة لقمع المظاهرات التي قادها رجال الدين ضد السلطة الحاكمة لمنحها موارد البلاد للاجانب ، الامر الذي احدث نفوراً وتذمراً واضحاً بين قطاعات مهمة في المجتمع الايراني ، وخلق في الوقت نفسه الشك في عدم قدرة الشاه وحكومته المحافظة على مصالح البلاد ازاء القوى الاستعمارية ، الامر الذي ظهر وبوضوح في مسألة منح امتياز التبغ والتنباك الذي زلزل عرش السلطة القاجارية[٤]

---

(١) H.Algar, op , cit, p.208

(٢) عندما زار ناصر الدين شاه روسيا عام ١٨٧٩ اعجب بألوية القوزاق الروسية من حيث الكفاءة والتسليح ، فطلب من الحكومةة الروسية تأسيس لواء عسكري مماثل في ايران ، وان يدربه ويقوده ضباط من الروس ، فاستجابت الحكومة الروسية وبشكل سريع لطلبه ، انظر ، دونالد ولبر ، المصدر السابق ص ٩٠

(٣) محمد وصفي ابو مغلي ، الاحزاب والتجمعات السياسية في ايران ١٩٠٥ – ١٩٨١ ، ط٢ ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، سلسلة رقم (١١) ، بغداد ١٩٨٣ ، ص٨ ؛ اغا يزرك الطهراني ، الميرزا الشيرازي ، ص ١٣١.

(٤) خضير مظلوم فرحان البديري ، ازمة امتياز التبغ والتنباك في ايران ، ص ٧١

ففي اثناء رحلة الشاه الثالثة الى اوربا عام ١٨٨٩ وتجواله في عواصمها ، عرضت عليه فكرة منح امتياز التبغ والتنباك الايراني لأحدى الشركات البريطانية . بعد اقناعه بالفوائد الكبيرة التي ستجنيها بلاده على المستوى الاقتصادي والرفاه الاجتماعي من وراء منحه ذلك الامتياز[١] .

وفي ٨ آذار ١٨٩٠ وافق الشاه على منح امتياز التبغ والتنباك لشركة (تالبوت)[٢] البريطانية التي اطلق عليها (شركة التنباك الفارسية) ولهذا فقد عرّفت الحكومة البريطانية الماجور تالبوت ليكون ممثلها في التوقيع على ذلك الامتياز[٣] .

وصل تالبوت الى ايران على رأس هيئة مفتعلة ووليدة الساعة ، حيث تم تنظيم عقد الامتياز الذي تضمن خمس عشرة مادة وبتوقيع ناصر الدين شاه نفسه[٤]. منحت الحكومة الايرانية بموجبه الماجور تاليوت حق بيع وشراء وتصنيع التنباك في الداخل والخارج ، وتخويله وشركائه بالتصرف بكل التبغ والتنباك المنتج في كافة انحاء ايران ولمدة خمسون سنة من تاريخ توقيع هذا العقد[٥] . مقابل تعهد الاخير بدفع (١٥) الف باون استرليني سنوياً الى حكومة الشاه ، فضلاً عن دفع ربع الارباح المتبقية بعد استخراج ٥% منها لسد رأسمال الامتياز[٦].

---

(١) ابو القاسم طاهري ، تاريخ روابط بازركاني وسياسي ايران وانكليس ، جلد دوم ، ص ٥٢٥

(٢) احد الاغنياء البريطانيين المولعين باعمال التجارة ، كانت له كتابات كثيرة عن الدخانيات وقد اكتشف ان ثروة سرية كامنة في ايران يمكن استغلالها ، الا وهو التبغ والتنباك الذي يعد من المحاصيل الايرانية الجيدة والذي يفوق التنباك الهندي عطراً وجودة . لمزيد من التفاصيل ، يراجع ، خان ملك ساساني ، سياستكران دورة قاجار ، جلد دوم ، ص ١١٩ – ١٢٠

(٣) اغا بزرك الطهراني ، الميرزا الشيرازي ، ص ٢٣٢

(٤) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص ٥١

(٥) انظر بنود العقد في : J.C.Huremitz, Diplomacy in the Near and Middle East , A Documentry Record 1535 – 1914 , vol,I, Newyouk , 1972, pp. 205 – 206

(٦) جهانكير قائم مقامي ، تاريخ تحولات سياسي نظام ، ايران از اغازقرن يازدهم هجري تا سال ١٣٠١ هجري شمسي ، تهران ، ١٣٢٦، ص٨٢

وفي بداية عام ١٨٩١ تم الإعلان رسمياً عن ذلك الامتياز ، فضلاً عن قيام الشركة بتوزيع الإعلانات التي أوضحت من خلالها حقها في بيع وشراء التبغ والتنباك اعتباراً من العام آنف الذكر[١] .

ولكي تجسد الشركة احتكارها للتبغ ، طلبت من وكلائها جمع كل انواع التبوغ الموجودة في البلاد وبشكل سريع ، ثم اعلنت في كافة انحاء ايران بأن بيع الجملة والمفرد لهذه الانواع من التبوغ محتكر من قبل الشركة صاحبة الامتياز[٢] ، وبما ان هذا الاجراء يعد خسارة جسيمة للتجار الايرانيين ، فقد اثار تنفيذ هذا الامر سخطهم الى الحد الذي لجأوا فيه الى علماء الدين لحل مشكلتهم ، وكأجراء مؤقت لتهدئة الاوضاع ، طلبت حكومة الشاه من وكلاء الشركة بأن يوقفوا عملية جمع وشراء التبوغ لفترة محددة لحين تمكن تجار البلاد من تسوية صفقاتهم التجارية[٣] . الامر الذي اثار قلق الحكومة البريطانية وازدياد شكها بقدرة الشاه على مواجهة الغضب الجماهيري ، فقد ذكر المؤرخ الايراني يعقوب آجند أنه جاء في احد المستندات والوثائق البريطانية ما نصه " من الممكن ان يستسلم الشاه امام الاحتجاجات والاضطرابات في حالة وقوعها ، ويلغي امتياز التنباك ، لذا يجب ان تكون الشركة حذرة جدا ، وان تعمل على تنفيذ وثيقة الامتياز حرفيا "[٤] ويبدو واضحاً بأن بريطانيا قد اخذت عبرة من امتياز رويتر لعام ١٨٧٢.

وعندما اقتربت الفترة الممنوحة لباعة التنباك من الانتهاء ، اقامت الشركة حفلاً في مبنى ادارتها في طهران ، دعت اليه كافة رجال الدولة المانحة وسفراء الدول الاجنبية ، واعلنت خلال الاحتفال عن بدء اعمالها ، واصدرت قرارات استناداً الى شروط العقد ، بأن بيع التبغ والتنباك ينحصر بها فقط ، وانها ستضع علامة خاصة على انتاجها الجديد للدلالة عليها[٥] . كما حذرت الشركة اصحاب المحلات من عرض التبوغ في محلاتهم لغرض بيعها

---

(١) اغا بزرك الطراني ، الميرزا الشيرازي ، ص٢٣٧

(٢) شيخ حسن الاصفهاني الكربلائي ، تاريخ دخانية يا تاريخ وقايع تحريم تنباكو ، جاب اول ، انتشارات دفتر نشر الهادي ، تهران ، ١٣٧٧، ص٨٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥

(٤) نقلاً عن ، يعقوب آجند ، قيام تنباكو ، ص ١١٦

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٧

، الا بموجب ترخيص رسمي من الشركة صاحبة الامتياز ، وبخلاف ذلك فأن صاحب المحل سيتعرض للمسائلة[١].

وهكذا بدأت الشركة تنشر وكلائها في كافة انحاء ايران حيث شرعت بالعمل في ٧ جمادي الثانية ١٣٠٨ / ١٨٩١ م ، وفي الوقت نفسه شرع عامة الناس بالمعارضة في كل انحاء البلاد يقودهم علماء الدين تحت شعار " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " مع ذكر وتعداد الاخطاء التي ارتكتبتها الدولة[٢]. واصبح في كل مدينة ايرانية عالم ديني او عدد من العلماء يقودون الجماهير المتظاهرة ضد الامتياز وموقعيه وانصاره ، واخذ علماء الدين ينددون بالشاه وصدره الاعظم (امين السلطان) ويتبادلون البرقيات فيما بينهم معبرين فيها عن غضبهم واستياءهم ، فقد بعث علماء تبريز برقية الى علماء الدين في طهران جاء فيها "بكامل الدهشة والحيرة ان نرى السلطان قد اقدم على بيع كل المسلمين كالأسرى الى الكفار ، وان المسلمين ليفضلون الموت على العيش تحت وطأة الكفار"[٣] .

وفي مدينة شيراز قام المجاهد الملا علي كني بأعتلاء المنبر مخرجاً سيفاً من تحت عباءته ليصرخ امام الجموع الحاشدة " لقد حان وقت الجهاد " يا ايها الناس اسعوا وابذلوا ما بوسعكم لكي لا تجبروا على لبس ملابس نساؤكم ، انني لا املك الا سيفاً وقطرتين من الدماء فأن قدم أي اجنبي الى شيراز لغرض السيطرة على صناعة الدخانيات فيها فأني سامزق لحمه بهذا السيف [٤] " ولذلك سارع النظام الحاكم بأصدار اوامره الى قوام الملك حاكم شيراز بالسيطرة على الاوضاع هناك ، فتم القاء القبض على الملا علي كني من قبل اعوان حاكم شيراز ، حيث عومل باسلوب مهين ، فخلع عنه رداءه وعمامته ونفي الى بوشهر ومن هناك الى البصرة[٥]. الامر الذي دفع الناس الى التجمع في احد المساجد بشيراز احتجاجاً على قرار الحكومة الجائر والسلوك السيء الذي اتبعه اعوانه مع ذلك

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٩

(٢) اغا برزك الطهراني ، الميرزا الشيرازي ن ص ١٣٩

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤١

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٣

(٥) خضير مظلوم البديري ، ازمة التبغ والتنباك في ايران ، ص٧٥

المجتهد ، الا ان حكومة قوام الملك اجابتهم بنيران الاسلحة والبنادق واطلاق العنان لخيالته ليوقعوا المجازر والمذابح بالمتظاهرين المطالبين بالغاء الامتياز وانهاء التدخل الاجنبي[(١)] .

ومن جانب اخر احاطت الحكومة الايرانية ممثلي الشركة بالحماية المكثفة ، الامر الذي اثار رجال الدين وجعلهم يلجأون الى المساجد محرضين الناس على الاستمرار بالمقاومة احتجاجاً على تصرفات الحكومة[(٢)] .

لم تكن تبريز اقل نضالاً ومقاومة من شيراز ضد ابرام الامتياز ، فقد نهض ابناؤها بمختلف مهنهم بقيادة رجال الدين يتقدمهم في ذلك الحاج ميرزا جواد مجتهد تبريزي الذي قاد المظاهرات ضد الحكومة وسياستها الاستبدادية ، حيث مزق المتظاهرون كل الاعلانات التي الصقتها الشركة على الجدران تعبيراً عن غضبهم واستيائهم[(٣)] . كما توقفت الحياة التجارية في المدينة بعد ان اغلق التجار اسواقهم ، فضلاً عن تعطيل المدارس التي قاطع رجال الدين التدريس فيها[(٤)].

وعلى صعيد اخر اصبحت حياة الرعايا الاجانب في المدينة يهددها الخطر ، فقد بعث علماء الدين في المدينة برقية الى الشاه هددوا فيها بقتل كل الاوربيين المتواجدين في تبريز مالم يعلن عن الغائه للامتياز ثم اردفوها برسالة اخرى جاء فيها " لقد تسلطت على الدولة اثنان واربعون عاما وقمت ولمجرد الطمع ببيع المملكة قطعة بعد اخرى ، ولكن عليك ان تفهم بأننا نحن اهالي اذربيجان لا نوافق على بيع انفسنا الى الاوربيين ما دام فينا رمق من الحياة وسنبذل كل ما بوسعنا للوقوف والصمود بوجهك"[(٥)] .

وامام التحدي الجماهيري واصرار علماء الدين في مواصلة شجبهم لسياسة الاستبداد وسلب الحقوق ، عمد الشاه الى اصدار اوامره لحاكم المدينة بمزيد من القسوة والتقتيل ضد المتظاهرين ، الا ان حاكم المدينة اجاب بأن لا فائدة من ذلك ، نظراً لتفاقم الاوضاع واشتداد المظاهرات[(٦)]. الامر الذي دفع الشاه الى اتخاذ خطوة كان من شأنها تهدئة الاوضاع في المدينة وعدم انسحابها الى مدن اكثر تأثيراً على مركز الحكومة

---

(١) بيتر اوري ، تاريخ معاصر ايران ، ص٢٠٧
(٢) اغا بزرك الطهراني ، الميرزا الشيرازي ، ص ٢٤٥
(٣) رحيم نيكبخت ميركوهي ، نقش روحانيت در تحولات سياسي اجتماعي اذربيجان ، ص ٣٧٤
(٤) H.Algar, op, cit, p.209
(٥) اغا بزرك الطهراني ، الميرزا الشيرازي ، ص٢٤٥
(٦) المصدر نفسه ، ص٢٤٦

كالعاصمة طهران ، فأرسل احد اتباعه موفوداً الى تبريز لملاقاة الميرزا اغا جواد ومحاولة اغراءه بالهدايا لأطفاء شعلة المقاومة التبريزية ، الا ان تلك الاخبار سرعان ما انتشرت في المدينة ، وبجرأة منقطعة النظير ، علق السكان ورقة حول رقبة كلب وراحوا يجرونه في شوارع المدينة منددين برسائله ومبعوثيه[١].

وبعد ان عجز الشاه في القضاء على المقاومة التبريزية ، اتخذ قرار بصرف النظر مؤقتاً عن اذربيجان وايقاف اعمال الشركة فيها[٢]. وفي الاتجاه نفسه لم تكن اصفهان بعيدة عن الاحداث ، فقد اقدم الاهالي فيها على شجب ومعارضة الامتياز يتقدمهم ذلك الحاج شيخ محمد تقي اغا نحيفي والشيخ محمد علي والملا باقر فشاركي الذين اعلنوا تحريم استعمال الدخانيات في مدينتهم ، كما افتوا بتحريم التعامل مع عمال الشركة مصدرين بذلك اعلانات الصقت على جدران المساجد والشوارع المؤدية اليها ، كما اعتبروا كل من يوفر الحماية للاوربيين مرتد عن الاسلام[٣]. فضلاً عن اعلانهم بعدم السماح لأي شخص ايراني يعمل في الشركة الدخول الى الحمامات والمقاهي[٤] . مما دفع الكثير من التجار بتوزيع تنباكهم على الفقراء وعدم بيعه الى الشركة ، وقام احدهم باحراق اثنتي عشر الف باله من مخزونه من التبغ[٥] .

وفي مدينة مشهد ، فقد تظاهر الاف الناس بتوجيه وقيادة علماء الدين في المدينة ، متخذين من الحرم المقدس نقطة لأنطلاقهم[٦] . اما في في العاصمة طهران فأن الامر كان مختلفاً ، فعلى الرغم من احكام النظام قبضته فيها ، فقد نهض اهلها معارضين قرار الحكومة ومنددين اجراءاتها التعسفية تجاه الشعب وعلمائه ، وقد تحولت دار الميرزا حسن اشثياني ، العالم الديني الكبير في طهران ، الى مكان لتجمع الناس فيها معلنين غضبهم واعتراضهم على منح الامتياز ، مما دفع ذلك المجتهد الاشتياني الاتصال بالشاه وصدره

---

(١) خضير مظلوم فرحان البديري ، ازمة التبغ والتنباك في ايران ، ص ٧٨

(٢) محمود محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ميلادي ، جلد جهارم ، جاب دوم ، ص١١٨٨

(٣) يعقوب أجند ، قيام تنباكو ، ص ١١٧

(٤) المصدر نفسه ، ص١١٨

(٥) خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦- ١٩١٩ ، ص ٨٥

(٦) باسم حمزة عباس ، المصدر نفسه ، ص ٩٣

الاعظم لعدد من المرات طالباً منهما الغاء الامتياز ، الا انهما لم يعيرا اهتماماً لتلك المطالب[١] .

ولما ايقن الجميع ان الشاه مصمم على قراره وليس في نيته ان يلبي مطالب الشعب وعلماءه ، اتجهت الانظار صوب العراق حيث المرجع الديني الاعلى الميرزا محمد حسن الشيرازي ، فاخذت البرقيات الكثيرة ترد اليه من مختلف انحاء ايران ، تضمنت شرحاً مفصلاً للمفاسد الكبيرة والاضرار الوخيمة التي سيسببها امتياز التبغ والتنباك[٢] وفي الاول من ذي الحجة ١٣٠٨ / ١٨٩١ ارسل الميرزا الشيرازي رسالة الى الشاه طلب فيها منه منع تدخل الاجانب في امور ومقدرات البلاد والغاء الامتيازات التي من شأنها اضعاف استقلال ايران ، فضلاً عن انها منافية ومخالفة لشرائع الاسلام[٣].

وبعد وصول رسالة الشيرازي الى الشاه بادر الاخير بالطلب من ممثل ايران في العراق بالتوجه الى سامراء للقاء بالشيرازي هناك ، وبعد لقاءه به حاول ممثل الشاه اقناع الشيرازي بفوائد الامتياز موضحاً له ، ان قبول الامتياز يعني التقرب من دول اوربا الكبرى ، كما انه سيؤدي الى الخلاص من سيطرة الروس ؛ فضلاً عن تقويته لميزانية الدولة والجيش وسد احتياجات البلاد[٤]. غير ان رد الشيرازي على ممثل الشاه كان عنيفاً ، حمل في طياته توجيه اللوم الى الشاه وحكومته المستبدة عندما قال لممثل الشاه "لا تجعلوا نتائج اعمالكم تجركم الى الحد الذي عندما تلجأون فيه الى الشعب وتطلبون معونته لا تجدونه موجوداً الى جانبكم ، ولا يزال متسع لدفع الفتنة[٥] . الا ان الشاه لم يبال محاولاً تضييع الوقت عسى ان ينسى الناس امر الامتياز ، غير ان الشيرازي اردف برسالة اخرى الى الشاه ، اكد فيها على ضرورة الغاء الامتياز لما له من ابعاد خطيرة وما يترتب عليه من مفاسد اجتماعية وفوضى اقتصادية هي اكبر من ان يصرف النظر عنها[٦].

وبعد ان أدرك الميرزا الشيرازي عدم الفائدة من الشاه واعوانه في مسألة الغاء الامتياز اصدر فتواه الشهيرة التي نصها :

---

(١) العقيقي اليخشايشي ، المصدر السابق ، ص ٢٢
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥
(٣) شيخ حسن الاصفاني الكربلائي ، قرار دادرجي ، تهران ، بلا ، ص ٣٦
(٤) اغا برزك الطهراني ، الميرزا الشيرازي ، ص٢٥٢
(٥) المصدر نفسه ، ص٢٥٣
(٦) خضير مظلوم فرحان البديري ، ازمة التبغ والتنباك في ايران ، ص٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

((ان استعمال التبغ اليوم ، وبأي نحو كان ، بمثابة محاربة صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف))[١] .

ارسلت النسخة الاصلية التي كانت بخط الميرزا الشيرازي ، مباشرة الى اصفهان[٢] ثم وصل خبر الفتوى الى طهران ، وقام العلماء الذين وصلت الى ايديهم النسخة الاصلة بتصوير الاف النسخ منها وتوزيعها في المساجد والاسواق والمنازل ، واخذت تقرأ بصوت عالٍ بين المسلمين ، فانتشرت بسرعة البرق في كل مدينة وزقاق حتى وصلت الى البلاط واصبحت حديث الناس[٣] .

كان لفتوى الشيرازي وقع كبير في وسط المجتمع الايراني فقد امتنع جميع الناس عن استخدام الدخانيات ، حتى المدمنين منهم توجهوا الى استخدام بعض الفواكه والشاي بدلاً من التنباك ، بل ان بعض المواطنين الذين اعتادوا شرب الخمور وتعاطي المسكرات امتنعوا عن التدخين واخذوا يحطمون النرجيلات واتفق الجميع على ان لا يروا أي دخان يتصاعد من نرجيلة او سيكارة او سائر انواع الدخانيات في أي بقعة من ايران[٤] .

ولم يقف امر المنع عند هذا الحد فحسب ، بل دخل حتى الى منزل الشاه نفسه ، فقد امتنعت نساء البلاط عن شرب النرجيلة وامرن الغلمان والخدم بكسر رؤوس النرجيلات و(البايبات) والقائها امام غرفة نوم الشاه ليطلع على الامر ، وعندما سألهن عن الذي حرم شرب النرجيلة ، اجبنه : هو نفسه الذي احلّنا لك[٥] .

لقد زلزل الالتزام بفتوى التحريم اركان الحكومة ، مما حدى بالشاه وحاشيته الى التفكير اخيراً بزعزعة عقيدة الشعب ، عن طريق اشاعة الاكاذيب من ان هذه الفتوى لم تصدر عن المرجع الديني الميرزا الشيرازي وانما اختلقها بعض المغرضين الذين يريدون السوء بالشعب والبلاد ، الامر الذي دفع الناس بالتوجه الى دائرة البريد ليبرقوا الى الشيرازي عن حقيقة الامر ، الا ان الامور سرعان ما توضحت لهم فبمجرد الذهاب الى

---

(١) العقيقي اليخشايشي ، المصدر السابق ، ص٢٨

(٢) خشية ان تصل الى ايدي السلطات القاجارية في طهران ، فيتم اخفائها او تحريفها

(٣) يعقوب آجند ، قيام تنباكو ، ص ١٢٠

(٤) العقيقي البخشايشي ، المصدر السابق ، ص٢٩

(٥) يعقوب آجند ، قيام تنباكو ، ص ١٢١

هناك وجدوا البريد تحت سيطرة الشرطة الذين منعوهم من ارسال البرقيات بحجج مختلفة لكي لا يطلع احد منهم على رأي المرجع الشيرازي[١] .

ورداً على هذه المؤامرة ، هب العلماء والخطباء المخلصين لدينهم وممن يثق بهم الشعب ، الى تكذيب هذه الشائعات ، وانارة افكار الناس بالحقيقة ، مما اثار ذلك ثائرة الشاه ودفعه الى عقد اجتماع ضم اعيان الدولة ، وبهدف خلق نوع من الاختلافات في وجهات النظر بين علماء الدين ، دعا فيه مجموعة من علماء الدين في طهران وهم الميرزا حسن الاشتياني وسيد علي اكبر تفرشي وامام جمعه طهران وسيد محمد رضا وملا محمد تقي كاشاني ، وفي نهاية الجلسة طلب منهم اصدار فتوى تجيز شرعية الامتياز ، الا ان رد العلماء كان حاسماً وهو رفض الامتياز رفضاً قاطعا[٢] . وفي الوقت ذاته اخذ الناس يلصقون على واجهات البنايات الرئيسية ، في ليلة الجمعة الموافقة لعيد السيد المسيح ١٨٩١/١/١ ، بيانات دعوا فيها كافة الاهالي الى الاستعداد للجهاد واعتباراً من يوم الاثنين القادم ، فكانت الاستجابة عالية جداً ، اذ هرع الناس الى الاستعداد بتخزين احتياجاتهم من المواد الغذائية وتحضير الاسلحة ، وكتابة الوصايا ، واخذوا يتوادعون مع ذويهم وسط بكاء وعويل النساء والاطفال ، ولم يخالف احد فتوى الشيرازي في مدن وقرى وقصبات ايران ، بل حتى داخل البلاط والمؤسسات الرسمية[٣] .

وفي خضم هذه الاضطرابات ، بعث الشاه في ٣ كانون الثاني ١٨٩٢ ممثلاً عنه الى الميرزا محمد حسن الاشتياني يعرض عليه امرين ، اما ان يعلن امام الناس مخالفته لفتوى الشيرازي او ان يرحل عن البلاد ، فاختار الاشتياني العرض الثاني ، واستعد للرحيل في ٤ كانون الثاني ١٨٩٢ فكان ذلك مدعاة لهيجان الناس بشكل لم يسبق له مثيل ، حيث ارتدى اربعة الاف رجل منهم الاكفان استعداداً للجهاد[٤] . مما ادى ذلك الى حدوث صدامات مع قوات الحكومة ، التي امرت بأطلاق النار عليهم فوقع نحو ثلاثين قتيلاً وجرح كثيراً منهم[٥] . غير ان ذلك لم يزد المتظاهرين الا اصراراً على مواصلة الجهاد ، مما دفع ناصر الدين شاه الى الاذعان لرجال الدين خوفاً من ان تؤول الامور الى ما لا يحمد عقباه ، فاخذ

---

(١) العقيقي البخشايشي ، المصدر السابق ، ص ٣٠

(٢) H.Algar, op,cit,p.213

(٣) E.Brown, the persian Revolution , p.52

(٤) H.Algar, op,cit,pp,214 -215

(٥) خضير مظلوم فرحان البديري ، ازمة امتياز التبغ والتنباك في ايران ، ص٨٥

يتودد لهم ، حيث بعث ممثله الى الميرزا الاشتياني حاملاً معه هدية الشاه التي كانت عبارة عن خاتم ثمين ، وطلب منه الغاء سفره واعداً اياه بألغاء الامتياز ، الا ان الاشتياني رفض الهدية واصر على ضرورة الغاء الامتياز ، فما كان على الشاه الا ان اصدر امراً بالغاءه، وبذلك انتهت المظاهرات والاضطرابات في ٢٦ كانون الثاني ١٨٩٢[١] .

وبعد ان الغى ناصر الدين شاه امتياز التبغ ، طالب رئيس الشركة (تالبوت) بتعويضه مبلغاً مقداره (٦٠٠٠٠٠) باون استرليني من الحكومة الايرانية،الا ان الاتفاق تم اخيراً بين الانكليز و الحكومة الايرانية على دفع غرامة مقدارها(٥٠٠٠٠٠) باون استرليني[٢] . ولما كانت خزينة الدولة خاوية وغير قادرة على دفع هذا المبلغ الضخم ، فقد اضطر الشاه الى اقتراض ذلك المبلغ من البنك الشاهنشاهي (البريطاني) ، فكان هذا القرض بداية الديون الاجنبية على الحكومة الايرانية[٣] . والتي اصبحت مسؤولة عن دفعه بأقساط شهرية قوام الواحد منها ٣٠,٠٠٠ باون استرليني وبفائدة مقدارها ٦% ، على ان يتم استرداد ذلك المبلغ على شكل (٤٠) قسطاً ولمدة (٤٠) عاماً ، الامر الذي كلف ايران تأمين موانئها الجنوبية لدى المصرف الامبراطوري لمدة اربعين عاماً اخرى[٤] .

لقد كانت حركة التبغ والتنباك اول تحد للسلطة الاستبدادية وبرهنت في الوقت ذاته على يقضة الشعب الايراني واصراره على نيل حقوقه واظهار معاداته للاجنبي واستبداد الملوك القاجاريين[٥] ولكن على الرغم من ذلك استمر حكام ايران بمنح الامتيازات الى عدد من الدول الرأسمالية ، لا سيما روسيا وبريطانيا ، فضلاً عن ان ناصر الدين شاه اخذ يتبع نهجاً اكثر قسوة وتصلباً خاصة في السنوات التي تلت ازمة التبغ والتنباك ، معتقداً ان ذلك سيوفر له ولعرشه الحماية الكافية ، فمنع فتح مدارس جديدة ، وحرم دخول الصحف (الليبرالية) ، التي كانت تنادي بضرورة تغيير الاوضاع السيئة الناشئة عن الحكم الفردي ، ولم يعد له أي اهتمام في جوانب العلم والتعلم ، فلم يكترث حين احرق حشد من المتدينين

---

(١) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيان ، جلد اول ، ص٢٧

(٢) ابراهيم خليل احمد ، المؤسسة الدينية الفارسية ودورها السياسي في تاريخ ايران الحديث ،((مجلة الجامعة)) (جامعة الموصل) ، العدد ٩ ، ١٠ ، السنة الثانية عشر ، ١٩٨٢ ، ص ٨١

(٣) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٥٤

(٤) خضير مظلوم فرحان البديري ، ازمة امتياز التبغ والتنباك في ايران ، ص٨٧

(٥) ناصر ملكي ، اسرار وعوامل سقوط ايران او الملائية ، مركز البحوث والمعلومات ، سلسلة الكتب المترجمة ، العدد (١٢) ، بغـــداد ، ١٩٨٥ ، ص١٥٦

احدى المؤسسات التعليمية الحديثة في تبريز[١] ولم تسلم مؤسسات الدولة الاخرى من الخراب جراء الاهمال الذي اصابها.

كل هذه العوامل وغيرها دفعت الشاه الى منح الاجانب عدد من الامتيازات التي هددت بزوال ثروة البلاد وعصفت باستقلالها[٢] . مما دفع المعارضة وخاصة الدينية منها الى استغلال الظروف السيئة واغتيال ناصر الدين شاه ، فتولى العرش ابنه مظفر الدين (١٨٩٦- ١٩٠٧) الذي كان على النقيض من ابيه ، ضعيف الشخصية عليل البدن ، وقد احاطه المنافقين الذين كانوا يطمحون ان ينالوا في عهده الثروات بكل وسيلة ممكنة ، فضلاً عن تعرض ايران في عهده الى الضغوط الاوربية ووقوعها تحت وطأة القروض وكثرة الرشاوى كما حصل اهمال في تنفيذ المشروعات الاقتصادية[٣] .

استغلت الدول الاجنبية ، لا سيما روسيا وبريطانيا ، حاجة الشاه الماسة الى الاموال لتمويل جزء من زياراته الى اوربا بقصد العلاج ، فاخذت تمنحه العديد من القروض ، مما شكلت احد ابرز وسائل التغلغل الاجنبي في ايران[٤] فقد سلمت الحكومة الكمارك الايرانية الى موظفين بلجيكيين كضمانة لهذه القروض[٥] . وخلال الفترة من ١٩٠٠ – ١٩٠٢ حصلت الحكومة الايرانية على قرضين من الحكومة الروسية بلغ مقدارها ١.٥ مليون باون استرليني ، صرف اغلبها على سفرات مظفر الدين شاه الى اوربا[٦] .

لقد بدا واضحاً سيطرة الروس على الحكومة الايرانية من خلال تلك القروض ، فقد اشترطت الحكومة الروسية مقابل قروضها تلك ، بأن لا تقدم ايران الى الاقتراض من أي دولة اخرى الا بموافقتها[٧] . الا ان ذلك لم يمنع الحكومة الايرانية من التعامل مع الانكليز والحصول على قروض منها بحكم طبيعة التنافس المتنامي بين الروس والبريطانيين في ايران[٨].

---

(١) برفاند ابراهيميات ، المصدر السابق ، ص٨٨

(٢) سليم واكيم ، ايران والعرب – العلاقات العربية عبر التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٧، ص١٦٠

(٣) ابراهيم خليل احمد ، المصدر السابق ، ص٩١

(٤) جورج لنشوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر الخياط ، مطبعة دار الكشاف ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص ٥٠-٥١

(٥) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٥٥

(٦) المصدر نفسه ، ص٥٧

(٧) E.Brown , The Perian Revolution ,p.119

(٨) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٥٦

وامام النفوذ الاجنبي المتزايد وتهافت الحكومة الايرانية في الحصول على مزيد من القروض التي اثقلت كاهل المواطن الايراني ، لأن جزء منها كان يؤمن من الضرائب المفروضة على الشعب ، لذا كان من الطبيعي جداً ان تقف المؤسسة الدينية ، يساندها في ذلك التجار ، ضد القروض المعقودة مع الاجانب[1]. غير ان الحكومة الايرانية لم تعر اهمية لذلك مما اثار ذلك غضب رجال المؤسسة الدينية الذي تجسد في قيادة العديد من المظاهرات في مختلف المدن الايرانية ، ففي العاصمة طهران قاد الشيخ اغا نجفي ، احد رجال الدين البارزين في طهران ، مظاهرة حاشدة ضد الحكومة القاجارية واذ نابها[2] وفي مدينة رشت قاد علماء الدين في المدينة ، وعلى رأسهم الحاج محمد رافع شريعتمدا، المظاهرات الواسعة التي نددت بالحكم القاجاري المستبد وتسليمه البلاد الى الاجانب[3] .

وفي الوقت الذي كان فيه الشاه منشغلاً بسفراته العلاجية والترفيهية في اوربا ، ادى علي اصغر خان ، امين السلطان والصدر الاعظم (١٨٩٨ – ١٩٠٣) ، دوراً مهماً في سياسة القروض ومنح الامتيازات للاجانب لا سيما الروس ، لذا فقد ارسل كبار علماء الدين في النجف برقيات الى علماء الدين في ايران ، ابدوا فيها تأييدهم التام لموقف رجال الدين المعارض لسياسة الشاه وصدره الاعظم[4] . ثم اردف علماء الدين في النجف برسالة موجهة الى مظفر الدين شاه نفسه انتقدوا فيها سياسة الاهمال للبلاد وتسليمها للاجانب ، مؤكدين على ضرورة اصلاح الفساد الاداري وتأسيس مجلس لممثلي الشعب[5] .

ومن هنا يبدو واضحاً ان علماء الدين في النجف بدأوا يلقون بتأثيرهم الكبير في شؤون ايران السياسية الى جانب رجال المؤسسة الدينية في ايران ، غير ان الدولة بالمقابل كانت تزداد ضراوة في مجابهة المؤسسة الدينية في ايران[6] . وقد كان لسياسة الدولة القمعية التي تزامنت مع الدخول الغربي المكثف لأيران ، عاملاً مشجعاً في توجه المعارضة الى تكوين جمعيات سرية وشبه سرية في الكثير من المدن الايرانية ، لعبت دوراً مهما في

---

(١) احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، تهران ن ١٣٣٠ ، ص٣٩
(٢) باسم حمزة عباس ، المصدر السابق ، ص١٠٨
(٣) محسن الكاظمي ، احسن الوديعة في تراجم علماء الشيعة ، بغداد ، ١٩٥٨، ص٥٧
(٤) باسم حمزة عباس ، المصدر السابق ، ص١٠٩
(٥) عبد الهادي حائري ، تشيع ومشروطيت در ايران ، ص١٠٣
(٦) باسم حمزة عباس ، المصدر السابق ، ص٩٨

تطور الحركة الوطنية[١]. وقد تنوعت مضامين برامجها ما بين الاصلاح والتغيير الثوري الشمولي ، فضلاً عن برامجها في معالجة القضايا التي كانت تمس حياة الفرد والمجتمع بصورة مباشرة كأسعار المواد الغذائية او التعليم او الصحة[٢] .

ومن بين اهم هذه الجمعيات ، جمعية الاخوة (آنجمن اخوت) وهي اول جمعية تشكلت في عهد مظفر الدين شاه ، اسسها الحاج ميرزا حسن صفي علي شاه عام ١٨٩٩، وكان هدفها تصحيح المفاهيم الدينية[٣].

وفي عام ١٩٠٢ اسس محمد الطباطبائي في طهران جمعية الترقي الاسلامي (حوزة ترقي اسلامي) ، كان هدفها العمل على زيادة الوعي الديني الصحيح[٤] . كما اسس مجموعة من رجال الدين والوطنيين المصلحين جمعية الرجال الاحرار (انجمن ازادي مردان) عام ١٩٠٣ في العاصمة طهران ، وهي مشابهة لجمعية الترقي الاسلامي من حيث اهدافها[٥] . فضلاً عن الجمعيات والاحزاب السرية الاخرى[٦] . والتي كان من بين اهمها الجمعية السرية التي شكلها في طهران مجموعة من رجال الدين والتجار ذوي الارتباط الوثيق بالاصناف الحرفية والتجارية ، وقد طالب برنامجها بالاصلاحات السياسية والاجتماعية والحد من الامتيازات الاجنبية[٧].

ان تشكيل الجمعيات والاحزاب السرية وشبه السرية كان دليلاً واضحاً على تطور الوعي السياسي والفكري لمؤسسي واعضاء هذه المنظمات ورغبتهم الشديدة في مواصلة النضال من اجل انقاذ البلاد من الظلم والتعسف القاجاري والحد من النفوذ الاستعماري وسيطرته التي باتت وشيكة ، وقد دأب اعضاء هذه المنظمات من اجل ايصال هذه الافكار ونشرها بين الشعوب الايرانية ، فاصبح الشعب الايراني نتيجة ذلك يعي مصالحه القومية والوطنية والغايات التي تنشدها الدول الاستعمارية ، لذا فما ان حل عام ١٩٠٥ حتى كانت

---

(١) طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص١١٥
(٢) احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، ص٢٢١
(٣) طلال مجذوب ، المصدر نفسه ، ص١١٥
(٤) المصدر نفسه ، ص١١٦
(٥) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيات ، جلد اول ، ص٦٦
(٦) تأسست في بداية عام ١٩٠٥ مجموعة من الجمعيات والاحزاب السرية كالجمعية السرية والمركز السري والحزب الاشتراكي الديمقراطي والجمعية الانسانية واللجنة الثورية ، لمزيد من التفاصيل ن يراجع ، برفاند ابراهيميات ، المصدر السابق ، ص٩٠
(٧) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٦٦-٦٧

ايران تسير وبسرعة نحو الثورة ، لأن الطبقة المتوسطة ، مؤلفة من رجال الدين والتجار ، اخذت تنظر الى الملكية بعين من الريبة نتيجة الاضرار التي اصابت مصالحها والتي كانت الحكومة الملكية السبب المباشر فيها ، لذا اصبحت هذه الطبقة من النواحي الاقتصادية والسياسية والفكرية معزولة عن الملكية الحاكمة[١] كما ان الطبقة المثقفة المتأثرة بالافكار الغربية والمؤمنة بالدستورية اصبحت ترفض النظام المطلق وتوصمه بالتخلف ، واخذت تنظر الى المستقبل برؤية جديدة ، وعلى الرغم من الاختلاف في وجهات النظر بين الطبقتين المتوسطة والمتنورة ن غير ان هدفهما كان واحداً ، الا وهو احداث تغييرات جذرية في نظام الحكم ، فضلاً عن انهما كانا على علم بأن السلالة القاجارية لم تكن فقط مفلسة مالياً فحسب ، بل وضعيفة ادارياً وغير فاعلة عسكرياً[٢]. لذا انتظرت البلاد الدفعة الاخيرة لتدخل معترك الثورة .

---

(١) برفاند ابراهيميات ، المصدر السابق ، ص٩٤

(٢) المصدر نفسه ، ص٩٥

الفصل الثاني

دور المؤسسة الدينية في أحداث الثورة الدستورية ١٩٠٥-١٩٠٧

المبحث الأول:
اثر المؤسسة الدينية في تطور الأحداث الداخلية الإيرانية ١٩٠٥-١٩٠٦

المبحث الثاني:
ردود فعل علماء الدين في إيران تجاه الثورة الدستورية ١٩٠٦ – ١٩٠٧

المبحث الثالث:
موقف المؤسسة الدينية من حالة التقارب البريطاني – الروسي ١٩٠٧

المبحث الرابع:
علماء الدين في العراق وإثرهم في تطور أحداث الثورة الدستورية ١٩٠٥ – ١٩٠٧

المبحث الأول:

اثر المؤسسة الدينية في تطور الأحداث الداخلية الإيرانية
١٩٠٥ـ ١٩٠٦

واجهت ايران في اوائل عام ١٩٠٥ صعوبات جمة ، لم تستطع حكومة مظفر الدين شاه التعامل معها بسياسة تتناسب وتلك الصعوبات ، فقد تعرضت البلاد خلال ذلك العام الى ازمة اقتصادية خانقة حدثت نتيجة عوامل متشابكة اهمها، المحصول الزراعي الرديء الناتج على مستوى البلاد بأجمعها ، والتدهور المفاجئ للتجارة في الشمال بسبب انتشار مرض الكوليرا ، الذي كان اشد وطأة على مدينة شيراز ، التي قضى على عشر اهلها[١] ، فضلا عن الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ـ١٩٠٥،والثورة التمهيدية التي اعقبتها في روسيا [٢] ، الامر الذي ادى الى ارتفاع اسعار المواد الغذائية الضرورية داخل البازار (السوق)فقد ارتفع سعر السكر بنسبة ٣٣% وسعر الحنطة بنسبة ٩٠% في اغلب المدن الايرانية [٣].

ولما وجدت الحكومة ان عائدات الكمارك تنخفض وتكاليف الاغذية ترتفع، وان مساعيها للحصول على قروض جديدة من مصادر اخرى غير روسيا وبريطانيا قد رفضت [٤] اتخذت الدولة ، بأمر من المسيو ناوس [٥] اجراءات مجحفة بحق الناس، فقد رفعت التعريفات على التجار المحليين وأجلت وفاء الديون للدائنين، مما اثار غضب التجار الذين لم يجدوا بدا من الاتصال برجال الدين لتنظيم موكب سلمي اثناء المأتم الديني في شهر محرم ، فكان ذلك سببا لاتحاد العلماء والتجار لمناهضة الحكومة والبحث عن سبيل لعزل

---

(١) ((الهلال)) (مجلة) ،مصر ،ج٧، السنة السابعة عشرة، نيسان ١٩٠٩،ص٣٩.

(٢) برفاند ابراهيميان، المصدر السابق، ص٩٥.

(٣) جانيت أفاري، انقلاب مشروطة ، ايران، ص ٧٧ـ ٧٨.

(٤) كانت الحكومة الايرانية منذ تسلم مظفر الدين شاه الحكم في ايران تحاول البحث عن مصدر ثالث لتمويلها بالقروض، وكانت المانيا اول الدول التي ارادت ايران الاستقراض منها لتكون قوة ثالثة موازنة بوجه بريطانيا وروسيا، مزيد من التفاصيل ، يراجع ، سميرة عبد الرزاق عبد الله العاني ، العلاقات الايرانية – الالمانية منذ اواخر القرن التاسع عشر – ١٩٣٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ ، ص٣٩.

(٥) في عام ١٩٠٣ قدم العديد من البلجيكيين الى ايران لادارة الشؤون الكمركية في ايران، وتم تعيين احدهم المدعو المسيو ناوس مسؤولا عن الكمارك في ايران ، لمزيد من المعلومات ، يراجع ، حامد الكار ، نقش رومانيت بيشرو در جنبش مشروطيت، ص٣٣٢.

المسيو ناوس والاستغناء عن خدماته[١] وقد جاءت الفرصة سانحة عندما قام محمد تقي خان كاشاني ، احد رجال الدين البارزين في طهران ، بإثارة المشاعر الدينية من خلال توزيع صورة ناوس وهو يرتدي زي رجال الدين ويلبس العمامة ويدخن النرجيلة في حفلة للرقص، وقد وصلت هذه الصورة الى بقية علماء الدين الذين قاموا بدورهم بتعليقها على جدران المساجد والازقة ، مما اثار ذلك مشاعر المسلمين الذين طالبوا بعزل المسيو ناوس عن منصبه، في الوقت الذي كان فيه الشاه في زيارته الثالثة لاوربا، الامر الذي دفع بولي العهد محمد علي مرزا لأن يطلب من الناس المحافظة على الهدوء ، واعدا اياهم تحقيق مطالبهم بعد عودة الشاه[٢]. وفي الوقت الذي كانت فيه قضية المسيو ناوس تتفاعل بين أهالي طهران، تصاعد الخلاف في مدينة كرمان بين علماء الدين والشيخية[٣] ، بعد ان اخذ المرزا محمد رضا ، أحد علماء مدينة كرمان، بالتهجم

على الشيخيين في مسجد محلة بازار شاه، وأصدر فتوى تحرم سطوة الشيخية على المسلمين ، فتوترت العلاقة بين الطرفين حيث انتهت بصدامات عنيفة قتل فيها عدة اشخاص من الجانبين [٤]. وهذا ما دفع ركن الدولة ، حاكم المدينة ، الذي تلقى الاوامر من حكومته الى ارسال القوات لحماية المسجد المذكور، ومعاقبة المرزا محمد رضا بالجلد ونفيه الى رفسنجان، الى الغرب من كرمان ، وحين سمع اهالي طهران بالخبر ازداد سخطهم على الحكومة [٥].وتأزم الموقف كثيرا ، فقد عد عمل الحكومة هذا اهانة صريحة موجهة الى علماء الدين في كرمان، مما جعل العلماء وخاصة السيد عبد الله البهبهاني

---

(١) المصدر نفسه ص٣٣٦.

(٢) ناظم الاسلام كرماني، تاريخ بيداري ايرانيان ، جلداول، جاب ينجم، انتشارات، بيكا ، تهران ،١٣٧٦،ص٣٣٠.

(٣) طائفة من فرقة الشيعة المنشقين في ايران ، واتباعها ينكرون اراء الاخبارية، التي تعتمد على الروايات المنقولة (الاخبار) في المذهب وخاصة احاديث الامام الصادق(ع) ، فيعارضون كثرة الاحاديث التي جاوزت الحد المعقول ويرفضون التسليم بها ، وهم في نزعتهم هذه يقتربون من اراء اهل السنة، كما ينكرون بعث الاجساد المادية، فضلا عن انكارهم التصوف ،للمزيد، ينظر،رضا قلي خان هدايت، روضة الصفاي ناصري،ج١،ص٣٠.

(٤) حامد الكار ، نقش روحانيت بيشرو در جنبش مشروطيت، ص٣٣٨.

(٥) حسن شبر ، تاريخ العراق السياسي المعاصر،ج٢،ط١،دار المنتدى للنشر، بيروت،١٩٩٠،ص٦٥.

والسيد محمد الطباطبائي ، يخططون وبشكل علني للاطاحة بعين الدولة، الصدر الاعظم المستبد، الذي كان سببا أساسيا في تطور الاحداث[١].

وعلى الرغم من الغليان الذي تركته تلك الاحداث في نفوس الشعب الايراني، بادرت حكومة الشاه في عام ١٩٠٥ بمنح الروس موافقتها على انشاء فرع جديد تابع لبنك الاقراض الروسي [٢]، وقد وقع اختيار الروس على قطعة ارض كانت تابعة للاوقاف في وسط العاصمة طهران، لإنشاء مبنى البنك عليها، وكانت تضم خرائب مدرسة دينية ومقبرة اسلامية مهجورة، لذا تطلبت عملية البناء موافقة علماء الدين ، وعندما عرض الروس على السيد محمد رضا الطباطبائي فكرة انشاء المصرف عليها لم يبد أي موافقة على انشاء المصرف الروسي ، غير انهم استطاعوا اقناع الشيخ فضل الله النورسي[٣]، على بيعها بمبلغ ٧٥٠ تومان [٤]، مما اثار ذلك سخط علماء الدين في ايران بل وحتى علماء النجف ، غير ان الروس لم يولوا اهتماما لاعتراض العلماء ومضوا في البناء حتى ارتفع نصفه أو كاد، فوجد السيد عبد الله البهبهاني والسيد محمد الطباطبائي في ذلك فرصة سانحة لمعارضة عين الدولة وتواطؤ حكومته مع الاجانب وتسهيل سيطرتهم على البلاد[٥].

وفي اثناء ذلك اشيع خبر عن اخراج جثث الموتى المسلمين من قبورها في موقع العمل والقائها في بئر دون عناية بأمر مشرفي العمل الروس، وعندما سمع الناس بالخبر ثارت ثائرتهم، وقام احد الخطباء في طهران (الشيخ محمد الواعظ) بإلقاء خطبة من على منبر مسجد الاشتياني في طهران ، اعلن فيها بان البنوك الاجنبية تقوم على الربا في عملها

---

(١) زكي الصراف، المقالة الصحفية في الادب الفارسي المعاصر، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٨ ،ص٧٠.

(٢) منح هذا الامتياز في عهد ناصر الدين شاه عام ١٨٩٠، وكان من اهم الامتيازات التي منحت للروس بوصفه اداة للتغلغل الروسي في ايران، لمزيد من المعلومات ، يراجع،ز.ي.هرشلاغ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط، ترجمة مصطفى الحسيني،بيروت ،١٩٧٣، ص ١٩٤.

(٣) هو فضل الله بن عباس النورسي ولد عام ١٨٤٢ ، هاجر شابا الى العراق لدراسة الفقه واللغة العربية ، عاد الى ايران عام ١٨٨٢، كان من اوائل المطالبين بالدستور غير انه انقلب على الدستوريين واصبح من اشد المناوئين للثورة الدستورية فأعدم شنقا عام ١٩٠٩. للمزيد من المعلومات، يراجع، مهدي انصاري، شيخ فضل الله نوري ومشروطيت(رويارويي)، جاب سوم، انتشارات اميركبير ، تهران ١٣٧٨ ، ص١٢٠ وما بعدها؛ محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء، ج١، النجف،١٩٦٤،ص١٥٨.

(٤) يحق للمجتهد الشيعي بيع ارض الوقف في منطقته على اساس تبديلها بأحسن وتنفق حصيلة البيع لمصلحة المسلمين . مقابلة شخصية مع الشيخ صاحب الرفاعي بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١.

(٥) حامد الكار، نقش روحانيت بيشرود جنبش مشروطيت،ص٣٤٠.

خلافا للشرع الاسلامي وان العلماء حاولوا منع الاساءة لحرمة المقبرة فلم يستطيعوا، وأعلن انه سيقوم بزيارة المقبرة وقراءة الفاتحة على ارواح الاموات فيها ، الذين ستصبح قبورهم موطئ لأقدام الروس[1].ولما كانت صدور الناس مليئة بالغيض والغضب على الاجانب ، فكانت تلك الكلمات كافية لاثارة مشاعرهم فتوجهت جموعهم الغاضبة مع الواعظ حيث مكان المبنى ، ودفعهم حماسهم وكرههم للاجانب بالهجوم على المبنى و تدميره تماما[2].

ترتب على هذا العمل قيام الحكومة القاجارية بدفع غرامة مقدارها الف تومان للبنك الروسي كتعويض عن خسارته الناتجة عن هدم المبنى[3]. وقد ادت هذه الاعمال الى زيادة مخاوف وقلق المسؤولين الروس المتواجدين في طهران، ففي ١٨ تشرين الثاني ١٩٠٥ بعث سوموف القائم بالاعمال الروسي في طهران، تقريرا مفصلا الى بطرسبورغ عن الاوضاع في ايران اشار فيه الى حالة الاستياء والغضب الشديدين لدى سكان معظم المدن الايرانية لا سيما طهران العاصمة ، التي بدأت تظهر في مساجدها واسواقها حملات دعائية واسعة ضد الاجانب وحملات اخرى منظمة للهجوم على المصارف الاجنبية في ايران، فضلا عن ادانة الخطباء ورجال الدين لهؤلاء الاجانب من على منابر المساجد الدينية مضيفا الى ذلك قوله "الا ان هؤلاء الخطباء يدينون السياسة الداخلية الايرانية بحماس لا يقل عن ذلك... ففي ايران فرض العرف منذ القديم قانونا ينص على قطع يد السارق، الا ان هذا القانون لا يطبق الا بحق الفقراء. وان احتكمنا الضمير الا يستحق الجميع، بدءا بالشاه وانتهاءً بآخر موظف، ان تقطع ايديهم فيما لو طبق هذا القانون بعدالة" [4] . ولم يمر اكثر من اسبوعين على حادثة هدم مبنى البنك الروسي، حتى وقعت الحادثة المهمة والتي فجرت الاوضاع ، والتي تمثلت في موقف الحكومة من تجار طهران، ففي عام ١٩٠٥ عندما ازدادت اسعار السكر نتيجة الحرب الروسية – اليابانية ، اصدرت الحكومة الى التجار ببيع السكر بسعر محدود، غير ان التجار خالفوا هذه التعليمات لانها تسبب لهم اضراراً كبيرة،

---

(١) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران، تهران، بلا، ص٩٠.

(٢) حسن شبر ، تاريخ العراق السياسي المعاصر، ج٢،ط١، دار المنتدى للنشر ، بيروت، ١٩٩٠ ،ص٦٥.

(٣) احمد كسروي، تاريخ مشروطة، ايران، جلد اول،ص٥٧.

(٤) اسعد محمد زيدان الجواري، سياسة ايران الخارجية في عهد احمد شاه ١٩٠٩-١٩٢٥ ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، البصرة، ١٩٩٠، ص٦٧.

مما دفع علاء الدولة ، حاكم طهران، باستدعاء سبعة تجار، حضر منهم اربعة تجار الى دار الحكومة ، وكان من بينهم حاج سيد هاشم المعروف بالقندي [١]، وزميله الحاج سيد اسماعيل خان، وتم استجوابهم حول تحديهم للتعليمات التي اصدرها علاء الدولة بخصوص بيع السكر ، وكانت النتيجة ان امر حاكم طهران بمعاقبة هؤلاء التجار بضربهم بالفلقة واهانتهم علنا في البازار[٢].

أثار هذا الحادث مشاعر الناس وقرر التجار غلق محلاتهم، في حين تجمهر الناس في الشوارع واعتلى رجال الدين منابر المساجد منددين بالحكومة الجائرة لاستخدامها الاساليب الاستبدادية في معالجة المشاكل[٣]. وكان اكثر رجال الدين تهجما على الحكومة ، عبد الله كاوه والشيخ علي زركر، فضلا عن السيد عبد الله البهبهاني والسيد محمد الطبأطبائي اللذان اجتمعا بالجماهير الطهرانية الغاضبة في المسجد الجامع[٤]. وكانت النقمة الجماهيرية موجهة ضد علاء الدولة ، الا ان بعض الوطنيين اوضحوا للجماهير الغاضبة بان عين الدولة ، الصدر الاعظم ، هو رأس الفساد وسبب البلاء الذي يحل بالمواطنين والبلاد ، وحاول عين الدولة تفريق الجماهير المحتشدة في المسجد ، وفقا لاساليب القاجار المعروفة، فاشترى ذمم البعض بالمال ومنهم "ابو القاسم" امام جمعة طهران، الذي امره بان يندس بين التجمع الجماهيري الغاضب، الذي اعتلى فيه السيد جمال الدين الواعظ خطيبا موضحا الاجراءات الوحشية التي تتبعها الحكومة القاجارية مع تطور الاحداث على الساحة الايرانية، لاثارة البلبلة والفوضى بين المجتمعين، وفعلا قام امام جمعة طهران "ابو القاسم" واعوانه انذاك بتنفيذ ما مطلوب منه، وكان بارعا في ذلك ، مما ادى الى تفريق هؤلاء وانهاء التجمع [٥].

---

(١) هو من التجار المعروفين والذي كان يتمتع بمكانة كبيرة بين تجار طهران ، فضلا عن نفوذه الواسع بين رجال المؤسسة الدينية ، فقد بنى ثلاثة مساجد في العاصمة طهران على حسابه الخاص ، وكان عمره ٧٥ سنة حين استدعاه علاء الدولة للتحقيق معه ، لمزيد من المعلومات انظر، عباس اقبال اشتياني، تاريخ ايران بس از اسلام، فصل نوزدهم، انتشارات نامك، تهران، ١٣٩٥، ص١٧٣٢.

(٢) ناظم الاسلام كرماني، تاريخ بيداري ايرانيان، جاب بنجم،ص٣٣١.

(٣) فريدون آدميت، آيديولوجي نهضة مشروطيت، ايران، جلد اول، انتشارات بيام ، تهران، ١٣٥٤ ،ص١٤٠١.

(٤) مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد دوم، تهران، ١٣٢٩، ص٤٩.

(٥) .E.Brown, The Persian Revolution,P,113

وهكذا اخذت الاحداث تتطور باتجاه الثورة ضد هذا النظام الفاسد، وكان لرجال الدين الدور البارز في تطور تلك الاحداث . فبعد الخروج من المسجد الجامع، قرر علماء الدين التوجه الى مسجد الشاه عبد العظيم، الذي يبعد بضعة اميال جنوب طهران، لغرض التحصن في حضرته الشريفة، وبالفعل توجهوا الى هناك في مسيرة حاشدة قادها المجتهدين السيد عبد الله البهبهاني والسيد محمد الطباطبائي[١]. وقد بلغ عدد المتحصنين ما يقارب الفي شخص ، انضم اليهم فيما بعد عدد من طلبة المدارس الدينية وبعض التجار الصغار ، وقد اتخذ التعاون بين رجال الدين والتجار في هذه الاحداث منحا واضحا ، فقد قام كبار التجار بدفع نفقات الطعام للمتحصنين بالحرم ، فضلا عن تبني نفقات اعاشة العائلات الفقيرة التي خرج عائلوها للاعتصام في حرم عبد العظيم [٢]. وقد استمر الاعتصام شهرا كاملا ، كادت خلاله الحياة في طهران ان تصاب بالشلل، اذ تعطلت الاعمال اليومية وصفقات البيع والشراء الكبيرة، وتوقفت عقود الايجار والرهن وغيرها من الاعمال اليومية التي لها مساس مباشر بالعلماء المعتصمين، مما جعل احدى النساء الطهرانيات ان تعتلي منصة في سوق طهران، واندفعت تصيح بأعلى صوتها " ايها الناس لم لا تقاومون ؟ ذهب علماؤكم وسيجري عقود النكاح لبناتكم بعد الان المسيو ناوس البلجيكي"[٣] .

ولما طالت فترة اعتصام العلماء ، حاول عين الدولة ممارسة الضغوط عليهم، فخلع عنهم مسؤولية المدارس الدينية والمؤسسات الخيرية واوكلها الى غيرهم من رجال الدين القلائل الذين لم يشتركوا في الاحداث، الا ان محاولته باءت بالفشل فقد استمر العلماء بالاعتصام، ثم حاول اغرائهم بالمال عندما عرض على السيد محمد الطباطبائي مبلغ عشرين الف تومان ليترك الاعتصام، وكان الغرض من ذلك بث الفرقة والانقسام بين علماء الدين، غير ان الطباطبائي رفض ذلك المبلغ واعلن انه سيكون مع رفاقه المعتصمين حتى النهاية، الامر الذي دفع عين الدولة الى ارسال امير بهادر، وزير البلاط الايراني، لاقناع المعتصمين والعودة بهم الى طهران، الا ان محاولاته لم تنجح ايضا [٤].

---

(١) احمد كسروي، تاريخ مشروطة ايران، جلد اول ، جاب جهارم،ص٨.

(٢) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد دوم،ص٤٩.

(٣) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيان، جاب دوم، ص٥٩.

(٤) طاهر خلف البكاء، بعض من ملامح الثورة الدستورية من منظور المصادر العربية، (مجلة) كلية المعلمين، الجامعة المستنصرية، العدد الخامس، السنة الثانية ، حزيران،١٩٩٦،ص١٦٠.

ظهر واضحا وبشكل لا يقبل اللبس ضعف الشاه واعتماده على صهره عين الدولة في ادارة امور البلاد [١]، اذ لم يكن يعلم ما يجري في مملكته من احداث ، وبينما كان الشاه ذاهبا الى منزل امير بهادر جنك حيث كان مدعوا للغداء، اعترضت عربته امرأة سلمته رسالة مطوية ثم اختفت، وكانت الرسالة تحمل تهديدا بالقتل له ان لم يعمل على عودة العلماء واعطاء الشعب حقوقه ورفع الظلم عنه[٢].وفي طريق عودته الى مقر الحكم ، اصطف جمع من النساء في طريقه واخذن يبكين علماء الدين ويناشدنه بقولهن " ياشاه المسلمين .... علماء الاسلام ، ياشاه المسلمين ان الاسلام ليس سياسة الروس والانكليز" [٣].

وبعد وصول الشاه الى مقر حكمه ، قام باستدعاء صدره الاعظم عين الدولة واستفسر منه عن الاوضاع في العاصمة طهران، وحاول عين الدولة التظاهر امامه بان لا شيء يستحق اهتمام الشاه والتفكير به، ولكن الشاه طلب منه الاهتمام بالموضوع والعمل على اعادة العلماء خشية تفاقم الوضع وازدياد الاضطراب[٤].فوعده الصدر الاعظم تلبية ذلك، لكن الاخير اخذ يماطل ويسوف، وفي الوقت نفسه كان التعاون بين مختلف طبقات الشعب يزداد قوة، ومما اضعف مركز الحكومة، ان خصوم عين الدولة السياسيين، ايدوا الحركة المناوئة للحكومة وقدموا الاموال الوفيرة لتمويل نفقات المتحصنين،وكان من بين هؤلاء بعض من أفراد ألأسرة القاجارية نفسها،مثل أبو الفتح مرزا سالار الدولة،إبن الشاه وحاكم مدينة كردستان،على أمل الوصول لولاية العهد، وكذلك ولي العهد محمد علي مرزا الذي نفخ نار المعارضة ضد عين الدولة لما بينه وبين ألأخير من عداوة وكره شديدين[٥].

ومن جانب اخر اعتصم بعض علماء الدين الاخرين وفي مقدمتهم الحاج زين العابدين ، احد مجتهدي طهران ، في مبنى السفارة العثمانية بطهران، وقد عرض هؤلاء العلماء على السفير العثماني شمس الدين بك، ان ينقل مطالبهم الى الشاه، فرحب السفير

---

(١) جميل قوزانلو، تاريخ نظام ايران، جلد دوم، تهران، ١٣١٠،ص١١٦.

(٢) جهانكير خان قائم مقامي ، نهضت ازاد يخواهي مردم فارس در انقلاب مشروطيت ايران ١٣٢٣-١٣٢٤ه .ق (بر اساس اسناد رسمي)، انتشارات مركز ايراني تحقيقات تاريخي، تهران، ١٣٥٩،ص٤١.

(٣) احمد كسروي، تاريخ مشروطة ايران، جلد اول، ص٧٨.

(٤) يونس مرواريد، از مشروطة تا جمهورى، جلد اول، ص٥٩.

(٥) إيرج أفشار،أوراق تازة ياب مشروطيت مربوط به سالهاي ١٣٥٩-١٣٣٠قمري،جاب أول،إنتشارات جاويدان،تهران،١٣٥٩هـ ، ص٢٩.

بذلك، وجرت اتصالات سرية بين العلماء المعتصمين في السفارة العثمانية وزملائهم الملتجئين لحرم عبد العظيم، الذين اجتمعوا في احدى زوايا الحرم المطهر ومعهم بقية قادة المعتصمين ولمدة يومين تمخض عنه عدد من المطالب التي كان لعلماء الدين اثر واضح في تحديدها، اذ تضمنت هذه المطالب :

١. عزل علاء الدولة ، حاكم طهران، من منصبه.
٢. عزل المسيو ناوس عن ادارة كمارك ايران.
٣. اعادة الحاج مرزا محمد رضا من منفاه في رفسنجان الى كرمان.
٤. اعادة رئاسة مدرسة خان مروي الدينية للحاج الشيخ مرتضى الاشتياني.
٥. تأسيس ديوان العدالة (عدالة خانه) في جميع مدن ايران.
٦. فضلا عن تطبيق قوانين الاسلام في كافة انحاء البلاد [١].

وقد فوض المجتمعون يحلى دولت ابادي ، احد مثقفي ايران البارزين والرافضين لسياسة الاستبداد القاجاريه، بإيصال هذه المطالب الى السفير العثماني، لوجود روابط صداقة بين الاثنين[٢]. الا ان السفير العثماني اعاد تلك المطاليب ، بعد اطلاعه عليها، طالبا توضيح الفقرة السادسة، فأعاد (ملك المتكلمين) [٣] صياغتها لتصبح "تأسيس دار العدالة طبقا للشريعة الاسلامية المطهرة، وتشكيل مجلس شورى وطني لتطبيق المساواة في كافة انحاء البلاد ، بحيث يتساوى فيه الجميع، ويعطى كل ذي حق حقه"[٤]. ثم اعيدت بعد ذلك الى السفير العثماني، الذي اعجب بها قائلا " انها تعبر بصدق عن مشاعر الامة بكاملها"[٥]. وعندما عرض السفير العثماني تلك المطالب على الشاه ابلغه بانها مطالب صفوة رجال الدين وعلمائه، وان ما قاله رئيس وزرائه من انهم "أوباش ونفعيون" هو كلام زائف

---

(١) محمد حسن اديب هروي، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران، بلا، مشهد، ١٣٣١، ص٥٤.
(٢) ايرج افشار، اوراق تازه ياب مشروطيت، ص٢٣٩ – ٢٤٠.
(٣) هو الحاج المرزا نصر الله البهشتي المعروف بملك المتكلمين ، كان من اصحاب الفكر والمبدأ والجهاد، وايضا كان من الخطباء المشهورين ومن الوعاظ الذين ذاع صيتهم في مقاومة الاستبداد القاجاري، والذي قاده اخيرا الى حبل المشنقة من قبل اجهزة النظام القاجاري عام ١٩٠٨، انظر حسن مرسلوند ، حاج شيخ هادي نجم ، بادي ومشروطيت، انتشارات وزارات فرهنك وارشاد اسلامي، تهران، ١٣٧٨، ص٥٥.
(٤) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص ٨٤.
(٥) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد دوم، ص٨٣.

وغير صحيح، مؤكدا وضوح ذلك من خلال المطالب التي صاغها رجال الدين لا سيما المطلب السادس الذي يعتبر مطلبا عادلا، فبالرغم من وجود دائرة العدل ووزيرها، الا انه لم يكن يوجد حق ولا عدالة فعلية في هذا البلد[١].وازاء هذا التحرك النشط والاصرار على تلبية مطالب الشعب، وافق مظفر الدين شاه على مطالب علماء الدين ورجال الحركة الوطنية[٢]. واصدر تعليماته ضمن منشور خاص الى رئيس وزرائه في كانون الثاني عام ١٩٠٦ طالباً منه اعادة علماء الدين وانصارهم الى طهران والعمل على تنفيذ ما أرادوه ، وكان من الطبيعي جدا ان ينتشر الخبر بسرعة البرق في جميع الولايات الايرانية[٣]. وهكذا انتهى الاعتصام في ١٢ كانون الثاني ١٩٠٦ ورجع العلماء المعتصمين الى طهران بالعربات الملكية يرافقهم امير بهادر جنك، وزير البلاط، وعدد من رجال البلاط القاجاري، واستقبلتهم حشود الجماهير الواسعة في طهران استقبالا كبيراً وهم يهتفون "لتحيا الامة الايرانية" ، وهي المرة الاولى التي يسمع فيها تعبير الامة الايرانية في شوارع طهران[٤]."كما ارتفعت منذ ذلك الحين مكانة السيد محمد الطباطبائي وعبد الله البهبهاني في نظر الجماهير كقادة ثوار وعلماء مجاهدين[٥] .

وبعد فترة قصيرة من عودة العلماء الى طهران ، طلب مظفر الدين شاه مقابلتهم على الرغم من ان صحته لم تكن تسمح بذلك، وبدأ الحديث المتبادل مع الشاه دون تردد او استأذان بل وحتى انهم كانوا يقاطعونه في كثير من الاحيان، ، مما احس خلالها الشاه بصغر حجمه امامهم فكان ولأول مرة يقول فيها عن نفسه "انا وليس نحن"[٦]. وعند انتهاء المقابلة وعودة العلماء من قصر كلستان، احاطت بهم جموع الجماهير ورافقتهم حتى منازلهم ، وزينت طهران وفتحت الاسواق ودبت الحياة فيها[٧].

---

(١) المصدر نفسه ، ص٨٤.

(٢) P.Sykes, A History of Persia, Oxford at the Clarendon, London, 1922, P,144.

(٣) ايرج رودكر كيادارا، محال ثلاث(تنكابن، كلارستاق، كجور) در نهضت مشروطيت، انتشارات كيان ، تهران، ١٣٨١، ص١٥٥.

(٤) عبد الله رازي، تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسلة ماد تا عصر حاضر، جاب اول، انتشارات اقبال، تهران، ١٣٣٥، ص٥٠٨.

(٥) علي الوردي ، المصدر السابق، ص١٠٨.

(٦) ناظم الاسلام كرماني، تاريخ بيداري ايرانيان ، جاب دوم، ص٥٩.

(٧) رحيم رضا زاده تكت، انقلاب مشروطة ايران به روايت اسناد وزارت امور خارجه انكليس ، انتشارات معين، تهران، ١٣٧٧، ص١٥.

اخذ العلماء ومن ورائهم الجماهير ينتظرون تنفيذ الوعود التي قطعها الشاه على نفسه ضمن منشوره الرسمي وعلى رأسها تطبيق احكام الشريعة الاسلامية، وتأسيس دار العدالة، وتأمين المساواة والعدالة لجميع المواطنين ، غير ان رئيس الوزراء عين الدولة لم تكن لديه الرغبة في تنفيذ هذه المطالب وراح يعمل على كسب الوقت لتمييعها، فقد شكل لجنة لدراسة الموضوع ، وضع عوامل فشلها مسبقا، حيث ضمت اللجنة امير بهادر، الذي كان اكثر الاعضاء تصلباً وضد هذه المطالب، وكان يعتبر سلطات الشاه مقدسة لايجوز الانتقاص منها[١].

وبعد ان بدأت اللجنة اعمالها في نيسان ١٩٠٦، دبت الخلافات بين اعضائها ، فأدرك علماء الدين نية الحكومة في عدم تنفيذ ما ورد في المنشور الملكي ، لذا قرروا التوجه مباشرة الى الشاه في محاولة اخيرة لتحقيق مطالبهم[٢]. غير ان عين الدولة فرض حصارا قويا على الشاه للحيلولة دون وصول اية رسالة اليه، وفشلت محاولات علماء الدين في ايصال صوتهم اليه، فحاول السيد محمد الطبأطبائي ان يقلل من مخاوف عين الدولة وتصلبه، عن طريق اقناعه بأن المطالب التي قدموها للحكومة هي في صالحها، وكتب اليه قائلا "ان دار العدالة الذي نريده سنتضرر نحن به أولاً، لان الناس اذا كانوا مرتاحين ولا يرون الظلم فانهم سوف لن يحتاجون لنا، وستغلق ابواب منازلنا"[٣]. وبذا تمكن الطبأطبائي الطبأطبائي من ان يبعث برسالة الى الشاه جاء فيها "لما كانت سبل الوصول اليك مغلقة بوجوه ذوي الحاجات ولا يدعون مطالبهم تصل اليك ، فإني اخبرك ايها الملك بأن البلاد خربة، والشعب قلق، والحكام وأفراد النظام أحراراً في تعديهم على اموال الرعية، وظلم الحكام واعوانهم لا حد له ، فهم يأخذون من اموال الشعب ما شاءوا، ويتبعون ما تحكم به شهواتهم وغضبهم، من الضرب والقتل وقطع الاعضاء، وهذه الاموال الطائلة والعمارات الشاهقة التي امتلكوها بهذه الفترة القصيرة، الم تكن من اموال الرعية الضعفاء؟. ايها الملك لا يمكن تبيان ما يعانيه هذا الشعب من ظلم الظلمة، في هذه الرسالة المختصرة، انهم يخفون كل هذه القضايا عنكم ولا يدعونكم تطلعون عليها، وعما قريب ستكون هذه الدولة جزءً من الدول الخارجية ومن المسلم انكم لن ترضوا ان يذكر التاريخ يوما ان ايران قد

---

(١) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٨٠.

(٢) E.Brown,The Persia Revolution, P,115 .

(٣) عبد الهادي حائري، تشيع ومشروطيت در ايران

انتهت في عهدكم ، وان الاسلام قد ضعف والمسلمين قد ذلوا في ظل حكومتكم، لذا فان مجلس العدالة هو الذي سيحل جميع هذه المشاكل، بعد ان يتشكل من لجنة تضم كل الفئات المخلصة والراغبة في اصلاح لابلاد، وهو الذي يستطيع ايقاف تحديات الدول الخارجية على ممتلكات البلاد"[1]. وظلت المراسلات قائمة بين رجال الدين والشاه والحكومة وازدادت شقة الخلافات يوماً بعد آخر ، وتوقع رجال الدين ان الحكومة الايرانية تماطل في عدم تلبية مطالبهم وتكسب الوقت لصالحها، لذا فقد لجأ العلماء الى اصدار المنشورات السرية التي اخذت تملأ الجدران في طهران، تنعت عين الدولة بالخيانة وتوصم الحكومة بالكذب والخداع وتطالب بانشاء مجلس شورى ينطق بإسم الامة ، وكانت تلك افكار جديدة متطورة[2].

ولم يقف الامر عند هذا الحد فحسب، بل تطورت الاحداث بشكل آخر، فقد أخذ كبار علماء الدين والوعاظ يندون بالحكومة ويهاجمونها بعنف في مختلف مساجد طهران وفي مقدمتهم سيد جمال الدين الواعظ وحاج شيخ محمد واعظ وحاج شيخ مهدي واعظ ومرزا باقر الريزخوني، فضلا عن قيام السيد عبد الله البهبهاني ومحمد الطبأطبائي بالقاء الاحاديث في المساجد والمجالس الدينية ، واصفا فيها عين الدولة بأنه محور الشر في هذه البلاد ، ومن جانب اخر قال محمد الطبأطبائي في أحدى خطبه مخاطبا الحكومة الايرانية "ان داءكم هو الاستبداد ودواؤكم الشورى، وسنظل نطالب بمجلس عدلية يتساوى فيه الشاه والفقير ولو بقينا كذلك عشر سنوات[3]. وهنا حاول عين الدولة امتصاص نقمة العلماء عندما تعهد للسيد محمد الطبأطبائي بتأسيس دار العدالة بأسرع وقت ممكن ، وعندما رأى الطبأطبائي ان عين الدولة بدأ يتهرب من تنفيذ وعده له بحجج واهية، طالبه علناً بتأسيس مجلس استشاري وطني[4].

وفي ظل هذه الظروف الاستثنائية يمكن القول ان استخدام العنف من قبل السلطة الحاكمة ، وقيادة رجال الدين للجماهير الغاضبة، لم يقتصر على العاصمة طهران بل تعداها

---

(1) احمد كسروي، تاريخ مشروطة ايران، جلد اول، جاب جهارم، ص٧٩، العقيقي البخشايشي، المصدر السابق، ص٨٣-٨٤.

(2) احمد كسروي، تاريخ مشروطة ايران، جلد اول ، جاب جهارم، ص٨٣.

(3) زهراء شجيعي، نما يندكان مجلس شوراى ملي در بست ويك دورة قانونكذاري، مؤسسة مطالعات وتحقيقات اجتماعي، تهران ، ١٩٨٥،ص٧٣.

(4) حامد الكار ، المصدر السابق، ص٣٤٥.

الى مدن ايرانية اخرى، ففي شيراز اعطى شجاع السلطنة ، حاكم المدينة ، امرا باطلاق الرصاص على المجتهدين المحتشدين في احد مساجدها مما ادى ذلك الى اصابة عدداً كبيراً من اتباعهم ، الامر الذي دفع علماء شيراز الى ارسال برقية احتجاج شديدة اللهجة الى حكومة طهران،تم على اثرها عزل شجاع السلطنة[1]. وفي مدينة مشهد اخذت اعمال العنف شكلاً آخر حيث اتفق آصف الدولة ، حاكم المدينة، مع احد التجار الكبار المدعو حاج محمد حسن بأحتكار الحبوب مما أدى ذلك الى ارتفاع اسعار الخبز، فقاد علماء الدين الجماهير في مظاهرة واسعة طافت شوارع المدينة ندد خلالها المتظاهرون بسياسة الاستبداد والتجويع التي يمارسها حكام الولايات اللصوص ، فأرسل آصف الدولة مجموعة من الجند وأمرهم بأطلاق النار على المتظاهرين، فما كان على هؤلاء الا ان يلجأوا الى حرم الامام الرضا(ع) ولكن الجند استمروا بملاحقتهم واطلاق النار عليهم داخل الحرم، فأصابت احدى اطلاقاتهم قبة الامام، الامر الذي اعتبره علماء الدين اهانة للعتبات المقدسة داخل ايران، وكانت سابقة خطرة ، مما زاد من غضب الجماهير ضد الحكومة[2]. كما شهدت مدينة كرمان مظاهرات صاخبة ضد سياسة ظفر السلطنة، حاكم المدينة، التعسفية تجاه الاهالي في المدينة ، ولم تكن مدن اذربيجان أقل حماساً من بقية المدن الايرانية الاخرى رغم جور وظلم حاكمها محمد علي مرزا ولي العهد[3].

ومن جانب اخر حاول عين الدولة فرض سيطرته على الاوضاع الداخلية واخماد الاضطرابات، فاستخدم سياسة حضر التجول ليلا، وأصدر اوامره بمعاقبة المخالفين بالحبس حتى اليوم التالي، غير ان تلك الاوامر استبدلها مسؤولي الشرطة هناك، بشكل كيفي، بغرامة تومان لكل شخص ليزيدوا من دخلهم اليومي، فأصبح من المتعذر على الايراني الخروج من منزله بعد حلول الظلام، خصوصا وان عين الدولة قد ملأ شوارع طهران بجنود القوزاق[4].

---

(١) علي اصغر شميم، ازنادر تا كودتاى رضا خان مبرنخ، جاب سوم، انتشارات مدير، تهران، ١٣٧٥، ص٢٢.

(٢) عبد الله رازي، تاريخ مفصل ايران، ص٥٠٨، لازم لفتة ذياب المالكي، ايران في عهد مظفر الدين شاه ١٨٩٦ – ١٩٠٧ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٧، ص١٥٥.

(٣) المصدر نفسه،ص١٥٥.

(٤) . E.Brown,The Persian Revolution,P,113

تظافر تطور الاحداث الايرانية بهذه الصورة الخطيرة مع ملازمة مظفر الدين شاه للفراش بسبب مرضه، الامر الذي دفع عين الدولة لانهاء الازمة بسرعة وبأساليبه القمعية المعروفة، فشن حملة ملاحقة واعتقال ونفي ضد العديد من علماء الدين والشخصيات القريبة منهم والمتعاونين معهم فقد نفى الحاج مرزا حسن رشديه ومجد الاسلام كرماني ومرزا أغا الاصفهاني الى قلعة (نادرى)[1] . كما نفى جمال الدين الواعظ الى قم، الامر الذي دفع بقية الوعاظ ورجال الدين التشهير بأعمال عين الدولة غير العادلة وانتقادها من على منابرالمساجد، وتبصير الشعب بالفساد الأخلاقي لحاشيته[2]. فقامت مجموعة من الجند بقيادة الضابط احمد خان بإلقاء القبض على حاج محمد واعظ ووضعته في السجن، فتصدت لهم الجماهير لانقاذه من السجن مما دفع احمد خان إلى إعطاء أوامره إلى الجند بإطلاق النار على الجماهير ، الا ان الجند امتنعوا عن تنفيذ الأمر ، فأطلق هو بنفسه النار على المتظاهرين فأصاب بعضهم بجروح وقتل سيد حسن، احد طلبة مدرسة العلوم الدينية، فحملته الجماهير وأخذت تطوف به في الشوارع وحول المدرسة الدينية[3]. ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل راحت الجموع الغاضبة تطوف شوارع طهران هاتفه بسقوط الحكومة، مما دفع عين الدولة بجلب قوات إضافية إلى طهران وعين محمد ولي خان سبهسالار حاكماً عليها، وقامت الحكومة بنشر البيانات التي وصفت من خلالها المعارضين بالعصاة، وإنهم يعملون بوحي من الأجانب ، الا ان ذلك لم يقلل من عزيمة الثوار الذين بدأوا يصطدمون بشكل مباشر مع السلطة ، ففي احدى التجمعات قتل احد طلبة العلوم الدينية المدعو سيد عبد المجيد، الذي ينتمي إلى إحدى الاسر العلوية، من قبل احد رجال الشرطة عند مجاهرته بالمطالبة بالدستور امام الملأ[4]. فتحول مقتله إلى تظاهرة عارمة قادها رجال الدين ، اذ توجهت تلك الجموع وهي تحمل جنازة الموما إليه الى مسجد الجمعة في وسط طهران، وقد انخرط في هذه التظاهرة مختلف طبقات المجتمع الايراني، فقد ضمت طلاب المدارس الدينية والتجار والكسبة وبعض اعضاء الجمعيات السرية، فضلا عن المجتهدين عبد الله البهبهاني

---

(١) أحد المناطق النائية في جبال خراسان، وعرفت بهذا الاسم نسبة الى نادر خان واتباعه الذين كانوا ينطلقون منها لممارسة عمليات السلب والنهب، لمزيد من التفاصيل حول موقعها وتاريخها ،يراجع، G.N.Curzon,OpCit,PP,134 –140.

(٢) علي أصغر شميم، از نادر تا كو دتاى رضا خان، ٣٦١.

(٣) رحيم رضا زاده تكت، انقلاب مشروطه ايران، ص١٦.

(٤) . E.Brown, The Parsian Revolution, P,117

ومحمد الطبأطبائي، وطالبوا بتأسيس دار العدالة فورا اوالسماح لهم بمغادرة طهران، وبعد ان حاصرت قوات القوزاق المسجد والشوارع المحيطة به، وكان عدد من المتظاهرون يرتدون الاكفان استعدادا للشهادة، فكان ذلك يزيد من معنويات الجماهير التي اندفعت في الشوارع تحطم طوق الحصار، الا ان القوات الحكومية اطلقت عليهم وابلا من نيران أسلحتها أدى إلى سقوط (٢٢) قتيلا وجرح أكثر من مائة شخص[١].فاضطر المتظاهرون نتيجة ذلك التراجع إلى المسجد والتحصن فيه، وقد استمر الحصار مفروضا عليهم لمدة ثلاثة ايام، فاعتلى السيد عبد الله البهبهاني المنبر وأخبر المحاصرين " إن الجواب على مطالبكم هو المزيد من الرصاص" واستحلفهم بالقرآن على العودة إلى منازلهم وإرسال الكتب إلى الشاه لإعلامه بالأمور[٢]. وإبلاغه إصرار العلماء على موقفهم حتى تتحقق جميع المطالب[٣].

استمرت محاصرة القوات الحكومية للعلماء في مسجد الجمعة حتى اليوم الرابع، ولكنها اضطرت أخيرا إلى فك الحصار بعد أن هدد العلماء بمغادرة إيران إلى العراق، وهكذا غادر العلماء طهران متوجهين إلى مدينة قم المقدسة في السابع عشر من تموز ١٩٠٦ ومعهم ما يقارب ألف شخص ، وكان في مقدمة العلماء المهاجرين سيد عبد الله البهبهاني وسيد محمد الطبأطبائي[٤]. فضلا عن صدر العلماء[٥].

لقد كانت هجرة العلماء إلى مدينة قم، والتي عرفت في تاريخ الحركة الإصلاحية الإيرانية (بالهجرة الكبرى)نظرا لبعد المسافة بين طهران وقم، تطورا خطيرا في مسار الاحداث،فقد كشفت عن القاعدة القوية للحركة المعارضة، والدور القيادي لعلماء الدين وقدرتهم على تحريك الأحداث، وأثبتت إن حركة المعارضة عميقة الجذور وان من الصعب إيقافها عند نقطة معينة ، كما أعلن المضربون انهم سيستمرون في اضرابهم حتى تستجيب

---

(١) "حبل المتين" (مجلة) ، كلكتا، العدد ٦٧،٢٨ ايلول، سبتمبر ١٩٠٦،ص١٠.
(٢) رحيم رضا زاده تكت، انقلاب مشروطه ايران،ص١٦.
(٣) عباس اسكندري، تاريخ مفصل مشروطيت ايران با كتاب آرزو، جاب أول ، تهران، ١٣٢٢،ص١٥٠.
(٤) رحيم رضا زاده تكت، انقلاب مشروطه ايران ،ص٢١.
(٥) هو سيد يعقوب صدر العلماء خراساني أحد أبرز علماء الدين في خراسان، اصبح فيما بعد عضوا في الحزب الديمقراطي وممثلا لمدينة خراسان في مجلس الشورى الوطني، توفي عام ١٣٣٦-١٩١٨، لمزيد من المعلومات ، يراجع، ايرج افشار، اوراق تازه ياب مشروطيت،ص٣٣٨.

الحكومة لمطالب المجتهدين[١]. ومن الجدير بالذكر ان السيد عبد الله البهبهاني ، وقبل مغادرته طهران أي في ٩ تموز ١٩٠٦، قد ارسل رسالة الى غرانت دف (Grant Duff)، الوزير المفوض البريطاني، طهران ، طلب فيها توسطه لدى الشاه لرفع الظلم والحيف عن الشعب الايراني، وعلى الرغم من ان الوزير المفوض قد اعتذر ، متذرعا بعدم قدرته على ذلك، الا انها كانت بداية التدخل البريطاني السافر في الحركةالوطنية الاصلاحية، كما انها كانت بمثابة "فتوى" لجماهير الوطنيين باللجوء فيما بعد للمفوضية البريطانية[٢]. وفي ١٦ تموز كتب سيد عبد الله البهبهاني رسالة اخرى الى الوزير المفوض البريطاني أكد فيها على ضرورة توفير الحماية للايرانيين، وفي ١٨ تموز ١٩٠٦ اتصل شخصان مجهولان بالمفوضية في قلهك، على بعد اميال قليلة شمال طهران ، استفسرا عما اذا كان بامكانهم واصدقائهم اللجوء الى المفوضية البريطانية في طهران والتحصن فيها ، فكان جواب الوزير المفوض البريطاني انه لا يشجع مثل هذه الفكرة لان المفوضية البريطانية لا يمكنها التدخل في مثل هذه الامور، ولكنه افهمهم في الوقت نفسه انه اذا جاء الناس الراغبون بالاعتصام بالمفوضية دفعة واحدة فإنه لايمكن ردهم طبقاً للعرف الايراني المتبع[٣].

أما في لندن فإن وزير الخارجية البريطاني ادوارد كراي (Edward Gray)، كان يخشى ان يؤدي ذلك الى تأزم العلاقات بين حكومته والحكومة الروسية، وتضامنا مع رجال الدين المعتصمين في قم ، لجأ في ١٩ تموز ١٩٠٦خمسون شخصا من طلاب المدارس الدينية والتجار للمفوضية البريطانية[٤] في طهران، طالبين حمايتهم من اضطهاد الحكومة

---

(١) علي الخاقاني ، شعراء الغري، ج١،النجف، ١٩٥٦،ص٨٥.
(٢) طلال مجذوب، المصدر السابق ، ص١٤٢.
(٣) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران،ص٨٣.
(٤) فضل الايرانيون الاعتصام داخل المفوضية البريطانية في طهران لاعتقادهم بأن البريطانيين يؤيدون الثورة، اذ ان بريطانيا اوهمتهم بذلك، ولكن هدفها الاساسي هو النيل من النفوذ الروسي، في حين لم يلجأ الايرانيون الى السفارتين العثمانية والروسية وذلك بسبب توتر العلاقات مع الدولة العثمانية ولقناعتهم المطلقة بأن النظام الروسي هو نظام مستبد لا يؤيد الثورة لذلك لم يكن أمام الايرانيين سوى المفوضية البريطانية . لمزيد من التفاصيل، انظر احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، جلد اول، جاب جهارم، ص١٠٩.

القاجارية، ثم اخذت اعدادهم تزداد حتى بلغت اثنا عشر الف شخص في نهاية تموز، وفي ٢ آب تجاوزته حتى بلغت اربعة عشر الف شخص تقريباً[١].

نصب المعتصمون العديد من الخيام والتي بلغت المئات في حديقة المفوضية البريطانية الواسعة، اذ ساهمت المفوضية البريطانية بحوالي "٥٠٠" خمسمائة خيمة منها، في حين احضر المعتصمون ما تبقى من تلك الخيام التي نصبت فعلا للمعتصمين الذين كان غالبيتهم من التجار وصغار الحرفيين وعدد من رجال الدين، ومن الجدير بالذكر ان رجال الدين ادوا دوراً مهماً في تنظيم هذه الالوف من الناس والدليل على ذلك ان هذا الاعتصام على الرغم من كثرة اعداد المشاركين فيه الا انه كان خالياً من الفوضى والاضطراب، الى الحد الذي اشاد بهذا التنظيم بعض الدول الاوربية[٢].

وفي الاتجاه نفسه قام المعتصمون بتشكيل لجان توزعت المهام فيما بينها فبعضها كان ينظم الحراسة والانضباط، وبعضها الآخر يشرف على اعداد التموين لاطعام اللاجئين وتوفير كافة مستلزماتهم، كما نظمت عمليات الدخول الى مقر الاعتصام والتي اقتصرت على طلاب وهيئة تدريس "دار الفنون وكليتي الزراعة والعلوم السياسية" ، وتحولت حديقة المفوضية البريطانية الى ما يشبه المدرسة في العراء حيث تم القاء المحاضرات حول النظم الدستورية في اوربا وفوائد النظام الجمهوري للدولة[٣] ، وقد حرصت الدولة على جمع النقود من التجار والأغنياء لمساعدة أصحاب الاجور المحدودة ضمانا لاستمرارهم في الاضراب[٤]. ومن المثير للانتباه ان زوجة المدير المفوض البريطاني في طهران تعاطفت كثيرا مع المعتصمين وايدتهم في طلباتهم التي لم تقتصر على تأسيس دار العدالة حسب ،بل المطالبة كذلك بالحرية والمساواة والشورى والدستور، تلك المطالب التي اختمرت في اذهان الايرانيين لتترجم على ارض الواقع آنذاك[٥].

أدى رجال الدين دورا مهما في تثقيف المعتصمين وتوجيههم باتجاه انهاء حالة الاستبداد القاجاري، إذ كان هؤلاء يعقدون مجالس العزاء ليلاً، هذه المجالس التي نشط فيها الخطباء والوعاظ للحديث عن حالة البلاد السياسية والمآسي التي يعيشها الشعب الايراني،

(١) رحيم رضا زاده تكت، انقلاب مشروطه، ايران، ص٢٢.
(٢) هاشم محيط مافي، مقدمات مشروطيت ايران، انتشارات علمي، تهران،١٩٨٤، ص٩٧.
(٣) ناظم الاسلام كرماني، تاريخ بيداري، ايرانيان، جاب دوم،ص٢٧٤.
(٤) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران،ص٨٤.
(٥) علي الخاقاني ، المصدر السابق، ص٨٥.

حيث كان لكل خيمة خطيب يعرف جيداً كيف يستطيع ان يكسب مشاعر الناس اليه ولحديثه الذي طالما يختتم عادة بالحديث عن حادثة الطف المعروفة وما تعرض له الحسين بن علي(ع) آنذاك من مآسي تهز المشاعر من خلالها وتدفعهم الى رفض الذل والاستبداد[١].

اما الحكومة الايرانية فلم تتخذ أي اجراء حيال عملية اللجوء الى المفوضية البريطانية خاصة في بداية الامر ، ذلك لاعتقادها بأن الامر سوف يقتصر على مجموعة صغيرة من الناس لن يطيل بهم المقام في المفوضية كثيراً، الا ان اندفاع الالوف من الناس واصرارهم على تحقيق مطالبهم خيب امال الحكومة التي قامت بمحاصرة الطرق المحيطة بالمفوضية والذي جاء متأخراً وعديم الفائدة. الامر الذي دفع الحكومة الايرانية الى محاولة استمالة المعتصمين، فأرسلت اليهم وفدا من التجار المعتدلين لاقناعهم بالخروج من المفوضية والدخول مع الحكومة في مفاوضات ودية ، الا ان المحاولة باءت بالفشل ، وكذلك فعل العلماء المتحصنين في قم عندما أرسل الوفد نفسه يرغبهم بالعودة الى طهران[٢].

لقد كان تجمع المضربين في المفوضية البريطانية فرصة عظيمة اتيحت للوطنيين ورجال الدين لتبادل الاراء ودراسة الاوضاع في ايران ، وتوضيح اهداف ومبادئ الحركة لتلك الالوف المتحمسة من سكان طهران. وعلى الرغم من تفاوت الوعي الثقافي والسياسي بين تلك الجموع المتحصنة، الا انها كانت تشترك في هدف واحد الا وهو كرهها للنظام القاجاري الاستبدادي ورغبتها في الخلاص منه ، وتبعا لذلك التفاوت فإن الكثير من المعتصمين كان يعتقد ان المطلب الرئيسي هو تخفيض اسعار الخبز واللحم في اسواق طهران[٣]. كما اعتقد البعض الاخر ان حل المشكلة يكمن في عزل عين الدولة . ولذلك جاءت مطالبهم بسيطة ومحددة مع الاحتفاظ بمطالبهم السابقة، وكما يلي:

١. عودة العلماء المهاجرين الى طهران.
٢. نشر الامان والطمأنينة في جميع انحاء ايران.
٣. تأسيس محاكم قانونية وتسليم أمورها بيد موظفين أمناء.
٤. القصاص من قاتلي سيد عبد الحميد

---

(١) E.Brown, The Persian Revolution, P,120.
(٢) مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ، ايران، جلد دوم، ص٣٢.
(٣) محمد حسن اديب هروي ، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران، جلد دوم، ص٣٢.

٥. عدم مغادرة المفوضية البريطانية مالم تستجب الحكومة لمطالبهم.[١]

أما الحكومة الايرانية فقد استهانت بهذه المطالب وأجابت عليها في مذكرة بعثتها الى المفوضية البريطانية تضمنت النقاط التالية:

١. ان هجرة بعض رجال الدين من طهران بمحض ارادتهم وعزمهم بالذهاب الى العتبات المقدسة امر عادي وممكن الحدوث في ايران، فضلاً عن ان هجرتهم لم تؤثر على سير الامور في العاصمة، خاصة وان العلماء الباقين فيها يقومون بكافة الاعمال.

٢. فيما يخص الامان في مملكة ايران ، فإنها آمنة بشكل تام، وما نشر الجنود في الشوارع الا لتهدئة الامور وحماية المواطن.

٣. تعجب الحكومة من طلب تأسيس محاكم قانونية، لأن مثل هذه المحاكم قائمة في ايران منذ زمن بعيد وتقوم بواجباتها على اكمل وجه ، ويشترك في ادارتها أناس من كافة طبقات المجتمع الايراني.

٤. اما فيما يخص القصاص من قاتلي سيد عبد الحميد فإن مقتله لم يكن مقصوداً، وان الحكومة تحقق في ذلك الامر حتى الوقت الحاضر.

٥. أما اصرار المعتصمين انهم لن يخرجوا من حماية العلم البريطاني الا بعد الاستجابة لمطالبهم ، فإن الحكومة الايرانية ترى ان لا تجاريهم المفوضية البريطانية حفاظا على العلاقات بين البلدين[٢].

حملت المذكرة الجوابية للحكومة الايرانية اعلاه الكثير من المغالطات والتخريف والكذب ، اذ كانت القوات الحكومية تقوم بمطاردة الوطنيين وتلحق بهم اضرارا بليغة، في حين اصدرت السلطة اوامرها لجنودها بنهب وسلب كل المحلات المغلقة التي تركها اصحابها للمشاركة في تطور الاحداث الايرانية[٣]،ولم تكتف الحكومة بذلك فقط ، بل طالبت المعتصمين بالكف عن "اثارة الفوضى او العودة الى جادة الصواب"[٤].

الا ان ذلك لم يزد المعتصمين الا اصرارا وثقة على مواصلة النضال، وفي الوقت نفسه كان فرصة لهم ليتدارسوا وضعهم ويتقدموا بعد ذلك بمطالب اكثر دقة وشمولا وذلك عن طريق

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٥.
(٢) محمد حسن اديب هروي، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران، ص٥٦.
(٣) علي الخاقاني، المصدر السابق،ص٨٦.
(٤) اسماعيل رائين، نجمنهاي سرى در انقلاب مشروطيت، تهران،١٩٤٤،ص١٩.

الوزير المفوض البريطاني الذي طلبوا منه تقديمها الى الشاه، تضمنت تلك المطالب النقاط التالية:

1. **اعادة العلماء المهاجرين الى مركز ايران "طهران" بكل احترام.**
2. **افتتاح دار للشورى في ايران لتضع القوانين للبلاد.**
3. **عزل شاهزاده اتابك عين الدولة.**
4. **معاقبة قتلة سيد عبد الحميد وسائر شهداء الوطن الذين سقطوا في بداية احداث الثورة.**
5. **اعادة المنفيين من العلماء مرزا حسن رشديه، مجد الاسلام كرماني، والتجار وغيرهم الى مناطقهم الاصلية[(١)].**

أدت المواقف الراسخة لعلماء الدين واصرارهم على الاستجابة لمطالبهم الى انتشار الثورة في كافة انحاء ايران، ففي شيراز تحرك اهلها واعتصم اكثر من ثلاثمائة منهم في مبنى القنصلية البريطانية في شيراز[(٢)]. وفي مدينة تبريزبادر علمائها الى ارسال الكثير من البرقيات الى الشاه وولي عهده محمد علي مرزا، طالبوا فيها عودة علماء الدين وتحقيق مطالبهم ، في الوقت الذي اظهر فيه محمد علي مرزا حقده على عين الدولة وتعاطفه مع المحتجين، فأرسل برقية من مقره في تبريز الى المفوضية البريطانية أعلن فيها تأييده لحركة الثوار واستنكاره لاجراءات الحكومة الايرانية[(٣)]. كما ادى الانفلات الامني وتماهل الجند المحيطين بالمفوضية البريطانية الى سهولة تبادل الرسائل بين العلماء المهاجرين الى قم وبين المتحصنين في المفوضية المذكورة، مما سهل ذلك كثيرا من تنسيق المواقف وتوحيد الجهود[(٤)]. وفي الوقت الذي ادت فيه المفوضية البريطانية دورا مهما في التوسط بين الحكومة الايرانية وقادة المعارضة الشعبية ، والذي ادى بدوره الى تعاظم النفوذ البريطاني في البلاد، اقتصرت المفاوضات في بادئ الامر على ممثلي الوطنيين من التجار والعمال بينما لم يمثل رجال الدين أي شخص، الامر الذي ادى الى فشل المفاوضات وزاد

---

(١) محمد حسن اديب هروي ، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران، ص٥٧.
(٢) جها نكير خان قائم مقامي ، نهضت ازاد يخواهي مردم فارس در انقلاب مشروطيت ايران، ص٤٨.
(٣) ف.و. ٢٨/٤١٦ من برقية دف الى كراي برقم ٢٤٨٣٨/١٩٢ طهران في ٢١ تموز ١٩٠٦.
(٤) سعيد زاهد ، تحليل ديكر از انقلاب مشروطه ايران، ص١٢٨.

من تدهور الاوضاع ، لا سيما بعد انتشار الشائعات التي اكدت ان العديد من جند "القوزاق" سيتخلون عن الشاه بسبب عدم صرف رواتبهم التي تأخرت كثيراً[١].

لم يكن امام الحكومة الايرانية، بعد ان استخدمت كل الاساليب، سوى الموافقة على مطاليب المعارضة، وايفاد وزير خارجيتها الى قم لمعرفة رأي علماء الدين هناك بموافقة الحكومة على مطاليبهم التي اكدت على انشاء مجلس وطني ومحاكم وطنية وعودة المجتهدين بكل احترام وتعويض عائلات الذين اصيبوا بالاحداث الاخيرة، فضلا عن عودة المنفيين الى مناطق سكناهم[٢].

وبينما كانت وعود الحكومة الايرانية تدرس من قبل رجال الدين وكافة تيارات المعارضة في قم، اقدم مظفر الدين شاه وبتدخل من ولي عهده محمد علي مرزا الى عزل عين الدولة في ٣٠ تموز ١٩٠٦ وعين بدلا منه مرزا نصر الله "مشير الدولة"[٣] ويبدو ان الاخير كان اكثر راديكالية من سلفه واكثر تفهما للحركة الوطنية الايرانية، التي بدأ نشاطها يتسع على شكل ثورة شاملة بعيدا عن الاضراب المحدود، فكانت باكورة اعماله انه حاول اقناع الشاه بإصدار مرسوماً جديداً في ٥ آب ١٩٠٦ عرف "فرمان مشروطيت" ، كما أصدر في الوقت ذاته مرسوم آخر تضمنت بنوده العفو عن المنفيين بسبب اشتراكهم بالحوادث الاخيرة وتعويض عائلات الذين قتلوا بالاشتباكات مع الحكومة، ومنح الامان لجميع المعتصمين بالمفوضية البريطانية في طهران، فضلا عن اعادة رجال الدين المهاجرين من قم[٤].

أعطى مشير الدولة تعليماته الجديدة الى مرزا ابو القاسم "عضد الملك"شيخ الاسرة القاجارية، الذي حملها بدوره الى مدينة قم المقدسة لعرض تلك الوعود التي تضمنها " الفرمان الجديد" على علماء الدين، الذين التقاهم فعلا وأطلعهم على بنوده متعهداً لهم بتنفيذ ماورد في هذا المرسوم، وفي الوقت نفسه تبنى حسين خان "مؤتمن الملك" قراءة نص "الفرمان" على المعتصمين في المفوضية البريطانية بطهران[٥].

---

(١) العقيقي البخشايشي، المصدر السابق، ص٧٩.
(٢) ايرج رودكر كيادارا، محال ثلاث،ص١٥٥.
(٣) جانيت افاري، انقلاب مشروطه، ايران، ص٨٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٨٥.
(٥) محمد حسن اديب هروي، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران ، ص٧٤.

لم تنطل تلك الأساليب على قادة الحركة الوطنية، فعلماء الدين المهاجرين الى قم رفضوا بنود هذا المرسوم لغموضها وعدم تحقيقها لمطاليبهم، وأرسلوا في الوقت ذاته الى المعتصمين بالمفوضية البريطانية يحثونهم على الصمود وعدم الانخداع بوعود الحكومة[١]. فضلا عن ان المرسوم لم يتضمن اية اشارة "للأمة الايرانية" مما ولد هذا الامر ردود فعل كثيرة لدى الجميع، أجبرت الحكومة اخيرا الى اصدار "فرمان جديد" في ٩ آب ١٩٠٦ والذي أوضح فرمان ٥آب ١٩٠٦، اذ نص على انشاء مجلس وطني منتخب ، الامر الذي قبله علماء الدين وقادة الحركة الوطنية الاخرين. اذ عرف "بفرمان متمم مشروطيت"[٢].

حقق هذا الفرمان مكاسب هامة للوطنيين، فقد تم الاعتراف ولأول مرة بتشكيل مجلس وطني "ملي" منتخب وعن كافة طبقات الامة، كما أوكل لأعضائه مهمة وضع النظام الداخلي للمجلس وتحديد صلاحياته واقتراح الاصلاحات التي يراها ضرورية لايران[٣]. وهكذا غادر المعتصمون مقر المفوضية البريطانية بطهران، كما عاد رجال الدين من مدينة قم الى طهران، حيث استقبلوا استقبالاً شعبياً ورسمياً[٤]. كما احتفل الشعب الايراني احتفالاً خاصاً بهذه المناسبة[٥].

كان مجرد صدور فرمان ملكي يشير الى قيام مجلس وطني منتخب من ابناء الامة، ويشارك في الاشراف على اجراء الاصلاحات في كافة الامور ، يعتبر نصراً ثورياً للحركة الوطنية بما فيها رجال الدين، ولهذا اعتبر ذلك الفرمان بداية الحكم الدستوري الجديد في ايران، كما عد يوم الخامس من آب يوماً تاريخياً في حياة الايرانيين[٦].

وفي الثامن عشر من آب ١٩٠٦ التقى ما يقرب من الفين من علماء الدين وقادة الحركة الوطنية وزعمائها، فضلا عن مشير الدولة ، الصدر الاعظم ، ووزراء الدولة ، في احدى قاعات قصر كلستان الملكي، لمناقشة وضع خطة عمل تسير عليها الثورة الوطنية

---

(١) "حبل المتين" المصدر السابق، العدد١٣ ،٢٩ اكتوبر/ تشرين الاول ١٩٠٦،ص٨.

(٢) للاطلاع على نص الفرمان ، راجع، E.Brown,The Persian Revolution, pp,353.

(٣) طلال مجذوب ، المصدر السابق، ص١٦٤.

(٤) بديع محمد جمعه، من قضايا الشعر الفارسي المعاصر في النصف الاول من القرن العشرين،بيروت، ١٩٨٣ ، ص٧٧.

(٥) محمد جواد مشكور، تاريخ ايران زمين ازروز كار ياستان تا عصر حاضر، تهران، ١٣٥٣، ص ٣٦٢ -٣٦٣.

(٦) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران،ص٨٦.

لتحقيق اهدافها، وقد القى مشير الدولة كلمة طلب فيها تعاون الجميع لغرض الوصول الى اهداف الشعب العامة، واختتم كلمته بأن الغرض من الاجتماع وضع الترتيبات اللازمة لاجراء الانتخابات وقيام المجلس الوطني[1]. كما تحدث السيد عبد الله البهبهاني باسم العلماء، ودعا للمجلس بالتوفيق في مهمته ، وتكلم بعده الحاج مرزا نصر الله ملك المتكلمين، الذي شكر للشاه استجابته لمطالب الشعب ، وللحكومة تعاونها في هذا السبيل[2].ومن جانب اخر شكل رئيس الوزراء لجنة لوضع قانون الانتخابات، تألفت من صنيع الدولة ، صهر الشاه وأحد المثقفين الدارسين في أوروبا ، وشقيقه مخير السلطنة، وابني مشير الدولة الصدر الاعظم ، مشير الملك "حسن بيرنيا" ، ومؤتمن الملك "حسين بيرنيا" ، ومحتشم السلطنة ، الدبلوماسي المعروف والذي عمل لعدة سنوات كدبلوماسي ملحق بالسفارة الايرانية في المانيا، ولفترة اخرى في الهند[3]. وقد انجزت هذه اللجنة اعمالها خلال ستة وثلاثون يوماً ، حيث صادق الشاه على القانون الذي طبع منه خمسون الف نسخة وزعت على مختلف أنحاء ايران[4] وقد حدد القانون المشاركين في الانتخاب[5]. ونص على ان تكون العاصمة طهران مكاناً لاجراء الانتخابات في المرحلة الاولى منها[6]. وقد كان لرجال الدين دوراً مؤثراً في صياغة ذلك القانون عندما جعلوا سلامة العقيدة الدينية وعدم اقامة الحدود الشرعية شرطاً اساسياً للاقتراع والانتخاب معاً [7].

وفي ٧ تشرين الاول ١٩٠٦ شهدت ايران اول محاولة في تاريخها الحديث عندما اجري انتخاب اول تجمع تشريعي وطني، تمخض عنه حصول اصحاب الحرف على الاغلبية في المجلس ، فضلا عن اجتياح الجناح الديني للانتخابات بنجاح كبير[8].

---

(١) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران، ص١٢٣.

(٢) يحيى دولت اباري، تاريخ معاصر با حيات يحيى، تهران،١٣٢٨،ص٨٢.

(٣) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران،ص٩٣.

(٤) ايرج رود كر كيادارا، محال ثلاث، ص١٥٥.

(٥) وهم الامراء وامراء الاسرة القاجارية ورجال الدين والاعيان وكبار الملاك والتجار واصحاب الحرف، فخصص للاصناف ٣٢ مقعد من مقاعد طهران البالغة ٦٠ مقعداً وللتجار عشرة مقاعد وعدداً مشابهاً للملاكين، مع اربعة مقاعد لرجال الدين والاربعة الباقية لأفراد الاسرة القاجارية ، لمزيد من المعلومات يراجع، كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني – من تاريخ تأسيس الاسرة البهلوية والخيوط الاولى لسياسة الاستعمار الجديد في الشرق الاوسط، "افاق عربية" (مجلة)، العدد الثالث، السنة الثامنة، بغداد، ١٩٨٢،ص٣٧.

(٦) فوزي خلف شويل، المصدر السابق،ص٢٥.

(٧) طلال مجذوب ، المصدر السابق، ص١٧٣.

(٨) احمد كسروي ، تاريخ مشروطه ايران، جلد دوم، جاب سوم، ص٢٢٩.

اقر المجلس الايراني الدستور الذي تألف من احدى وخمسين مادة، ورفعه الى الشاه للتوقيع عليه،ولضمان عدم معارضة ولي العهد للدستور عند توليه العرش، فقد قرر المجلس في ١٠ كانون الاول دعوته من تبريز للاشتراك مع والده في التوقيع على الدستور الجديد، وبعد مماطلات استمرت لمدة من الزمن تم التوقيع على الدستور من قبل الشاه وولي عهده ورئيس وزراءه في الثلاثين من كانون الاول ١٩٠٦[١].

تلقت الجماهير الدستور بفرح غامر وعبرت عنه بتظاهرات واسعة واجهش عدد منهم بالبكاء فرحاً، ولبست العاصمة طهران ابهى حللها ، وسادتها احتفالات الفرح لليلتين متتاليتين[٢]. كما نظمت القصائد بالمناسبة ، وكان من ابرز الشعراء الذين رحبوا بالدستور الشاعر بهار الملقب بملك الشعراء حيث نظم قصيدة بالمناسبة كان مطلعها "الملك منزل اساسه العدل فإذا انعدم الاساس تقوض المنزل"[٣].

وهكذا يبدو واضحا من خلال سير الاحداث السابقة، مدى تأثير رجال الدين ودورهم الفعال في تطور تلك الاحداث التي اثمرت في نهاية المطاف عن اعلان مجلس الشورى الوطني "مجلس شوراي ملي"، وإقرار أول دستور للبلاد حددت بموجبه حقوق وواجبات سلطات الدولة، بما في ذلك شخص الشاه، مما كان يعد خطوة مهمة الى امام وبداية جديدة لتحمل رجال الدين دور مهم في الأحداث اللاحقة.

---

(١) زكي الصراف، المقالة الصحفية في الادب الايراني المعاصر ،ص٧٤.

(٢) E.brown,The Persian Revolution, p,133.

(٣) بديع محمد جمعة، المصدر السابق، ص٧٧ – ٧٩.

المبحث الثاني:

ردود فعل علماء الدين في ايران تجاه الثورة الدستورية ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧

منذ بداية اندلاع الحركة الدستورية التي قادها رجال الدين وبعض القادة الوطنيين ، كانت هناك مواقف متباينة وردود فعل من قبل بعض رجال الدين في هذه الثورة ، وكان في مقدمة هؤلاء الشيخ فضل الله النوري الذي كان ينظر الى الثورة الدستورية في حدود معينة ، فقد ايدها في بادئ الامر ليس لاعتقاده بانها تنسجم مع الشريعة الاسلامية وقوانينها حسب، بل وانه سيؤسس في ظلها حكومة دينية(١)، ولكن بعد ان تمت صياغة الدستور من قبل اللجنة التي الفها مجلس الشورى الوطني ، بعد رفضه لمشروع دستور تقدم به مشير الدولة، جاء الدستور الايراني في كثير من نصوصه يعتمد على الدستور البلجيكي لعام ١٨٣٠م(٢) ، وكذلك على الدستور الفرنسي ، فضلاً عن بعض القوانين الجارية في بلغاريا لعام ١٨٩٢م التي تقوم على اساس المبادئ الديمقراطية التي كانت شائعة في اوربا من حيث الاعتقاد بالقانون وحقوق الانسان(٣). الامر الذي ادى الى اثارة حفيظة الشيخ فضل الله النوري الذي اعلن صراحة، ان الثورة الدستورية لم تكن شرعية، وهي تتناقض مع احداث الحركات الدستورية، كما ذكر ايضاً بأن مانص عليه الدستور لا يتطابق مع الشريعة الاسلامية(٤). ولذلك طالب باضافة بعض المواد الى الدستور والتي تعطي رجال الدين دورا أكبر في ادارة شؤون الدولة، ومن ذلك تشكيل لجنة مؤلفة من خمسة اشخاص هم من

---

(١) احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، جلد دوم، جاب سوم، ص٢٨٧.

(٢) تعطي بعض المصادر الاجنبية المترجمة للغة الفارسية تاريخاً آخر للدستور البلجيكي وهو ١٨٣١، انظر على سبيل المثال ، جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران،ص٩٢.

(٣) المصدر نفسه،ص١٣٦.

(٤) مهدي انصاري ، شيخ فضل الله نوري ومشروطيت، جلد سوم، ص٣٠.

المجتهدين والفقهاء الورعين، والعارفين ايضا لحاجات العصر ومقتضياته، مهامهم الاساسية هي دراسة جميع اللوائح التشريعية ومدى انسجامها مع الشريعة الاسلامية المقدسة او ما يخالفها،على ان تكون قراراتها في هذا الجانب واجبة التنفيذ ونهائي[١]. الا ان الاقتراح لاقى معارضة من قبل اعضاء المجلس لا سيما الجناح الليبرالي الذي كان يرغب بالانفتاح الكبير لايران، فضلا عن بعض رجال الدين مثل السيد محمد الطبأطبائي والسيد عبد الله البهبهاني اللذان كانا يؤكدان بأن الاشارة الى وجود مطابقة نصوص الدستور وقوانين الشريعة الاسلامية ، كانت كافية ولا ضرورة لتضمينه مواد اخرى بهذا الخصوص[٢].وقد ادى ذلك الى استياء الشيخ فضل الله النوري الذي اعلن صراحة معارضته للدستوريين ولثورتهم "غير الشرعية" حسب رأيه، وهذا ما دفعه الى تشكيل جبهة مضادة مع اتباعه لمجلس الشورى الوطني، وقد خرج معه ثلاثة علماء دين هم مرزا حسن ،مجتهد تبريز، وحاج ملا محمد خمامي، مجتهد رشت، وسيد احمد الطبأطبائي، الملقب بنقيب السادات وشقيق محمد الطبأطبائي، وقام هؤلاء احتجاجا على موقف الطبأطبائي والبهبهاني بنصب الخيام بالقرب من مسجد الجمعة المجاور لبناية المجلس الوطني ، وبدأوا بألقاء المحاضرات الدينية التي تتعلق بذكر آل "البيت" والسيدة فاطمة الزهراء عليهم السلام، لإثارة مشاعر الناس ضد الدستور وواضعيه[٣]. وبهدف اشعال الفتنة وتصعيد الخلاف بين رجال الدين وبالتالي شق صفوف الحركة الثورية قدم "أتابك اعظم"[٤] دعما واضحا للشيخ فضل الله النوري، رغم العداء السابق بينهما ، من خلال تقديمه نفقات اطعام اتباعه المعتصمين في الخيام والتي بلغت مئة جنيه استرليني يوميا [٥].ومن هنا تحققت مخاوف علماء الدين من دعوة الشاه لعلي اصغر خان، وفي مقدمتهم السيد محمد الطبأطبائي الذي

---

(١) محمد جعفر جعفري لنكرودي، ترمينولوجي حقوق، جلد بنجم انتشارات كنبج دانش، تهران،١٣٧٠،ص٦٣١.

(٢) .E.Brown,The Persian Revolution, p, 140

(٣) احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران،جلد اول، جاب جهارم،ص١٤٧.

(٤) هو المرزا علي اصغر خان، امين السلطان ، الملقب بالاتابك الاعظم والذي سافر الى اوربا بعد ان عزله مظفر الدين شاه من منصب الصدارة العظمى سنة ١٩٠٣ لقيام علماء الدين ضده، وبعد ان تولى محمد علي مرزا الحكم في ايران (١٩٠٧ –١٩٠٩)استدعاه الى ايران كجزء من مخططاته الرامية لمحاربة الحركة الوطنية، فتولى منصب رئاسة الوزراء في ٢ ايار ١٩٠٧.للمزيد يراجع ، ابو القاسم طاهري، تاريخ روابط بازركاني وسياسي ايران وانكليس، جلد دوم، ص٩٠٥.

(٥) ف.و.٣٣/٤١٦ من رسالة رايس الى كراي برقم ٢٦٠٣٠/١٤٣ قلهك في ١٠ يوليو ١٩٠٧.

قال في حينها " اذا دخل مرزا علي اصغر خان الى ايران فقل عليها السلام" (١) ولتفويت الفرصة على اعداء الثورة الدستورية ، ومن اجل حل المشكلة التي اثارها الشيخ فضل الله النوري ارتأى اعضاء المجلس اضافة طلب النوري الى ملحق الدستور تحت عنوان "الفقرة الثانية"(٢) ، وبعد مناقشات طويلة بين نواب المجلس تمت الموافقة عليها، ولكن على الرغم من ذلك استمر الشيخ فضل الله النوري وعلماء الدين المؤيدين لافكاره في معارضتهم لقوانين المجلس واعماله الاصلاحية(٣). مما كشف ذلك وبوضوح الارتباط الوثيق بين النوري واتباعه من جهة وحكومة الشاه واعوانه من جهة اخرى في التآمر على الثورة ومحاولة وئدها في مهدها، الامر الذي دفع الالاف من اعضاء الجمعيات المؤيدين للدستور بالهجوم على خيم المعتصمين ورفعها ، ثم تجمع هؤلاء المهاجمون في مدرسة الصدر المجاورة لبناية المجلس، وعقدوا تجمعاً في قاعة اتحاد الطلبة فيها في ٢٤ تموز ١٩٠٧ وكان معهم ملك المتكلمين الذي ألقى كلمة في ذلك المكان بعنوان الإسلام دين الحرية والعدالة جاء فيها "ان هؤلاء المتسترين تحت غطاء الشريعة يريدون إرجاع الظلم في ظل حكومة يختارونها هم ، ويقولون ان الحرية والعدالة مخالفة للإسلام، ويعلنون للعالم إن إيران غير قابلة للتمدن ولا يمكن تطبيق الحرية فيها....." (٤).

تصاعدت الأصوات المؤيدة للدستور وضغطت كثيراً على فضل الله النوري واتباعه ، الذين احسوا بالخطر يداهمهم لا سيما بعد إبعاد كل من المرزا حسن ، مجتهد تبريز، ومحمد خمامي ، مجتهد رشت، من قبل الدولة لتزايد المظاهرات في عدد من المدن الايرانية ضدهم واتهام الحكومة الايرانية بالتواطؤ معهم من اجل القضاء على الثورة ،ففي العاصمة طهران أعلن سكانها استنكارهم لهذه الحركة المضادة ،واغلقوا محلاتهم وتجمع الاف الاشخاص منهم حول بناية المجلس من مؤامرات الرجعية ضده(٥). لذا لم يبق امام فضل الله النوري واتباعه الذين قدر عددهم بألف شخص سوى الخروج ليلا من طهران والتوجه نحو حرم شاه عبد العظيم بما فيهم ثمانية عشر رجل دين وتجمعوا هناك في حديقة عباس

(١) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران،ص١٤٧.

(٢) نصت على تشكيل لجنة مؤلفة من خمسة اشخاص من كبار علماء الدين لمراقبة القوانين المطروحة على المجلس لكي تكون مطابقة للشريعة الاسلامية، انظر احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، جلد دوم، جاب جهارم،ص٣١٨.

(٣) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص١٤٨.

(٤) مهدي ملكزاده، انقلاب مشروطيت ايران، جلد دوم، ص٤٧٩.

(٥) "صور اسرافيل" (صحيفة)، طهران،العدد ٥، ٢٧ تموز ١٩٠٧، ص٤.

علي كربلائي[١]. اذ اعلن الشيخ فضل الله النوري مرة اخرى معارضته للدستور الايراني وفي الوقت نفسه علل اسباب اعتراضه على "المشروطه" في العديد من البيانات التي اذاعها، حيث جاء في البيان الصادر عنه في ١٨ جمادى الثانية ١٣٢٥هـ/٢٩ تموز ١٩٠٧ ما يوضح تلك الاسباب التي كان في مقدمتها، استهزاء الصحف بعلماء الاسلام ودعوتها الى افتتاح مراكز الفحشاء ومحلات بيع الخمور ، والاستهانة بمقدسات المسلمين من قبل بعض زعماء المشروطه ،، ولم يكن الدستور الايراني سوى نسخة مقتبسة من قوانين الدول الاوربية ، واكد ايضا اعتراضه على ما تنشره دور النشر من مقالات وكتب ضالة تخالف الشريعة الاسلامية[٢]. كما اصدر الشيخ فضل الله النوري "لوائح"[٣] انتقد فيها الاوضاع الجديدة في ايران، فضلا عن اعمال المجلس الاصلاحية، كما اشار الى ان الجمعيات التي اجازها القانون الاساسي غير مقبولة[٤].

ومن الجدير بالذكر ان الشيخ فضل الله النوري واتباعه كانت لهم اتصالات تلغرافية مع محمد علي شاه وبعض علماء الدين البارزين في عدد من مدن ايران مثل رشت وكيلان وتبريز وغيرها من المدن الايرانية الاخرى، وقد كتب فضل الله النوري خلال تلك الرسائل التلغرافية محرضا بعض رجال الدين ، اذ اكد فيها ان المجلس اهمل اربعة اصول اساسية اولها التوحيد أي الاعتقاد بالله وثانياً النبوة، أي ان محمد (ص) هو النبي المرسل من الله عز وجل وثالثاً الامامة، أي قبول الائمة الاثني عشرية ورابعاً الميعاد أي الاعتقاد بالحياة بعد الموت[٥]. كما اشار في رسائله، وبهدف اثارة مشاعر رجال الدين اولاً والعامة ثانياً ، ان الاسلام في عصرنا الحاضر وديعة الهية يتوجب على نواب الامام المحافظة عليه لا ان تترك الامور بيد الاعداء والمنافقين من عشاق الحرية الذين يرومون هدم الاسلام تحت شعار العدالة والشورى[٦]. وبما ان حركة فضل الله النوري جاءت على النقيض من افكار الثورة الدستورية فإن ذلك يعني انها، مهما كانت المسببات ، كانت مساندة للاستبداد، لان هدف الثورة الدستورية هو القضاء على الاستبداد وتقييد سلطة الحكام المطلقة، لذلك

---

(١) هاشم محيط مافي، مقدمات مشروطيت طهران، ص٣٤٠.
(٢) محمد رضا السماك، الاخوند الخراساني – شمس في منتصف الليل، ترجمة كمال السيد ،ط١، مؤسسة انصاريان للنشر، قم ،١٩٩٥ ،ص٥١.
(٣) مايشبه المنشورات.
(٤) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران، ص١٥٠.
(٥) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران،جلد دوم،ص٥٠٣.
(٦) مهدي انصاري، شيخ فضل الله نوري ومشروطيت، ص٢٨٠.

فقد وقفت هذه الجهات الى جانب حركة فضل الله النوري وحاولت تنميتها ورفعها بالأتجاه الذي يخدم مصالحها، فقد لاقت حركة النوري دعماً مالياً وسياسياً من قبل امين السلطان، رئيس الوزراء الايراني ، وكذلك الدولة العثمانية، كما سمح محمد علي شاه للشيخ فضل الله النوري استخدام خطوط التلغراف وبكل حرية، وكان للعناصر التي اندست في هذه الحركة دور مهم في نشر اللوائح النورية المضادة للحركة الدستورية[١].

لقد مثل تحصن النوري واتباعه في حضرة شاه عبد العظيم، اخطر مرحلة مرت بها الحركة الدستورية كان من نتائجها انقسام علماء الدين على انفسهم ، ولذا فقد تهيأ اعضاء الجمعيات في طهران للذهاب الى حرم شاه عبد العظيم حاملين معهم السلاح لإنهاء تحصن النوري واتباعه، الا ان محمد الطبأطبائي وعبد الله البهبهاني منعا حدوث مثل هذا الهجوم على حضرة شاه عبد العظيم، وقررا الذهاب بانفسهم للاجتماع بالنوري هناك، الا ان ذلك الاجتماع لم يسفر عن نتيجة ، فقد اشترط النوري عدة مطالب لانهاء تحصنه كان من بينها ، ان يكون جميع نواب المجلس من المسلمين اصحاب التقوى وعدم انتخاب أي شخص غير مسلم في عضوية المجلس ، ويجب ان تكون كافة بنود الدستور مطابقة تماماً للشريعة الاسلامية، وقد اعتبر النوري الحرية في الاسلام بدعة،في حين عد النوري الوعاظ المؤيدين للثورة الدستورية بابيين ومرتدين عن الاسلام ، لذا اشترط ألنوري منعهم من الجلوس على المنابر الدينية[٢].

وكان من الطبيعي ان يرفض اعضاء المجلس هذه الشروط، عند ذلك القى الشيخ فضل الله النوري ، في مسجد شاه عبد العظيم ، خطابا في ١٧ آب ١٩٠٧ وامام حشد كبير من زوار مرقد شاه عبد العظيم قال فيه "ايها الناس اني لا انكر مجلس الشورى الوطني ولكني اعلم انه قد دخل في تأسيسه اكثر من مذهب واقول صراحة وليصغي حاضركم ليبلغ غائبكم ، بأنني اريد مايريده جميع المسلمين بأن يكون المجلس متمسكاً بالاسلام وان لايعمل اعضاؤه بخلاف القرآن والشريعة المحمدية والمذهب الجعفري المقدس، وهناك سأكون انا وجميع المسلمين على رأي واحد ويدا واحدة"[٣]. وعلى اثر ذلك وللحد من خطر هذه

---

(١) احمد كسروي ، تاريخ مشروطه ايران، جلد دوم، جاب جهارم،ص٣٢٥.
(٢) هاشم محيط مافي، مقدمات مشروطيت،ص٣٦٣.
(٣) مسعود كوثري، آسيب شناسي فرهنكلي ايران در دورة قاجار، مركز باز شناسي الاسلام وايران، تهران، ١٣٧٩، ص١٧٦.

الحركة المضادة قرر اعضاء المجلس من رجال الدين ارسال البرقيات التلغرافية الى كافة الاقاليم والمدن الايرانية ليوضحوا لهم فيها اسباب خروج النوري واتباعه من طهران، لكي لا تخدعهم اراءه[١].كما تمت ادانة الشيخ فضل الله النوري في احد اجتماعات مجلس الشورى الايراني الذي انعقد في ٢٣ آب ١٩٠٧ لبحث الشؤون الداخلية والتداعيات التي سببها تحصن الشيخ فضل الله النوري واتباعه في حضرة شاه عبد العظيم، اذ تحدث سيد محمد الطبأطبائي خلال الاجتماع داعياً الى ضرورة انهاء هذه الازمة ووضع حد لها مشيراً الى انه لايوجد في خيالات وافكار هؤلاء سوى الفساد[٢].لذا فقد اتخذ علماء الدين في المجلس عدة اجراءات، في محاولة منهم تحجيم الازمةالتي افتعلها الشيخ النوري واتباعه. فبعد ان فشلت محاولاتهم لاقناعه بالعدول عن موقفه المعادي للثورة الدستورية من خلال لقاءاتهم به في حضرة شاه عبد العظيم وتحذيره من ان موقفه هذا قد يجر البلاد الى حرب اهلية مدمرة، بادر علماء الدين في المجلس وفي مقدمتهم سيد محمد الطبأطبائي وعبد الله البهبهاني بإيقاف الجرائد التي تشيد بموقف المتحصنين ومحاولة منع وصول برقيات الشيخ النوري المرسلة الى مختلف مناطق ايران والتي تحمل شعارات منددة ضد الثورة الدستورية[٣].فضلا عن قيان احد علماء الدين البارزين في طهران،المدعو شيخ هادي نجم ابادي ، بارسال برقية الى علماء الدين في النجف،اوضح لهم فيها مايدور في البلاد من حياكة الدسائس واثارة الفتن على يد الشيخ فضل الله النوري ، الذي اتخذ ركنا في ضريح شاه عبد العظيم للتحصن فيه، مؤكدا لهم إن المستبدين في إيران يحاولون الالتفاف على الثورة الدستورية والمجلس الذي أقيم أساسا من اجل إصلاح أحوال عموم الرعية وتنظيم أمور الدولة والحد من ظلم وتعديات الحكام والأمراء، دون أن يخرج في ذلك عن حدود الشريعة الإسلامية المطهرة[٤]. فكان رد علماء الدين في النجف بأن أرسلوا برقية الى علماء الدين في ايران،المؤيدين للدستور ، تضمنت حثهم على التحلي بالصبر وضبط الاعصاب وعدم مقابلة تهور الشيخ النوري، الذي صدم به جميع علماء الدين، بالمثل ، والسيطرة على العوام وعدم اثارة المشاكل" وتوجيه جل اهتمامكم الى الاصلاحات الداخلية،

---

(١) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد دوم،ص٥٠٤.
(٢) مهدي انصاري،شيخ فضل الله نوري ومشروطيت ، ص٢٨٣.
(٣) المصدر نفسه،ص٢٩٠.
(٤) ((صور اسرافيل)) (صحيفة)، طهران، العدد ٢٢، ١١ آب ١٩٠٧، ص١.

وتوجيه النصح والارشاد الى عامة الناس"[1]. ثم اردفوها ببرقية اخرى اعتبروا فيها النوري مخل بالامن وباعث للفوضى في البلاد، كما اعتبروا جميع اعماله هذه حرام وغير واجبة الطاعة[2].

وعلى الرغم من المحاولات التي ابداها علماء الدين في ايران بشأن انهاء تحصن الشيخ فضل الله النوري واتباعه في حضرة شاه عبد العظيم، الا انه استمر في تحصنه مدة ٩١ يوم ولم ينه اعتصامه الا بعد مقتل اتابك اعظم في ٣١ آب ١٩٠٧[3]. فبعد مقتل الاخير عانى الشيخ النوري واتباعه من قلة الاموال اللازمة لاستمرارهم في التحصن او ربما يكشف هذا الامر العلاقة ذات النفع المتبادل بين الطرفين.

إن انسحاب الشيخ فضل الله واتباعه من حضرة شاه عبد العظيم لم يعني تخليه عن موقفه ومعارضته لاعضاء المجلس الوطني، فقد أخذ يثير العامة من الناس وعلماء الدين الاخرين من خلال القاءه الكلمات والخطب المضادة في المساجد والمجالس الدينية ، واصفا اعضاء المجلس الوطني بانهم مجموعة من المنافقين اضعفوا الدين والدولة والمجتمع[4].

ولم يمض على ذلك كثيراً حتى انفجرت في الكثير من المدن الايرانية المظاهرات التي نددت بمجلس الشورى الوطني، وقد ساعد على ذلك بعض رجال الدين من انصار الشيخ النوري، ففي كيلان تظاهرت اعداد كبيرة ضد المجلس وقوانينه الجديدة، وصفوا خلالها دعاة الدستورية بأنهم جاءوا ببدعة جديدة اسمها المشروطه[5]. وفي رشت تحدث الحاج ملا خمامي ، بعد ان تقدم احد المتظاهرين بسؤال حول واجبه تجاه المشروطه، "ان هذه الحادثة الواقعة في عصرنا هذا والمسماة بالمشروطه، اعاذنا الله وكافة المسلمين من شرها، انها لا تتماشى مع قواعد الاسلام والمسلمين لذا يتوجب على كل مسلم بذل كل ما بوسعه لمقاومتها"[6].

---

(1) مهدي انصاري، شيخ فضل الله النوري ومشروطيت، ص٢٩٣.

(2) حسن بيرنيا، تاريخ مختصر ايران تا انقراض ساسانيان ، جاب اول، انتشارات نا مك ، تهران، ١٣٨٠، ص٦٣.

(3) المصدر نفسه،ص٢٧٧.

(4) المصدر نفسه،٢٧٨.

(5) ابراهيم فخرائي ،كيلان در جنبش مشروطيت، جاب سوم، انتشارات انقلاب اسلامي، تهران، ١٣٧١، ص٩٥.

(6) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد دوم، ص٢٢٢-٢٢٣.

كانت هذه الاجابة كافية لاشعال حرب اهلية بين انصار الدستور ومعارضيه، مما دفع عدد من مؤيدي الدستور التحصن في القنصلية العثمانية بمدينة رشت، وكان من بينهم حاج أغا علي زاده، احد رجال الدين البارزين في مدينة رشت ، وقد حوصر هؤلاء من قبل اتباع ملا خمامي لمدة ثلاثة ايام، كما قطعت عنهم المواد الغذائية ومياه الشرب، ولم يفرج عنهم الا بتوسط تاجرين معروفين في المدينة هما المسيو يوركي، يوناني الاصل ، ومرزا مهدي وكيل الدولة[١].

ومن جانب اخر انتقد فضل الله النوري في خطاب له اعضاء المجلس قائلاً: ان هؤلاء الذين يسمون انفسهم الثوار يقدرون الفلاسفة والعلماء الاوربيون امثال غاليلو ونيوتن وكبلر وهوغو وجان جاك روسو وغيرهم اكثر من تقديرهم لمبناة الدين الاسلامي، واضاف الى ذلك ان هؤلاء الاوربيون كانت افكارهم ملحدة ولا تتفق مع دين الرسول محمد (ص)[٢]. كما هاجم النوري الصحافة الدستورية التي كانت تصدر حينذاك ، متهماً اياها بسب العلماء والطعن بأحكام الاسلام، وأكد بأن محرريها يريدون تنفيذ القوانين الجديدة، قوانين الحرية والديمقراطية التي تبيح المسكرات واشاعة الفواحش، لأن أحكام الدين الاسلامي في نظرهم اصبحت بالية وقديمة بعد مرور اكثر من ١٣٠٠ سنة عليها[٣]. وفي الوقت نفسه انتقد الانجازات التي أقرها الدستوريون باعتبارها لا تتلائم مع افكاره، اذ كان يرى في افتتاح المدارس الخاصة بتعليم النساء والتي كانت ضمن الاصلاحات الجديدة للمجلس، هي حالة مشابهة تماما لترويج الفواحش في البيوت، في حين ندد كثيراً بقرار المجلس الاخر الذي اكد على تخصيص أموال الاضرحة المقدسة لبناء المعامل من أجل زيادة الانتاج وتشغيل الايدي العاملة ، ولهذا لم يستغرب الدستوريون من خطاب فضل الله النوري الذي القاه بمناسبة احتفال الشعب الايراني يوم ٢٥ تموز ١٩٠٧ بالذكرى الاولى للثورة الدستورية، اذ اشار فيه الى ان المحتفلين كانوا بعيدين عن الاسلام في شعاراتهم، ولم يكلفوا أنفسهم حتى برفع علم واحد يشير الى ان ايران دولة اسلامية، واخيرا وصف الاحتفالية بأنها "كانت أفضل نهاية للاسلام في ايران"[٤].

---

(١) ابراهيم فخرائي، كيلان در جنبش مشروطيت، ص٩٩.
(٢) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص١٦٦.
(٣) المصدر نفسه،١٦٧.
(٤) عبد الحسين علوي،رجال مشروطيت، انتشارات اساطير ،تهران، ١٩٨٤، ص١٦٢.

وإذا كان الشيخ فضل الله ألنوري وأنصاره قد اشعلوا نار الحرب ضد قادة ومؤيدي الثورة الدستورية، فإن بعض علماء الدين التزموا جانب الحياد منها، ومن بين اهم هؤلاء الشيخ محمد اسماعيل محلاتي الغروي. الذي قسم انظمة الحكم الى ثلاثة اقسام:

١. الحكومة المطلقة : وهي الحكومة التي لاتأخذ برأي الشعب لكنها في الوقت نفسه تعتبر حقوق الشعب واحدة من أهم مبادئها.
٢. الحكومة المطلقة المستبدة: وهي الحكومة التي لا تأخذ برأي الشعب مطلقاً ولا تعطي أية اهمية لحقوقه.
٣. الحكومة الدستورية: وهي الحكومة التي تأخذ برأي الشعب وتسير وفق قوانين ذلك البلد.

وعلى الرغم من ان الشيخ محمد اسماعيل محلاتي الغروي التزم جانب الحياد من تطورات احداث الثورة الدستورية، الا ان حياده لم يمنعه من ان يفضل الحكومة المطلقة على الحكومة الدستورية باعتبارها حكومة الانبياء والخلفاء والاوصياء والائمة الاثنى عشرية[١]. وفي الوقت نفسه وجه بعض الانتقادات الى الحكومة الدستورية الايرانية حيث قال ان الدين الاسلامي لم يكن ناقصاً ليكمله القانون الجديد، فقد تناول الاسلام احكام كل صغيرة وكبيرة وبت بها ولم يترك شيئاً لممثل الشعب في المجلس ان يضيف له أي قانون، وأضاف الى قوله ذلك "ان الدين الاسلامي فضل المسلم على غير المسلم ، ولكن ما نراه في قانون الدستور الإيراني يتساوى فيه الجميع"[٢].

إن طبيعة الانقسام الحاد الذي حدث بين رجال الدين في ايران حول اهمية الدستور للشعب الإيراني وما تعرض له الدستوريون من انتقادات واعمال مضادة من المعارضين لهم، وما أنفق من أموال طائلة في هذا الاتجاه، لم يؤد الا الى اصرار الدستوريين للمضي قدماً في هذا الاتجاه على الرغم من انشغال الحكومة الدستورية بحل النزاعات الداخلية، وهذا ما لا يتفق مع توجه العدوين التقليديين لايران بريطانيا وروسيا من أجل توسيع نفوذهما وحماية مصالحهما هناك ، الامر الذي دفعهما لان يفكرا في حالة

---

(١) غلام حسين زركري نجاد، منابع انديشة سياسي در تاريخ ايران – رسائل مشروطيت ، انتشارات كوبر، تهران ، ١٣٧٤ ، ص٤٩١.
(٢) المصدر نفسه ، ص٤٩٤.

التقارب فيما بينهما طالما ان الدستوريين ، والمؤسسة الدينية في ايران بشكل خاص، بدأوا يشكلون خطراً على مصالح هاتين الدولتين.

المبحث الثالث:

موقف المؤسسة الدينية من حالة التقارب البريطاني – الروسي ١٩٠٧

ادى تنامي المؤسسة الدينية وتأثيراتها في الاحداث الداخلية، وتفعيل دور الحركة الوطنية من خلال مساهمة زعمائها في الحياة السياسية، دوراً مهما انعكس وبشكل واضح على نوايا كل من بريطانيا وروسيا في تحاشي مصدر النزاع بينهما، فضلاً عن عوامل عديدة معروفة ادت الى تركز الجهود البريطانية على سياسة البحث عن مجالات التقارب ونبذ الخلافات بين هاتين الدولتين، وقد توجت جهود الساسة البريطانيين ، الذين سعوا لتسوية خلافاتهم مع روسيا بشأن المسائل الاسيوية ، بالمعاهدة البريطانية- الروسية عام ١٩٠٧ [١].

وفي الوقت الذي كانت فيه روسيا وبريطانيا تحاولان ابعاد الحكومة الايرانية عن اهدافها الاساسية، اتبعت الاخيرة سياسة وطنية تمثلت في اعادة النظر بوضع الاجانب في البلاد كوجود خبراء الكمارك البلجيكيين الذين كان طردهم من البلاد أحد المطالب الاساسية لرجال الدين والوطنيين معاً ، فقد كان وجود هؤلاء الاجانب سببا في ايذاء الناس وتبذير اموال الدولة واتلافها[٢].كما ابدى الكثير من رجال الدين امتعاضهم من وجود الضباط الروس في فرقة القوزاق الايرانية، الذين كانت رواتبهم من الحكومة الايرانية وولائهم للروس، فضلاً عن انهم كانوا سيوفاً مسلطة بيد الشاه على رقاب الناس، لذا كان رجال

(١) لمزيد من التفاصيل عن العوامل التي ادت الى عقد المعاهدة البريطانية الروسية عام ١٩٠٧ ، يراجع ، روز لويس كريفس، المعاهدة الانكليزية –الروسية بعض وجوهها ومدى تأثيرها في فارس، ترجمة محمد وصفي ابو مغلي، البصرة، ١٩٨١،ص٦ وما بعدها.

(٢) العقيقي البخشايشي، المصدر السابق، ص٨٠.

الدين سواءً في المجلس او خارجه يحملون كرهاً عجيباً لهذه الفرقة من الجيش ولإدارتها[١].

أثارت طموحات الدستوريين هذه غضب الروس والبريطانيين ودفعتهم في الوقت ذاته الى توحيد جهودهم لتثبيت اقدامهم وتوسيع نفوذهم في المنطقة، فجددت الخارجية البريطانية طلبها وللمرة الثانية بهدف الدخول في مفاوضات بشان عقد المعاهدة مع روسيا[٢]. وقد جاء ذلك متزامنا مع رغبات الدستوريين الذين لجأوا الى محاولة جر الالمان الى الساحة الايرانية باعتبارها القوة الثالثة الجديرة التي يمكن الركون اليها في مقارعة النفوذ البريطاني الروسي في بلادهم[٣].ومن هذا المنطلق عرض الدستوريون، بواسطة ممثلهم حسين خان مؤتمن الملك، على الالمان تأسيس مصرف لهم في طهران، الامر الذي اثار حفيظة بطرسبورغ، فأثناء زيارة وزير خارجية روسيا ازفولسكي (Isvolisky) الى برلين في تشرين الاول ١٩٠٦، بين الالمان عدم ارتياح حكومته من الاجراءات الالمانية في ايران، فكان رد برلين، ان تلك الاجراءا لا تستهدف سوى تحسين العلاقات التجارية بين البلدين، لذا فانها لا تتسم بأي طابع سياسي، بل انها فقط ترمي الى تطبيق مبدأ (سياسة الباب المفتوح) امام التجارة الالمانية[٤].

وفي بداية عام ١٩٠٧ قام البريطانيون بمحاولة اخرى لتحديد منطقتي النفوذ البريطانية والروسية في ايران، وظهرت تلك القضية في اجتماع مجلس الوزراء الروسي ليوم ١ شباط ١٩٠٧ وكان وزير الخارجية الروسي ميالا الى الاقتراح البريطاني حيث اكد قائلا "ان التقسيم هو الحل الوحيد الذي يضمن تحقيق الاهداف الروسية والبريطانية في ايران"[٥]. إلا ان هذه الفكرة حتى وقت قريب جداً من عقد المعاهدة لم تكن تحضى بموافقة الرأي العام الروسي،اذ كانت القناعة السائدة في الدوائر الحكومية هي وجوب وضع فارس كلياً تحت النفوذ الروسي، وان على روسيا ان تضغط وباستمرار للوصول الى الخليج

---

(١) علي اكبر تشكري، از ورود انديشه نوين تا كودتاي سيد ضياء الدين طباطبائي (١٢٩٩ – ١٢٨٥هـ)، انتشارات مركز يزد شناسي، تهران، ١٣٧٧، ص٣٦.

(٢) خضير مظلوم فرحان البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٩٨٦ –١٩١٩،ص١٩٢.

(٣) علي اكبر ولايتي، تاريخ روابط خارجي ايران در دوره اول مشروطه، جاب دوم، تهران، ١٣٧٤، ص٤.

(٤) سميرة عبد الرزاق عبد الله العاني، المصدر السابق،ص٥٢.

(٥) R.P.Churchill,The Anglo-Russian Convention of 1907 , NewYork, 1939, . p,142

العربي الا ان احداث السنوات القليلة الماضية أثبتت صعوبة تحقيق هذه الخطة، ووجوب تجنب أي شيء قد يؤدي الى صراع مع بريطانيا، وأفضل الطرق لتحقيق هذا الهدف هو تحديد مناطق النفوذ في فارس[١].

وبعد القناعات التي توصل اليها الجانبين المعنيين بالمعاهدة جرى التوقيع على معاهدة التقسيم بين بريطانيا وروسيا في سانت بطرسورغ يوم ٣١ آب ١٩٠٧[٢]. وكانت تتألف من مقدمة وخمس مواد، تقرر بموجبها تقسيم ايران الى منطقتي نفوذ شمالية تحت النفوذ الروسي وجنوبية تحت النفوذ البريطاني مع اعتبار الجزء الممتد بينهما منطقة محايدة[٣].

اثار توقيع المعاهدة الاوساط الايرانية الرسمية وغير الرسمية، فقد كانت المعاهدة من وجهة نظر الدستوريين ما هي الا احتلال للبلاد في ظل استقلال مشوه يسوده حكم مزدوج[٤]. كما عقد مجلس الشورى الوطني في ٥ تشرين الاول ١٩٠٧ جلسه مطولة شجبوا فيها المعاهدة البريطانية- الروسية، وأخذت اصوات النواب تتعالى منددة بأطراف عاقديها، فقد اشار مستشار السلطنة، احد نواب المجلس ، بأن بريطانيا وروسيا ليس من حقهما التوصل الى اتفاقية بخصوص ايران وبدون علمها، كما أكد النائب حسن تقي زاده، احد الاسلاميين في تبريز، بأن الحكومة الايرانية تستطيع ان تحافظ على سلامة حقوقها وضمان مستقبلها وليس من حق أي طرف آخر خرق هذه الحقوق[٥].

ومن جانب آخر سادت الشارع الايراني حالة من الغضب والاستياء الجماهيري، فقد امتلأت شوارع طهران بالمظاهرات الصاخبة التي قادها رجال الدين ولمدة اربعة ايام متتالية بعد عقد المعاهدة مباشرة، ندد خلالها المتظاهرون بمعاهدة التقسيم وبالشاه واعوانه لتواطؤهم مع الاعداء، الامر الذي دفع احد المتظاهرين، المدعو عباس أغا الاذربيجاني، بإطلاق النار على اتابك اعظم ، الصدر الاعظم، فأرداه قتيلا اثناء خروجه من

---

(١) روز لويس كريفس،المصدر السابق، ص٩.

(٢) انظر بنود المعاهدة، في حسن عظام قدسي ، كتاب خاطرات من يا روشن شدن تاريخ صد ساله، جلد اول، انتشارات حيدري، تهران، ١٣٤٢،ص١٥١-١٥٢.

(٣) كشف تلبس دو روئى اسناد محرمانه انكليسي در باب ايران، سلسله انتشارات ادارة كاوه، شماره(٣)، برلين، ١٣٣٦،ص٩.

(٤) محمد اسماعيل رضواني، انقلاب مشروطيت ايران،ص١٥٥.

(٥) محمود محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ميلادي، جلد هشتم، تهران ١٣٣٦، ص٢٢٤٠.

مبنى مجلس الشورى الوطني يوم عقد المعاهدة[1]. وفي المساجد والمجالس الدينية اعتلى رجال الدين والوعاظ المنابر الدينية معلنين رفضهم القاطع للمعاهدة، فضلاً عن ذلك اخذوا يوصمون الحكومة البريطانية بالخيانة[2].

وفي الاتجاه نفسه تضامن التجار مع رجال الدين في رفضهم لمعاهدة التقسيم البريطانية – الروسية، فقد تحدث حاج محمد دهدشتي، معين التجار امام جمع من التجار ، بأن المعاهدة المعقودة بين الروس والانكليز قد ادهشت الجميع، فهي تنطوي ظاهريا على حرص الدولتين في المحافظة على مصالح واستقلال ايران، غير ان باطنها كان يحمل اسراراً لايعلمها الا عاقديها، واختتم كلامه بأن المعاهدة كان يجب ان تناقش في مجلس الشورى الوطني ويطلع عليها جميع الايرانيين ، كما ابدى حاج حسين مهدوي ، احد رجال الدين في طهران، رأيه في المعاهدة قائلا "لو ان ما حملته بنود المعاهدة حقيقياً الا وهو المحافظة على مصالح واستقلال ايران، فإن المعاهدة لا ضرر فيها على ايران ولكن على أي حال كان يجب ان تعرض على جميع الايرانيين"[3]

وفي خضم هذه المداخلات وعرض الاراء ، عرض الشيخ اغا يوسف ، احد علماء الدين في طهران ، نقطة مهمة عندما قال "اننا اليوم ندفع ثمن تحصن الايرانيين فيما سبق في السفارة الانكليزية"[4]. وفي ذلك اشارة واضحة للوهم الذي عاشه الايرانيين في اعتمادهم على دولة استعمارية في دفع عملية نهضتهم ضد النظام القاجاري الفردي، مهما بلغت تلك الدولة من نظام ديمقراطي راقي.

استمر علماء الدين في تصديهم للمعاهدة البريطانية الروسية والتنديد بها، فقد اعتلى امام جمعة طهران المنبر محرضاً مجلس الوزراء الايراني ، لاتخاذ اجراءات فعلية بشأن تلك المعاهدة حينما قال "كيف اتكلم وما فائدة الكلام ووطني محاط بالمدافع، ايها الوزراء اسألكم بالنبي وبأي شيء تعبدون ، هل انتم من هذا الوطن؟ ماذا عملتم؟ وبماذا

---

(1) رحيم رضا زاده تكت، انقلاب مشروطه ايران، ص٥٤.
(2) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص١٧٦.
(3) محمود محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ميلادي ، جلد هشتم، ص٢٢٣٨.
(4) المصدر نفسه، ص٢٢٤٢.

فكرتم وماذا جاء ببالكم؟ وهل يوجد آخر عرق للإسلام فيكم؟ أليس هذا بوطنكم؟ فماذا انتم فاعلون[١].

كما علقت الصحف الإيرانية على المعاهدة في مقالات افتتاحية كتب اغلبها رجال الدين، فقد علقت صحيفة الحبل المتين الإيرانية بشكل ساخر في مقالها الصادر في ١١ أيلول ١٩٠٧ قائلة "ان الاتفاقية تنطوي على عذوبة وحب وعطف، فهي تتصف على ان الحكومة الروسية سوف تمنح الحكومة البريطانية حق ممارسة النشاط التجاري في منطقة النفوذ الشمالية مقابل ان تفعل الحكومة البريطانية الشيء نفسه بالنسبة للحكومة الروسية في الجنوب، فأي حق في ايران ذاك الذي كان في حوزة الحكومة الروسية لتمنعه او تمنحه – من الشمال الى الجنوب – ذاك الحق الذي كان حقنا ؟ لسنا بقاصرين حتى نحتاج الى من يحمينا ولسنا بلهاء او مجانين لنحتاج الى حام"[٢]. اما مجلة (البنج) اللندنية الكاريكاتيرية فقد شخصت الامة الايرانية بصورة تمثل القطة الفارسية وقد وقف على جانبيها الاسد البريطاني والدب الروسي، فأشار تستطيع ان تبدأ من الرأس ، وسأبدأ انا من الذيل ولا بد ان نلتقي في وسط الظهر، وهنا أومأت القطة الفارسية قائلة لكني لم أعبر عن فكرتي في الموضوع[٣].

ومن الجدير ذكره ان عقد معاهدة آب ١٩٠٧ ساعد الى حد كبير على تصحيح الصورة غير الواقعية لبريطانيا في أذهان قطاع واسع جداً من الايرانيين، وفي هذا الصدد كتب السير سبرنك رايس الى وزير خارجية بلاده ، ادوارد كراي ،قائلاً "يجب عليك ان تستعد لدفع الثمن الا وهو ضياع شعبية بريطانيا،فكان رد الوزير انه لم يكن ممكناً ان نصارع روسيا من أجل المحافظة على المودة مع الفرس"[٤]. ولعل ما جاء في صحيفة (نوبهار) الايرانية قد أكد حقيقة ما قاله سبرنك رايس، فبأسلوب ساخر قالت الصحيفة "اينما وجدنا تجمعاً فإن اسم روسيا أصبح نسياً منسياً، والمعنى الحقيقي للاتفاقية التي عقدها سبرنك رايس أصبح واضحاً، لقد تنكبنا طريق الصواب، وأخذنا، والحب يملأ قلوبنا،

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٢٤٣.
(٢) "حبل المتين" (صحيفة) ، تهران، العدد ١١٤ ، ١١ أيلول ١٩٠٧،ص٢.
(٣) خضير مظلوم فرحان البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦ – ١٩١٩ ،ص ٢٠٢.
(٤) روز لويس كريفس، المصدر السابق، ص ١٧.

نحتضن حكومة بريطانيا، ولكن جميل اننا نفهم إن حالة بريطانيا في المستقبل تشبه حالة روسيا"(١).

ومن هنا استمرت المظاهرات التي عمت سائر المناطق الايرانية منددة بالمعاهدة الروسية – البريطانية، وأكدت بأن رجال الدين والوطنيين معاً لم ينخدعوا بالفقرة الواردة في المعاهدة عن تعهد الدولتين بالمحافظة على استقلال ايران ووحدة اراضيها(٢). فضلاً عن دعوة رجال الدين خلال تلك المظاهرات ومن على منابر المساجد بمقاطعة البضائع الاجنبية وخصوصاً الروسية منها(٣).

وعلى الرغم من الإجراءات التي اتخذها المجلس ومن بينها رفض المعاهدة وعدم الاعتراف بها، فإن المشكلات الجمة التي كانت تعترض مسيرته، كانت اكبر من ان تجعل تحركات أعضائه من رجال الدين والوطنيين فعالة وذا أثر كبير في كبح الاطماع الاستعمارية، فقد استغلت بريطانيا فرصة توقيع معاهدة آب ١٩٠٧ لتؤسس لها فرقة حرس خاصة من الجندرمه بلغ تعدادها سبعة الاف جندي في الجنوب لايجاد نوع من الموازنة مع فرقة القوزاق التي نظمها الروس في طهران(٤). ومن جانب آخر فإن محمد علي شاه لم يتوان في تدبير الدسائس ليتسنى له حل المجلس وإلغاء الدستور(٥). كما استغلت الأجهزة الاستعمارية اختلاف علماء الدين حول الأسس الإسلامية لشرعية الثورة الدستورية، فجندت عملائها في تعميق هذا الخلاف وتضخيمه من اجل إضعاف المجلس وفرض أرادتها عليه، فكانت هذه المشاكل بمجموعها عوامل هددت في كثير من الأحيان كيان مجلس الشورى الوطني وأضعفت موقف اعضائه من علماء الدين والوطنيين المخلصين.

---

(١) R.W.Cottam,Nationalism in Iran, London, 1964,p, 167.

(٢) البروفسور رومين، اسيا المعاصرة – يقظة العملاق، ترجمة يوسف صبري العمري، ج١، مجلد ١، مصر ، ١٩٦٤،ص١٤٤.

(٣) ف.و.٣٣/٤١٦ من رسالة رايس الى كراى برقم ٢٩٤٩١/١٨٣ قلهك في ١٥ آب ١٩٠٧.

(٤) محمد كامل محمد عبد الرحمن، سياسة ايران الخارجية في عهد رضا شاه ١٩٢١ – ١٩٤١، مركز الدراسات الايرانية، البصرة، ١٩٨٨،ص١٩.

(٥) حسن شبر ، المصدر السابق،ص٧٨.

المبحث الرابع:

علماء الدين في العراق واثرهم في تطور احداث الثورة الدستورية ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧

تعد مدينة النجف الاشرف من امهات المدن العراقية المهمة ، والتي استقطبت الكثير من الايرانيين، باعتبارها من المدن المقدسة، لا سيما رجال الدين والمراجع الاعلام، الذين اختلطوا بأهلها وأقاموا معهم علاقات اجتماعية وطيدة واتخذوا منها مقراً لهم، فضلاً عن الدور السياسي الكبير الذي أداه هؤلاء في تاريخ العراق السياسي الحديث والمعاصر، لذلك لم تكن النجف بعيدة عن الاحداث السياسية في ايران آنذاك، لابل كان لها الاثر الواضح في تطور تلك الاحداث على مستوى الساحة الايرانية، وانعكاس تلك الاحداث على الساحة العراقية بشكل عام والنجف بشكل خاص.

ضمت المدارس الفقهية التي تأسست في هذه المدينة، لاسيما تلك المدرسة التي اسسها الشيخ محمد حسن الطوسي(١)، أكبر علماء الفقه والشريعة الذين نظروا في العديد من الامور العامة لا سيما الدينية والادارية، بل وحتى الاجتماعية، وفي الوقت نفسه كان لمجتهدي النجف الاشرف(٢)، دورا مؤثرا وبارزا في الكثير من الاحداث والحركات الكبرى التي حدثت انذاك في البلدان المجاورة، ومنها احداث الثورة الدستورية في ايران(٣).اذ كان لرجال الدين في مدينة النجف الاشرف الكلمة المسموعة من عامة الناس ليس في العراق

---

(١) هو أحد كبار علماء الدين في ايران، هاجر الى النجف الاشرف وسكن بجوار مرقد الامام علي (ع)، اسس مدرسة فقهية في مدينة النجف خرجت اكبر علماء الفقه والشريعة، وكان الطوسي يلقي حلقاته الدراسية فيها حتى وفاته سنة ٤٦٠ هـ، انظر، محمد رضا السماك، المصدر السابق، ص٢١.

(٢) المرزا حسين الخليلي، الملا محمد كاظم الخراساني، الشيخ عبد الله المازندراني، السيد محمد كاظم اليزدي، لمزيد من المعلومات عن حياتهم ، يراجع، مهدي انصاري، الشيخ فضل الله النوري ومشروطيت،ص١٢٠؛ محمد رضا السماك، المصدر السابق؛ محمد علي محمد الطبسي، ذكرى شيخنا الانصاري بعد قرن (١٢١٤ ـ ١٢١٩ هـ)، النجف ،١٣٨١، ص٧١.

(٣) مهدي انصاري، الشيخ فضل الله النوري ومشروطيت، ص١١٩.

حسب، بل في كافة انحاء العالم الاسلامي، وكانت الفتاوى الخاصة بهم تصدر عن دار "الحوزة"[1] في النجف ،ولم يبق امام المسلمين غير تنفيذها وتطبيق بنودها، ويعد الالتفاف عليها بمثابة الالتفاف على حدود الاسلام، ولهذا فإن نفوذ مدينة النجف ومراجعها الاعلام كان عاملا مهما ومساعداً في تطور احداث الثورة الدستورية في ايران، اذ يذكر بهذا الخصوص احد المؤرخين الايرانيين انه "لو لا فتاوى واحكام علماء النجف لما تقدم احداً من الجماهير الايرانية وطالب بالدستور"[2].

كانت العلاقات التي تربط بين رجال الدين في ايران والعراق قوية جداً ووثيقة الى الحد الذي يؤكد فيه العديد من المهتمين بالثورة الدستورية الايرانية على ان علماء النجف يمثلون قادة الرأي العام الايراني[3]. الامر الذي اتاح لهم فرصة تبادل الاراء في الكثير من الاحداث الايرانية بالذات، بدءاً من انطلاقة الثورة الاولى، فقد ابرق علماء الدين في ايران الى علماء الدين في العراق العديد من الرسائل التي استنجدوا فيها لمناصرتهم وتقديم العون والمؤازرة لهم للتخلص من الحكم الاستبدادي في ظل حكم مظفر الدين شاه وحثهم على التدخل لمناشدة الاخير بإقرار الدستور بسبب تصلب رأي الحكومة الايرانية، التي استخدمت القمع والقسوة مع علماء الدين في طهران وفي مقدمتهم السيد عبد الله البهبهاني والسيد محمد الطبأطبائي[4]. فضلاً عن المجتهد اغا نجفي قوجاني، احد ابرز علماء الدين في ايران، الذي بعث برسالة الى علماء الدين في النجف اراد من خلالها وقوفهم الى جانب علماء الدين في ايران ودعم مشروعهم الثوري القائم ضد الظلم والاستبداد القاجاري، فقد ناشد من خلال رسالته علماء النجف عن تشكيل مجلس مركب من عقلاء مملكة ايران المحترمين لرفع الظلم والاستبداد، فما هي احكامه الشرعية؟ وهنا لم يتأخر علماء الدين في العراق عن الاستجابة والمبادرة بتقديم العون والمساعدة في هذا الجانب، فقد ابرق علماء النجف الاجابة القاطعة والحاسمة والتي لم تقبل التأخير بأنه أي المجلس "من الواجبات

---

(1) المكان الذي يجتمع فيه كبار علماء الدين من المراجع وزعماء الحوزة الدينية لاتخاذ القرارات الحاسمة في القضايا المهمة التي تهم المجتمع الاسلامي والشريعة الاسلامية ، فيصبح ليس بامكان الشيعي وفقا لعقيدته ان يتمرد على تلك القرارات او يخرج من اطارها او يتخلف عن مقرراتها الدينية ، للمزيد ينظر ، سليم الحسني، دور علماء الشيعة في العراق في مواجهة الاستعمار ١٩٠٦ – ١٩٣٠، ط١، قم، ١٩٩٤،ص١٠.

(2) احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، جلد اول،جاب جهارم، ص١٩٧.

(3) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد اول، ص١٢٦.

(4) حسن الاسدي ، ثورة النجف على الانكليز اوالشرارة الاولى لثورة العشرين، بغداد، ١٩٧٤،ص٥٣.

الالهيـة" والتـي لا تحتـاج الـى حكـم وتوضـيح ودليـل او اجتهـاد واسـتنباط[1]. فكانـت هـذه الكلمـات بمثابـة توجيـه وارشـاد الشـعب الايرانـي بـالوقوف الـى جانـب علمائـه الاعـلام وبـذل المزيد مـن التضـحيات، ثـم تلاهـا ارسـال العديـد مـن الرسـائل والبرقيـات المـؤثرة والناصـحة، والتي كان لهـا صـدى واسعاً في نفوس الحكومة ، في حـين نجـد ان علمـاء الـدين فـي طهـران عدوا تدخلات علمـاء الـدين فـي العـراق فـي شـؤونـهم الداخليـة سـنداً لهـم وقـوة للمواجهـة[2]. وبذلك نلاحظ ان النجف قد اخذت بزمـام الحركـة الدسـتورية فـي ايـران وادارة حركـة التحـرر في طهران، وكانت مركزاً للقيادة والتوجيه في كثير من مراحلها[3].

ومـن هنـا لـم تعد الحـدود الجغرافيـة حـاجزاً بـين ايـران والعـراق بـل كانـت الاحـداث متداخلـة فـي كـلا البلـدين، اذ تـأثر الوسـط العراقـي بهـذه الحركـة ، كمـا اصـبح لـه تـأثير كبيـر بوقائعها، فعندما استخدم عين الدولـة، الصدر الاعظم، القوة ضد رجـال الـدين وانصـارهم فـي إيران، ابرق علمـاء الدين فـي إيـران برسـائل إلـى علمـاء الـدين فـي النجـف، حملـت شـكاواهم وتذمرهم مـن تسـلط الحكومـة الإيرانيـة وظلمهـا للرعيـة، وكـان مـن بينهـا نـص هـذه الرسـالة التي بعث بهـا عبد الله البهبهاني ومحمد الطبأطبائي وجمـال الـدين الـواعظ حيث جـاء فيهـا " مـارست الحكومـة ،من خلال مجموعة من القساة، ابشع الجرائم بحق علمـاء الـدين والأهـالي، فأصبح السجن والنفي وقتل النفوس في ايران من الامور المعتادة خلال هذه الأيـام ، فعطلـت نتيجة ذلك عموم الولايات الايرانيـة، نرجو التوجيـه السديد بأسـرع مـا يمكن"[4] واستجابة لعلمـاء الدين في ايـران، بعث المـلا محمد كاظم الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني برقيـة الى مظفر الدين شاه وجها لـه فيها اللوم والعتاب في آن واحد حيث جاء فيهـا "وصلتنا أخبـار موحشة عبر برقيات علماء الدين في ايران دامت بركـاتهم ، فجلبت لنـا الحـزن والاسف لمـا يلاقيه المسلمين من أذى على يد صدركم الأعظم الـذي لا يعرف شيئا عن الانسانية، فضلاً عن انـه اذل مقـامكم بـين الرعيـة،فلم يطبـق مـا أمـرتم بـه بشـأن وضـع دسـتور للـبلاد يحفـظ الاسـلام والمسـلمين ويطبقـه عمـوم الرعيـة فـي إيـران"[5] وتحـت ضـغط علمـاء الـدين فـي

---

(1) مهدي انصاري، شيخ فضل الله نوري ومشروطيت، ص١٢١.

(2) علي الخاقاني ، المصدر السابق، ص٨١.

(3) حسن شبر، المصدر السابق، ص٥٨.

(4) احمد كسروي ، تاريخ مشروطه ايران، جلد دوم، جاب سوم، ص٥٨٨.

(5) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطه ايران،جلد دوم، ص٣٣٧-٣٣٨.

العراق وفي إيران بادر مظفر الدين شاه إلى عزل عين الدولة وتنصيب مرزا نصر الله خان (مشير الدولة) بدلاً منه[1].

استمر علماء الدين في العراق في تواصل مستمر مع احداث الثورة الدستورية وتطوراتها في ايران، فلا غرو اذن ان ينتقل الخلاف الذي حدث بين علماء الدين في ايران حول صياغة مواد الدستور الى علماء الدين في النجف ، فتزعم السيد محمد كاظم اليزدي في العراق الجناح المناهض للثورة الدستورية في ايران[2] .اما في ايران فقد تزعمه، كما اسلفنا، الشيخ فضل الله النوري الذي حاول بث التشكيك والتشويه حول مبادئ الثورة واهدافها، وقد اصدر فتوى تناغمت مع طروحاته هذه، حيث نصت"ان تأسيس البرلمان وسن دستور للبلاد مغاير للشرع الاسلامي"[3]. ومن هنا اخذت الرسائل والبرقيات تنهال على علماء الدين في النجف من ايران تستفتيهم في امر المشروطه ومدى تطابقها مع الشريعة الاسلامية ومن بين اهم هذه الرسائل نص هذه الرسالة التي بعث بها علماء الدين في مجلس الشورى الوطني "حضرة حجج الاسلام آيات الله تعالى بين الانام ادام الله ظلهم، كما تعلمون ان هدفنا من تأسيس مجلس الشورى الوطني كان من اجل تطبيق احكام الشرع المبين، وصيانة المذهب الاثني عشري، ورفع تعديات الخائنين ونشر العدالة بين العباد، وزيادة قوة وشوكة الدولة الاسلامية مقابل اعداء الدين،ولكن مع ذلك اخذ البعض من الانانيين والمفسدين[4]، تدفعهم الى ذلك اهداف واغراض شخصية ، ينشرون الافتراءات والاكاذيب من اجل محو المجلس وايقاف مسيرته، لذا نحن ننظر فتواكم في بيان تكليف المسلمين بشأن هذا الامر"[6].

وتبدو مرة اخرى وبشكل واضح اهمية النجف ودور علمائها في توجيه احداث الثورة الدستورية الايرانية، من خلال الرسالة سالفة الذكر والموجهة اليهم من كبار علماء الدين في ايران لغرض اسنادهم وتقوية موقفهم مقابل اضعاف موقف مناوئيهم بين الشعوب

---

(1) محمد اسماعيل رضواني، انقلاب مشروطه ايران،ص١١٩.

(2) سليم الحسني، نقش علماى شيعه در رويارويى با استعمار ١٩٠٠ –١٩٢٠، ترجمة محمد باهر وصفاء الدين تبرائيان، انتشارات مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران،تهران، ١٣٧٨، ص٣٠.

(3) جلال الدين مدني، تاريخ سياسي معاصر ايران، جلد اول، تهران، بلا، ص٥٦.

(4) المقصود بذلك الشيخ فضل الله النوري واتباعه.

(6) ناظم الاسلام كرماني، تاريخ بيداري ايرانيان،ص٨٨؛ محمد علي كمال الدين، التطور الفكري في العراق، بغداد، ١٩٦٠، ص٢٣.

الايرانية، ومن اجل ذلك بادر علماء الدين في النجف بإصدار فتوى اختتمت بتوقيع الملا محمد كاظم الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني وحسين الخليلي، ثم ارسلت الى علماء الدين في ايران حيث جاء فيها "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعنة على اعدائهم اجمعين الى يوم الدين، نعم بحمد الله تعالى وحسن تأييده وتحت توجيهات الهادي العالي الشأن حضرة ولي العصر أرواحنا فداه، ان اساس المجلس المتبني للامور التي ذكرتموها هو مجلس مقدس ومحترم، وواجب على جميع المسلمين قبوله والعمل على تدعيمه وتشييد اساسه، وان الاقدام على مقاومة المجلس العالي بمنزلة الاقدام على مقاومة الدين الحنيف، اعاذ الله جميع المسلمين عن ذلك"[1].

عند وصول هذه الفتوى الى ايران قرأت من قبل السيد عبد الله البهبهاني بين اعضاء مجلس الشورى الوطني ثم وزعت نسخ منها بين وعاظ المساجد بهدف قرائتها على الناس، فكان لها وقع مؤثر في التفاف الجماهير حول المجلس، صحيح ان الدستور الايراني قد تضمن الكثير من المبادئ الديمقراطية الغربية والتي كانت احد الاسباب الرئيسية في انقسام علماء الدين في ايران، الا ان العلماء المؤيدين للدستورية كان هدفهم الاساسي ازالة الحكومة الاستبدادية ورفع الظلم والحيف عن الشعب الايراني، وقد اكد ذلك الملا محمد كاظم الخراساني في رسالة جوابية اخرى حول شكوك البعض بمجلس الشورى الوطني قائلاً" انه من الواجبات الالهية ووجوده ضروري لرفع الظلم وتقليص الاستبداد"[2].

وعلى الصعيد نفسه وجه الاخوند الخراساني والمرزا حسين الخليلي والشيخ عبد الله المازندراني نداءً الى الشعب الايراني اكدوا فيه " ان على عموم الشعب وخاصة العشائر ومناطق الثغور والحدود، نبذ الفرقة جانباً والتكاتف معاً، وتعلم فنون الحرب للدفاع عن التراب الايراني ، لذا ينبغي الاسراع في انتخاب النواب لينهضوا بواجباتهم في المجلس، وان ما يصدر من قوانين عن المجلس الوطني هي بمثابة الاحكام الشرعية واجبة الطاعة"[3].

---

(1) جهانكير قائم مقامي، اسناد تاريخي وقايع مشروطه ايران، جاب اول، تهران، ١٣٤٨، ص٨٩؛ سليم الحسني ، نقش علماى شيعة در رو يارويى با استعمار، ص٤٠.

(2) احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، جلد اول، جاب جهارم، ص١٧٢.

(3) محمد رضا السماك، المصدر السابق،ص٥٠.

وهكذا يبدو واضحاً ان اسناد وتوجيه علماء النجف لقادة الحركة الدستورية بل وعموم الشعب الايراني، كان له اثرا مهما في تطور تلك الحركة وديمومة مسيرتها نحو تحقيق اهدافها المرجوة على الرغم من العقبات الجمة التي واجهت زعمائها، وعندما حاول الشيخ فضل الله النوري ، بعد ان رفع راية المعارضة في ايران ضد الدستوريين ومجلسهم الوطني ، جذب أكبر عدد ممكن من رجال الدين وبالتالي العامة من الناس الى جانبه بهدف محاربة دعاة المشروطه وضرب مجلس الشورى الوطني، أكد علماء النجف، وفي مقدمتهم الملا الخراساني والمرزا حسين الخليلي والشيخ عبد الله المازندراني، في رسالة بعثوا بها الى رجال الدين وعامة الشعب الايراني "ان مجلس الشورى الوطني هو مفتاح وشموخ وعزة الدين والدولة، فضلاً عن انه اساساً للقوة وعدم الحاجة للاجنبي، واعمار المملكة، وان شاء الله سوف لن تتركوا دقيقة واحدة الا وتعملوا فيها من اجل تنفيذ قوانين الدين الاسلامي والعمل من اجل مصالح الدولة والشعب على الوجه الاكمل والاحسن والافضل"[(١)]. كما اعتبر الملا الخراساني ان مثل هذا المجلس مهماً جداً لمنافع البلاد والشعب، ويعتبر التهجم عليه تهجم على مشرع الدين المقدس وخيانة للدولة[(٢)].

استمر علماء النجف في دفاعهم عن الثورة الدستورية في ايران ومحاربة معارضيها من خلال الفتاوى والرسائل التي كانوا يبعثون بها الى ايران، فقد ارسل الملا محمد كاظم الخراساني والمرزا حسن الخليلي والشيخ عبد الله المازندراني هذه الفتوى اثر اشتداد معارضة الشيخ فضل الله النوري وانصاره ومحاولتهم محاصرة المجلس الوطني حيث جاء فيها "ان الجهود المبذولة من قبل دعاة الدستورية لأجل الحفاظ على الدين المبين وترقية وتطوير حال الرعية وصيانة أعراض المسلمين واستقرار وتعزيز الدستورية هي بمثابة جهاد في ركاب امام الزمان ، وان اية معارضة لها ولو كانت قيد أنملة، خذلان ومحاربة امام الزمان، وان مساندة معارضيها هي بمثابة حرب ضد امام الزمان"[(٣)].

ومن الجدير ملاحظته ان قادة الحركة الوطنية الايرانية بما فيهم علماء الدين لم يكن يخطوا خطوة واحدة الا ويستشيروا فيها علماء الدين في العراق، فقد ارسل محمد الطبأطبائي وعبد الله البهبهاني رسالة مشتركة الى علماء النجف يستشيرونهم حول ملائمة

---

(١) مهدي انصاري، شيخ فضل الله نوري ومشروطيت، ص١٢٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص١٢٤.
(٣) احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، جلد دوم، جاب سوم، ص٦١٧.

المادة الثانية من دستور ١٩٠٦ للشريعة الاسلامية[١]، فأجاب الملا محمد كاظم الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني "ان المادة المتعلقة باشراف هيئة الفقهاء على لوائح وقوانين المجلس والتي تم تدوينها في اللائحة الداخلية للمجلس هي موافقة وملائمة تماما للشريعة المطهرة، لذلك يجب التأكيد عليها لدفع شر الاشرار والزنادقة الذين يميلون الى اشاعة الفساد في البلاد ويحاولون الاساءة الى هذه المادة من خلال اشاعة المنكر "[٢].

وفي الوقت نفسه كان رجال الدين في النجف على اتصال مستمر ووثيق بالاحرار الدستوريين الايرانيين وأخص بالذكر منهم الشيخ محمد تقي نجل المصلح الخليلي والمرزا مهدي نجل المصلح الخراساني ، اللذان كانا لهما تأثيراً كبيراً في الوسط العلمي في النجف بخصوص دفع الحركة الدستورية في ايران الى امام ايضاً[٣].

كان تأييد رجال الدين في العراق لايران والحركة الدستورية فيها منطلق من محاولة ازالة الظلم وتحقيق العدالة من خلال ذلك المجلس ، فقد كان هدفهم من دعم المشروطه وتقويتها هو وضع اسس قانونية ترفع تجاوزات السلطة المستبدة وتثبت مرتكزات للعدل التي يستند عليها الشعب، وكانوا يعبرون عن ذلك في الكثير من احاديثهم بأنهم لا يريدون ان يخسروا الشعب[٤].

وفي السياق نفسه نجد ان الخراساني خلال جوابه لاهالي تبريز الذين بعثوا برسالة الى علماء النجف التي شكوا فيها معارضي الدستورية وبتوجيه من رجال الدولة حيث جاء فيها "اليوم يقوم أعداء الحرية ومن على منابر المساجد بمحاولة النيل من المجلس وتوجيه الناس بأتجاه خدمة مصالحهم واغراضهم الشخصية دون ان تتخذ اية اجراءات ضدهم ...."[٥] فكان جواب الملا الخراساني ينم عن حرصه في عدم اتساع الفتنة وازدياد العداء بين الشعب من جهة والحكومة من جهة اخرى حيث اجاب "وصلتنا برقيتكم التي تشكون فيها من الخونة واعداء الحرية، وقد اسفنا كثيرا لهذا الخبر، واننا على يقين من ان هؤلاء الاشخاص غير مأذونين من قبل الشاه في أعمالهم هذه، لأن الامة الايرانية اليوم

---

(١) ذكر نص المادة الثانية في ص٢٨ – ٢٩ من المبحث الثاني.

(٢) سليم الحسني، نقش علماى شيعة در رو يا روبي، ص٣٤.

(٣) عبد الرحيم محمد علي ، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني، ط١، النجف ،١٩٧٢،ص٧٣.

(٤) رحيم نيكبخت ميركوهي، نقش روحانيت در تحولات سياسي اجتماعي أذربيجان،ص٣٨٩.

(٥) احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، جلد دوم، جاب سوم، ص٥٨٩.

متحدة الكلمة على وجوب افتتاح المجلس الذي سوف يساعد على محو الاستبداد وإزالة العادات الرذيلة ونشر القانون في البلاد"[١].وعلى الرغم من أن احداث الثورة الدستورية كانت تخص ايران وكان الهدف منها محاولة ترسيم السياسة الايرانية وجعل النظام السياسي يقوم على الاسس البريطانية، الا انها اثرت وبشكل كبير على الوسط العراقي، فكما ان الشعب الايراني انقسم في موقفه ازاء الحركة الدستورية، فإن المهتمين من الشعب العراقي انقسموا ايضا في موقفهم للسبب نفسه، وكان هذا الانقسام نتيجة لعملية تقليد العوام للعلماء وليس بالضرورة لفهم مبادئ وأهداف الحركة الدستورية، الامر الذي أدى الى نزاع شديد بين مقلدي الملا الخراساني وبين انصار السيد محمد كاظم البزري المعارض للدستورية، بحيث كانت الخصومة خارجة عن حدود المعقول[٢].

لقد حاول علماء الدين في النجف المؤيدين للثورة الدستورية وفي مقدمتهم الملا محمد كاظم الخراساني ، التنسيق بين الاطراف المتنازعة حول الثورة، ومحاولة توحيد الجهود من اجل الوصول بالدستورية الى حالة الاستقرار من خلال ارساله العديد من الرسائل التوجيهية والفتاوى التحذيرية والتي أدت دوراً مهماً في هذا الجانب، ومن الجدير بالذكر ان الملا محمد كاظم الخراساني قد انفق سبعمائة ليرة عثمانية كقيمة لارسال هذه الرسائل والبرقيات الخاصة بتأييد الدستور في ايران[٣]. ومن هنا كان وقوفه الى جانب الدستورية اعظم سند لها، فقد ذكر جانيت افاري انه"لو ان الملا الخراساني المتواجد في النجف قد وقف الى جانب الشيخ فضل الله النوري،لنسفت الثورة الدستورية"[٤] ومن ذلك يتضح لنا ان جهود المراجع الدينية في العراق وبالذات في النجف، كانت من أهم اسباب نجاح وانتصار الثورة الدستورية في ايران، ذلك الانتصار الذي ناضلت من اجله المؤسسة الدينية في ايران بإصرار واضح خلال حكم محمد علي شاه (١٩٠٧ ـ ١٩٠٩).

---

(١) سليم الحسني، نقش علماى شيعة در رو باروبي، ص٤٠.
(٢) حسن شبر، المصدر السابق، ص٥٨.
(٣) عبد الرحيم محمد علي، المصدر السابق، ص٧٣.
(٤) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص١٣٩.

الفصل الثالث

المؤسسة الدينية وقيادتها للاهداف الداخلية خلال عهد محمد علي شاه

المبحث الاول:
طبيعة العلاقة بين المؤسسة ومحمد علي شاه ١٩٠٧ ــ ١٩٠٨

المبحث الثاني:
دور المؤسسة الدينية في خلع محمد علي شاه ١٩٠٩ من السلطة

المبحث الثالث:
علماء الدين في النجف واثرهم في توجيه احداث الثورة الدستورية حتى عام ١٩٠٩

المبحث الاول:

طبيعة العلاقة بين المؤسسة ومحمد علي شاه ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨

كانت فترة حكم محمد علي شاه واحدة من اخطر المراحل التي مرت بها حركة المشروطة ، فعلى الرغم من تظاهره بدعم الحركة الوطنية ، الا ان زعمائها كانوا يعلمون جيداً ما يبيت لهم وما يخفي من نوايا سيئة تجاههم . وكانت اولى بوادر ذلك العداء تجاهل الشاه الجديد اعضاء المجلس ، بما فيهم رجال الدين ، وعدم توجيه الدعوة لهم في حفلة تتويجه يوم ٢٠ كانون الثاني ١٩٠٧. رغم انه كان قد دعا اليها الوزراء وكبار الموظفين ورجال السلك الدبلوماسي وغيرهم ، لذلك رأى الكثير من رجال الدين في هذا التجاهل بادرة خطيرة ، تعكس عدم احترام السلطة الحاكمة لممثلي الشعب[١] .

وكان محمد علي شاه منذ بداية حكمه بل منذ كان ولياً للعهد يميل وبشكل كبير الى الروس[٢] .

ورغم اعتراف محمد علي شاه بمجلس الشورى الوطني ، الا انه لم يشأ التخلي عن سلطاته المطلقة ، فاراد ان يستخدم نفوذه في حل ومعالجة جميع الشؤون الايرانية[٣].الا ان رجال الدين رفضوا ذلك ، واكدوا له بان صلاحية القرارات النهائية تكمن في موافقة المجلس نفسه وليس الشاه ، وفي الوقت نفسه عارض المجلس فكرة التورط بقروض خارجية ، إذ يمكن معالجة ذلك بتحديد نفقات الحكومة،مما ادى ذلك الى استياء الشاه ومناصبته العداء للمجلس [٤].

وعلى الرغم من تصرفات الشاه العدائية ومحاولاته تهميش دور رجال الدين والمجلس الايراني الا ان غالبية اعضاء المجلس لم يكن يرغب البدء بصراع مع الشاه ،

---

(١) E. Brown , The Persian Revolution , p , 134

(٢) كان الشاه منسجماً مع طريقة التفكير الروسي في الحكم والسياسة ، وكان لمعلمه ومستشاره سيرغي شابشال اثراً كبيراً في ذلك ، فقد كانت له سيطرة كبيرة عليه ، انظر ، "الهلال" المصدر السابق ، الجزء الخامس ، المجلد ٧ ، ١٢ صفر ١٣٣٠ ه (شباط ١٩١٢) ،ص٢٦٩

(٣) علي اصغر شميم ، از نادر تاكودتاي رضا خان مبرنج ، ص٣٦٢

(٤) يحيى دولت ابادي ، تاريخ معاصر يا حيات يحيى ، ص٩٩

ليصرفوا جهودهم عن تشريع القوانين الاصلاحية [1] . كما ان الشاه كان مدركاً صعوبة الصدام العلني والمباشر مع المجلس لاسيما وان الالتفاف الجماهيري حول المجلس كان يزداد ويقوى ، لذلك لجأ الى خلق الفتن وحياكة الدسائس ، وفي ذلك يقول الوزير المفوض البريطاني في طهران سير سبرنك رايس في تقرير بعثه الى الخارجية البريطانية "تاكد لي منذ زمن بعيد ان محمد علي شاه يحمل نوايا سيئة ضد المشروطة ، وهو منهمك بتدبير الدسائس ليتسنى له حل المجلس والغاء المشروطة " كما اكد الوزير المفوض في تقريره " ان محمد علي شاه يضمر في قلبه غير ما يقوله بلسانه ، وستحدث في إيران عاجلاً ام آجلاً ازمة يصعب التكهن بابعادها "[2] . وقد شجعه على ذلك ، المواقف المعارضة لعلماء الدين وانقسام الرأي العام الاسلامي الداخلي والخارجي حول المشروطة ، ففي محرم | شباط ١٩٠٧ اغتنم الشاه فرصة تجمع الناس في المساجد حيث تعاد فيها قصة تضحية آل البيت في معركة كربلاء (عاشوراء) ، ويتطرق المجتهدون والخطباء الى اوضاع المسلمين السياسية والاجتماعية ، فاعتلى منابر المساجد في طهران ، بعض ممن استطاع استمالتهم الى جانبه من رجال الدين ، فاخذوا ينددون بالحكم الدستوري باعتباره مخالفاً للشريعة ومغايراً لمصلحة الوطن وكان في مقدمة هؤلاء الشيخ زين الدين زنجاني وسيد اكبر شاه ،من رجال الدين البارزين في طهران ، اللذان استطاعا ان يجمعا حولهما بعض العامة من المتحمسين لأرائهم المعارضة للدستور ، وكادت تلك الحركة ان تضعف موقف الوطنيين[3]. الا ان المجتهد بن عبد الله البهبهاني ومحمد الطباطبائي استطاعا بمالهم من مكانة واحترام بين الناس تهدئة الاوضاع واطفاء الفتنة ، بالشكل الذي يعود على البلاد وسمعة رجال الدين بالفائدة ، الامر الذي دفع الشاه نفسه ان يأمر بطرد الشيخ زين الدين زنجاني من طهران بعد طلب هذين المجتهدين ذلك منه ليظهر بمظهر المتعاون مع المجلس امام الرأي العام الايراني فالتجأ الشيخ زنجاني الى ضريح شاه عبد العظيم احتجاجاً على موقف الحكومة منه ، وتجمع حوله مجموعة من انصاره ، غير انه تراجع بعد فترة من

(١) طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص١٩٤
(٢) مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلدسوم ، ص٨٧
(٣) رحيم رضا زارة تكث ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٣٨

الزمن لعدم استجابة الجماهير لحركته ، فأعلن توبته وعاد الى طهران بعد ان صفح عنه المجلس ورجال الدين[١] .

كما قام الشاه بتحريض بيوك خان ، رئيس قبائل جليبانلو في شمال ايران ، بأعلان التمرد في اذربيجان ، فحدثت معارك شديدة بينه وبين التبريزيين بزعامة رجال الدين هناك ، راح ضحيتها اعداد كبيرة من الطرفين ، ثم قام رجال الدين من اعضاء جمعية تبريز بارسال التلغرافات الى المجلس الذي اجتمع يوم ٢٥ آيار ١٩٠٧ واستمر اجتماعه حتى الخامسة صباحاً من اليوم التالي لحل هذه المشكلة وفض النزاع ، الا ان المسلمين من اهالي تبريز استطاعوا في النهاية سحق وهزيمة بيوك خان[٢] .

وهكذا اخذ محمد علي شاه يحاول اشغال المجلس بمعارك جانبية وترك الامور الاصلاحية التي جاء المجلس من اجلها ، وقد تنبه الناس الى مؤامرات الشاه ومحاولاته اثارة الفوضى لكي يظهر عدم قدرة المجلس القيام بواجباته وحفظ الامن ، ولذلك اخذت المنشورات السرية بالظهور والتي كانت تندد بالحكومة وتتهم رئيسها بالخيانة ، كما قامت مظاهرات واسعة في طهران ، اخذ المتظاهرون خلالها ينالون الشاه نفسه بالسب والشتم ، وينسبون اليه العمل على عرقلة الاصلاح في البلاد[٣].

ولم يقتصر الامر على طهران وتبريز حسب ، بل امتد ليشمل مدن ايرانية اخرى ، فقد قام المواطنون في رشت واصفهان ومشهد ومراغة وشيراز باستنكار مواقف السلطة وعلى رأسها الشاه ، واعلان تأييدهم المطلق للمجلس الوطني ، كما طالبت جموع المتظاهرين باخراج الاجانب ومنعهم من التدخل في شؤون البلاد ، فقد ذكر سيرسبرنك رايس ، المفوض البريطاني في طهران ، في رسالة بعث بها الى وزير خارجيته ، ادوارد كراي ، ذكر فيها ان الجماهير الغاضبة خرجت بمظاهرات واسعة مطالبة بعزل المسيو ناوس ورفاقه من مناصبهم واخراجهم من البلاد[٤]. كما ذكر في رسالة اخرى ان المجلس الوطني اولى اهتماماً كبير بمطالب الشعب ، وعلى الشاه قبول هذه المطالب[٥].

---

(١) احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، ص ٢٢٥

(٢) رحيم رضا زادة تكت ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٤٦

(٣) ف.و. ٤١٦/٣٣ من تقرر ايس الى كراي برقم ٢٢٣٩٣/١٢٨ قلهك في ١٥ يونيو ١٩٠٧ ؛ احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، ص ٢٧٨

(٤) رحيم رضا زاده تكت ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٣٥

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٦

وعلى الرغم من محاولات الشاه امتصاص نقمة الشعب ، وابداء تأييده التام للمجلس ، الا ان ذلك لم يكن بالامر الذي يمكن ان يعيد الثقة بالشاه ويكشف عن نواياه الحسنة ، خصوصاً بعد اكتشاف مؤامرة كانت قد دبرها اكرام السلطان ، شقيق احد رجال البلاط ، لأغتيال كافة قادة تبريز بما فيهم رجال الدين[١] . وقد تأثر التبريزيون من موقف الحكومة والشاه العدائي هذا ، فطالبوا جمعيتهم المحلية بتأمين الحماية الكافية لسكان المدينة ، وقاموا بأرسال انذار الى الحكومة في طهران ، حذروا فيه الشاه ، بأنهم سيقومون بعمل دستور خاص بأذربيجان ، ان لم يتم التوقيع على ملحق الدستور[٢]. اذ ان محمد علي شاه كان يماطل في عملية التوقيع على ملحق الدستور .

وفي مدينة يزد امتلأت الشوارع بالمتظاهرين ، وارسل اعضاء جمعيتها (انجمن فاطمة) من رجال الدين برقية شديدة اللهجة الى محمد علي شاه ، يوم ١٩ ذي القعدة ١٩٠٨/١٣٢٥ ، حذروا فيها الشاه تطاوله على الرعية من خلال اعوانه المنتشرين في المدن الايرانية ، وتحايله على المجلس وقوانينه الاصلاحية[٣] .

كما ارسل اعضاء الجمعية المذكورة ، برقية الى اعضاء مجلس الشورى الوطني ، ذكروا فيها انهم ارسلوا قبل اربعة ايام برقية الى الشاه ولكنهم حتى اليوم لم تصل اليهم اخبار طيبة ، ولذلك فأن اهالي مدينة يزد لا يزالون في حالة من الغضب والهيام[٤] .

على الرغم من وقوف رجال الدين ومن ورائهم الجماهير حول المجلس الوطني ورغبتهم الواضحة في التخلص من الحكم القاجاري المستبد ، الا ان اعضاء المجلس الوطني كانوا يدركون ان الصدام مع الشاه واعوانه سوف تنعكس نتائجه على الشعب الايراني وربما سيؤدي ذلك الى حرب اهلية تفسح المجال واسعاً امام التدخل الاجنبي في شؤون ايران الداخلية ، وفي الوقت نفسه كان محمد علي شاه يدرك ان التطور الدستوري يعني ان عمر اسرة القاجار في الحكم اصبح قصيراً ، لذلك كان يعمل في السر والعلن لتركيز

---

(١) احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، ص٣٣٦

(٢) نص ملحق الدستور الموقع في كانون الاول على (١٠٧) مادة اهتمت بالقضايا التي تتعلق بالسلطة الملكية وحقوق المجالس البرلمانية والمالية والجيش وغير ذلك . لمزيد من التفاصيل حول الموضوع ، رحيم رضا زا‌دتكت انقلاب مشروطة ايران ، ص٣٣- ٣٥ ؛ طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢١٥- ٢١٩

(٣) محمد مهدي شريف كاشاني ، واقعات اتفاقية در روزكار ويراسته منصورة اتحادية (نظام مافي) وسيروس سعدونديان ، جلد اول ، انتشارات تاريخ ايران ، تهران ، ١٣٦٣ ، ص ١٥٠

(٤) علي اكبر تشكري ، ازورود انديشه نوين ، ص ٦٣

كافة السلطات في يده لا في ايه مؤسسة دستورية اخرى[1]. وكان محمد علي شاه يرى في اتحاد رجال الدين ووحدة كلمتهم قوة يصعب معها تنفيذ مخططاته وفرض ارادته، لذلك عمل وبكل جهده على بث الفرقة والانقسام بين الفئات الوطنية لا سيما رجال الدين حتى تظل في تناحر دائم فيما بينها ، وفي النهاية اللجوء للقوة العسكرية لتسديد الضربة الاخيرة للحركة الوطنية في الوقت المناسب.

وفي الوقت الذي كانت فيه روسيا تساند الشاه وتموله بالقروض الشخصية للقضاء على الحركة الوطنية ، ادعت ومعها بريطانيا بانهما لن يتدخلا فيما يدور بين الشاه والحركة الوطنية الا في حالة حماية مصالحهما[2]. ومن هنا ضيق محمد علي شاه ، بواسطة اعوانه، الخناق على مؤيدي واتباع الحركة الدستورية في مختلف المدن الايرانية بهدف اجبارهم التخلي عن مساندة الحركة الوطنية اولاً ، وارباك الاوضاع الامنية واشاعة الفوضى في البلاد ثانياً ، ففي ضاحية بندر عباس ، ذكر المفوض البريطاني سبرنك رايس في معرض تقريره المرسل الى الخارجية البريطانية في ايار ١٩٠٧ ، ان ما يقرب من مئتي شخص لجأوا الى القنصلية البريطانية في بندر عباس ، وطلبوا من القنصل البريطاني السماح لهم بالتحصن فيها تخلصاً من تعديات حاكم المدينة المدفوع من قبل الشاه [3].

وفي تقرير اخر بتاريخ ٢٥ ايار ١٩٠٧ ذكر رايس ان مجتهدي تبريز واصفهان ، وعلى رأسهم اغا نجفي اصفهاني ، احد علماء اصفهان البارزيين جداً ، قد بعثوا برسالة الى محمد علي شاه ، طلبوا فيها التوقيع على ملحق الدستور ، لأن اغلب مواده ذات اهمية كبيرة بالنسبة للبلد ، وهي لاتزال تحت يد اعضاء مجلس الشورى الوطني في طهران كما ذكر سبرنك رايس ، ان المجتهد اغا نجفي قد اعتلى المنبر في احد مساجد اصفهان واخذ يحث الناس بالامتناع عن شراء الاقمشة الاجنبية موضحاً ان ذلك سيعود بالفائدة الكبيرة لاقتصاد إيران[4].

بعد ان اتضحت الاتجاهات الوطنية لمجلس الشورى الوطني ، ومحاولاته الجادة في السيطرة على مجريات الامور شعرت كل من روسيا وبريطانيا بأن المجلس الوطني اصبح

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ، ج٢ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص٣٠٨

(٢) عباس اسكندري ، تاريخ مفصل مشروطيت إيران يا كتاب أرزو ، ص١٦٣ - ١٦٤

(٣) رحيم رضا زادة تكت ، انقلاب مشروطة إيران ، ص٤٤

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٧ .

يمثل خطراً حقيقياً على مصالحهما في ايران ، فكان لا بد لهما البحث عن حل لتلك المخاوف ، وفي الوقت نفسه يؤمن مصالحهما في المنطقة ، فكان ذلك هو الوفاق الودي الانكلو-روسي لعام ١٩٠٧ ، الذي وضع البلاد تحت سيطرتهما النهائية ، وادى في الوقت نفسه الى اضعاف الحركة الوطنية وقيام محمد علي شاه فيما بعد ، وبمساعدة الروس ، بتعطيل الدستور ومطاردة الوطنيين في كل مكان[١] . ولكن على الرغم من ذلك بقي الطرفان (اعضاء المجلس من رجال الدين والاحرار والشاه) الورقة الرابحة بيد الاستعمارين الروسي _ البريطاني ، يستخدمانها وقت ما شاء لأن الهدف الروسي _ البريطاني ، كان ضمان استمرار التقسيم الاستعماري لأيران ، ولا قيمة لطبيعة العلاقات الروسية او البريطانية بالقوى الحاكمة او المحكومة ، الا من حيث تأثيرها على استمرار هذا التقسيم[٢].

وعلى أي حال فأن محمد علي شاه لم يكن بعيداً عن تلك المعاهدة ففي الوقت الذي كانت تجري فيه المحادثات بين المسؤولين البريطانيين والروس حول تقسيم ايران ، كان محمد علي شاه يتجول في بطرسبورغ ولندن ، وقد تباحث معه كل من السيد ازفولسكي وزير خارجية روسيا ومعاونه كرباستوف وكذلك ادوارد غري وزير الخارجية البريطانية ومعاونه السير جارلس هاردينك ، حول المعاهدة الروسية الانكليزية وقد وعده ازفولسكي بأن الدولتان سوف تتعهدان باحترام استقلال ايران ، وفي نهاية جولاته منح انواط رفيعة في بطرسبورغ ولندن[٣] . وبذلك فأن الامر لا يخلو من شك في تواطؤ الشاه مع المستعمرين فتلك هي سياسة الاستعمار وذلك هو شأن ملوك القاجار في توددهم للمستعمرين دون الاهتمام بالسيادة الوطنية ووخزة الضمير .

وعلى اي حال فبعد مقتل امين السلطان تولى رئاسة الوزراء احمد خان ، مشير السلطة ، بتاريخ ٧ أيلول ١٩٠٧[٤]. كما تولى رئاسة المجلس ميرزا محمود خان ، احتشام السلطنة ، بعد استقالة رئيسه السابق صنيع الدولة[٥].

---

(١) طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢١٢

(٢) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص٣١٠

(٣) علي اكبر ولايتي ، تاريخ روابط خارجي ايران در دورة اول مشروطة ، ص٦

(٤) بهروز فاضلي ، قاموس المعلومات العامة الايرانية او دائرة المعارف الاجتماعية ، مؤسسة افشار ، بلا ، ص٤٨

(٥) احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، ص٤٨٣

استغل محمد علي شاه ، الذي زاد نشاطه بفضل التفاهم الروسي – البريطاني ١٩٠٧ ، ضعف مشير السلطنة ، فصار يتدخل في شؤون الدولة لتنفيذ سياسته الرامية الى تحطيم الحركة الوطنية والعودة بإيران الى النظام الاستبدادي ، وكانت تحركاته واسعة الى الحد الذي جعل سبرنك رايس يزوره محذراً اياه الاخطار التي سيواجهها على يد رجال الدين والتي قد تصل الى حد تكفيره[١].

وعلى الرغم من محاولة اعضاء مجلس الشورى الوطني كبح سلطات محمد علي شاه ، وممارسة السلطة الكاملة في الشؤون الداخلية والخارجية الايرانية من خلال ما تضمنه ملحق الدستور الذي وقعه محمد علي شاه في كانون الاول ١٩٠٧ ، الا ان الشاه استمر في تجاوز صلاحياته والاستهانة بالدستور ، فعين امير بهادر جنك رئيساً لحرسه الخاص بعد ان احضره من تبريز ومعه ثلاثمئة جندي[٢] . كما عين سعد الدولة مستشاراً له بعد ان كان من ممثلي المجلس البارزين ومن الرجال المطلعين على اسراره ، فقد انضم الى جانب الشاه لعدم ترشيحه الى رئاسة المجلس واصبح من اشد اعداء الدستوريين ، فأستقال من عضوية المجلس الوطني ، واخذ ينصح الشاه بخلق الاضطرابات في جميع انحاء البلاد بحيث تصل االى مرحلة ان السفارات الاجنبية تقتنع بأن الشعب الايراني لم يصل حتى الان مرحلة الوعي والنضوج لكي يصبح صاحب حكومة دستورية ، وبالتالي فأن ما يحدث في ايران ما هو الا عبارة عن تمردات وعصيان ضد حكومة الشاه الشرعية[٣] .

وفي هذه الاثناء قدمت حكومة مشير السلطنة استقالتها في ١٨ تشرين الاول ١٩٠٧ ، بسبب تصاعد الاضطرابات في البلاد[٤] . فتولى رئاسة الوزراء ابو القاسم خان (ناصر الملك) ، وزير المالية سابقاً في ٢٦ تشرين الاول ١٩٠٧ ، ولم يستطع ناصر الملك ، على الرغم من خبرته وثقافته العالية ، اصلاح الامور المالية واقرار الامن ، بسبب تدخل الشاه سراً لدى الشرطة ليحول بينها وبين اداء واجباتها[٥]. ولغرض تجريد المجلس الوطني

---

(١) احمد بشيري ، كتاب أبي كزار شهاي محرمانه وزارة امور خارجه انكليس دربارة انقلاب مشروطة ايران ، جلد اول ، انتشارات نشرنو ، تهران ، ١٣٦٣، ص٥٨

(٢) يحيى دولت أبادي تاريخ معاصر يا حيات يحيى ، ص١٦٠

(٣) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران ، ص١٥٥ ؛ جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ، ص١٧٨

(٤) محمد جواد مشكور ، تاريخ ايران زمين از روز كارباستان تا عصر حاضر ، ص٣٦٨

(٥) ف.و. ٤١٦ / ٣٤ من رسالة مارلينك السرية الى كراي برقم ٢٤٣ طهران في ٧ نوفمبر ، تشرين الثاني ١٩٠٧

من صلاحياته ارسل محمد علي شاه في كانون الاول ١٩٠٧ تعميماً الى حكام الولايات طلب منهم فيه تلقي الاوامر والتعليمات منه فقط[١]. وعندما شعر نواب المجلس بالاخطار المحدقة بهم ، جمعوا حولهم المتطوعين بعد ان تم تجهيزهم بالاسلحة والاعتدة للدفاع عن المجلس وحماية المشروطة ، كما بعث اهالي تبريز برقية الى الشاه ، هددوه فيها بازالة عرشه في حالة قيامه بأي خطوة ضد المجلس الوطني الايراني[٢].

ونتيجة لذلك ، حاول الشاه جس نبض الحكومة الروسية ، ذلك عندما تقدم بطلب الى القيصر الروسي نيقولاي الثاني حول السماح له باللجوء الى السفارة الروسية في حالة الضرورة ، فرد عليه القيصر الروسي في ٣١ كانون الاول ١٩٠٧ ما نصه "يمكن انقاذ ايران وعرش الشاه فقط من خلال ضرب المجلس وجميع المنظمات الثورية الاخرى دون ادنى تأخير ، وهذا هو ردي الوحيد" [٣].

ولذلك لم يتردد محمد علي شاه في المضي بمخططاته العدائية للنيل من الدستوريين ، لا سيما رجال الدين وتحطيم مشاريعهم الاصلاحية ، يساعده في ذلك بعضاً ممن تضررت مصالحهم او ممن باعوا ذممهم بقليل من المال ، فتم اغتيال سلطان العلماء خراساني ، محرر جريدة "روح القدس" الطهرانية ، بسبب ما حملته صفحات جريدته من تهجم ضد الشاه ، فضلاً عن دعوتها المواطنين للالتفاف حول مجلس الشورى الوطني[٤].

اخذت الاوضاع الداخلية الايرانية تشتد تأزماً نتيجة تصرفات الشاه العدائية ، الامر الذي دفع المجتهدان عبد الله البهبهاني ومحمد الطباطبائي الى ارسال عدد من البرقيات الى علماء الدين في كافة انحاء ايران ، اوضحا فيها غايات الاشرار والمفسدين في زعزعة المشروطة والقضاء على مجلس الشورى الوطني ، وعلى اثر ذلك اجتمع جمع من علماء اصفهان وتجارها وحشد كبير من الناس في منزل اغا نجفي اصفهاني ، كما حضر الاجتماع حاج اغا نور الله ثقة الاسلام ، احد كبار مجتهدي المدينة ومن الذين شاركوا علماء الدين التحصن في حضرة شاه عبد العظيم ، في بداية الثورة ، حيث القى اغا نجفي خطاباً اكد فيه على ضرورة حماية المجلس والدفاع عن المشروطة ، فكان جواب

---

(١) احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، ص ٥١٦
(٢) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران ، ص١٥٦
(٣) اسعد محمد زيدان الجواري ، المصدر السابق ، ص٧١
(٤) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص ١٨٢

المحتشدين بذل المال والاولاد فداء للمجلس المقدس[1] . كما وصلت الى اصفهان عدة رسائل من مجتهدي رشت وكرمان وطهران وتبريز تحمل نفس المعنى ، وقد ارسل التبريزيون برقية شديدة اللهجة الى محمد علي شاه ، تضمنت تذكيره بأدائه اليمين بالقرآن على ان يحمي ويحافظ على الدستور ، فكيف اليوم يخالف عهده ، وعليه اصر التبريزيون على وجوب خلع الشاه ويبلغ بذلك علماء الدين في النجف ومجلس الشورى الوطني ، فضلاً عن السفارات الاجنبية في طهران[2] . بهدف اثبات وجود المجلس الوطني واحكام قبضته على شؤون البلاد السياسية الداخلية والخارجية ، وتنبيه تلك السفارات بأن المجلس هو صاحب القرار النهائي في ادارة شؤون البلاد.

وفي غضون ذلك ابلغت جمعية رشت مجتهدي واعضاء جمعية اصفهان ، بأن اهالي كيلان بكل قواهم سوف يتحركون الى طهران ويأملون ان تفعل باقي الولايات الايرانية الشيء نفسه ، فأخذ الرجال المندفعين من اهالي اصفهان يودعون ذويهم في جو يملأه الحزن والبكاء متوجهين نحو طهران[3] وبالمقابل امر الشاه بعض المسلحين ، الذين استأجرهم ، بأحداث الشغب في طهران ، فتجمع هؤلاء في ميدان طوبخانة (ميدان المدفعية) الذي يبعد عن بناية المجلس كيلو متراً واحداً ، ومنه اخذوا يهاجمون المحلات ويتعرضون للمارة ، وكانوا يهتفون " نريد دين النبي لا المشروطة " !! وقد قتلوا بعض من ظنوا انهم انصار المجلس ، كما اخذوا ينهبون كل ما تقع عليه ايديهم من مواد وغيرها[4] . فضلاً عن ذلك الدور الخطير الذي قام به كل من سعد الدولة ، الذي اصبح صديقاً حميماً للشاه من باب (عدو عدوي صديقي) ، واميربها درجنك ، قائد حرس الشاه ، والكولونيل لياخون ، القائد الروسي لفرقة القوزاق الايرانية ، بخصوص تأليب المعارضين للحركة الدستورية ودعمهم في هذا الجانب بكافة انواع الدعم[5].

ومن المثير للملاحظة ان الشاه واعوانه اجبروا بعض الاقليات اليهودية في طهران للوقوف الى جانب المعارضين للحركة الدستورية بعد ان كانوا على الحياد بتوجيه قادتهم

---

(١) لقمان دهقان نيرى ، انجمن ملي اصفهان وكودتاي محمد علي شاه – في كتاب نهضت مشروطيت ايران ، جلد اول ، جاب اول ، مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران ، تهران ، ١٣٧٨ ، ص١٠٠

(٢) لقمان دهقان نيرى ، آنجمن ملي اصفهان ، ص١٠١

(٣) لقمان دهقان نيرى ، انجمن ملي اصفهان ، ص١٠١

(٤) حسن علاج ، تاريخ تحولات سياسي ايران ، تهران، ١٣٣٥، ص٤٠

(٥) مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد دوم ، ص٥٦٦

الدينيين ، وبعد اشتراكهم في الاحداث ضد المشروطة رفعوا شعار "نحن امة موسى كما يقول المسلمون لا نريد المشروطة "[1] .

وخلال تلك الاحداث ، وصلت الى طهران اعداد كبيرة من المناصرين للدستور ، فتجمعوا حول بناية المجلس لحمايته والدفاع عنه ، واخذت اعدادهم تتزايد بحيث بلغت اكثر من الفين وسبعمائة مسلح ، واقسموا بالقرآن الكريم على ان يبذلوا ارواحهم من اجل الدفاع عن المجلس كما اعلنوا عدم اعترافهم بالشاه[2]. وفي الوقت نفسه اعلنت جمعية كرمان بيانا رسميا لها بخصوص الاحداث المتسارعة في طهران اكدت من خلاله عدم اعترافها بسلطة الشاه ايضاً اذ جاء فيه " ان الشاه ناقض للعهد وخائن ، وخارج عن الدين الاسلامي ، وعدو للعرض والناموس ولذلك نحن لا نعترف بسلطته " ، كما نشرت جمعية اصفهان بياناً آخر ناشدت فيه البازار والمواطنين الاخرين بالوقوف مع المجلس الدستوري عندما اكدت فيه" بانه على عموم التجار والاعيان واهالي الممالك الاخرى ، حفظ نفوس واموال واعراض المسلمين وتقوية الدين ، وان مخالفة المجلس المقدس بمثابة مخالفة امام العصر والزمان عليه السلام "[3] وكان البيان بتوقيع حاج اغا نجفي وحاج اغا ثقة الاسلام ومعهم ستة عشر من علماء الدين الاخرين.

كما شنت الصحف الايرانية ومنها "حبل المتين " ، و" مساواة "و "روح القدس "، و" صور إسرافيل" ، حملة واسعة ضد الشاه وعلماء الدين المنحازين الى جانبه امثال فضل الله النوري ، فقد كتبت صحيفة حبل المتين مقالاً غطى صفحتها الثالثة تناولت فيه الاوضاع الايرانية الداخلية والدسائس التي تحاك ضد هذا الشعب المسكين وقادته من رجال الدين المخلصين، كما هاجمت الصحيفة في مقالها هذا الشيخ فضل الله النوري ودعت قادة الثورة الى نفيه خارج البلاد ، واختتمت مقالها بان "الشيخ فضل الله النوري خائن وعميل وكافر وفاسد العقيدة ، لذا لا يجب على المسلمين اتباعه"[4]. كما كتبت صحيفتي " مساواة "و"روح القدس " بان الشاه اول هؤلاء المقصرين بحق الوطن والشعب[5].

---

(1) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص١٣٥

(2) لقمان دهقان نيري ، انجمن ملي اصفهان ، ص١٠١

(3) المصدر نفسه ص ١٠٢

(4) "حبل المتين " (صحيفة) ، طهران، العدد ١٩٥ ، ٣١ كانون الاول ١٩٠٧ ، ص٣

(5) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص١٨١ .

وفي السياق نفسه حاول بعض اعضاء المجلس الايراني التفاهم مع الشاه للحيلولة دون تفاقم الاوضاع وسفك المزيد من الدماء غير ان الشاه اشترط مقابل ذلك حل الجمعيات[١] التي تالفت خلال تلك الاحداث ، وتفريق المتطوعين للدفاع عن المجلس ، وتعطيل المجلس بشكل مؤقت[٢].

اثارت عروض الشاه غضب علماء الدين واغلب نواب المجلس الايراني ، لانهم وجدوا فيها ذريعة للالتفاف على المجلس والقضاء عليه نهائياً .الامر الذي جعل محمد علي شاه يأمر باعتقال ناصر الملك،رئيس الوزراء ، وعلاء الدولة ،شقيق محتشم السلطة ورئيس المجلس ، ومعين الدولة ، احد امراء القاجار ، ونفي الاخير الى كربلاء ، مما زاد الوضع اضطراباً ، فتجمع حشد من المتظاهرين في مسجد سبهسالار الواقع الى جانب بناية المجلس ، وكان ضمن المتظاهرين ملك المتكلمين وعدد من وكلاء رجال الدين المجتهدين ، واخذ الكثير من المتظاهرين يشهرون بالشاه وباعماله القبيحة ويطالبون بعزل سعد الدولة واميربها درجنك ، قائد حرس الشاه الخاص[٣]. كما قامت جمعية تبريز بأرسال انذار الى الجنود الاذربيجانيين في طهران ، هددت فيه بهدم بيوتهم وقتل عائلاتهم ان هم اطاعوا الشاه او قاموا بأي عمل ضد المجلس الايراني ، وقد كان لهذا الانذار اثره في احجام الجنود عن طاعة الشاه[٤]. ولذلك ضعف مركز الشاه وشعر بأن محاولته الإطاحة بالمجلس واستعادة حكمه المطلق قد باءت بالفشل ، واصبح على استعداد للمساومة مع الوطنيين . وهكذا اضطر الشاه إلى ان يصدر امراً بتفريق المسلحين في ساحة طوبخانة واقسم ان لا يعارض الدستور ، اذ جاء في رسالة القسم ، التي ختمها وبعث بها الى المجلس "في هذه الايام التي وقعت فيها الثورة في طهران وكافة الولايات ، وظن بعض الناس انني اعارض

---

(١) تالفت خلال تلك الاحداث العديد من الجمعيات منها جمعية التفتيش والجمعية النظامية وجمعية الانتشارات وغيرها من الجمعيات الاخرى التي شكلها جهانكير خان شيرازي ، مدير جريدة " صور اسرافيل " ومحمد رضا مساوات ، مدير جريدة "مساوات" وعدد من المفكرين المؤيدين للدستور . وكان هدف هذه الجمعيات مقاومة الشاه واعوانه وتقديم المساعدات المالية للوطنيين الايرانيين ورفدهم بالمقاتلين ، للمزيد من المعلومات ،انظر ، E.G.Brown, The Persian Revolution , P ,16 3

(٢) مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد سوم ، ص٥٦٨

(٣) محمد حسن اديب هروي ، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران ، ص١٢٩

(٤) احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، ص٥١٨

واخالف الدستور ، وبهدف ازالة تلك الشكوك ، اقسم بالقرآن الكريم ان ارعى واحمي الثورة الدستورية ، وسيعاقب كل شخص يعارض الدستور[١] .

وقد وجد النواب ، بعد فشل محاولة الشاه في القضاء على المجلس ، ان المحاولات قد تتكرر مرة اخرى ولذلك حاولوا القضاء على اسباب الفتنة والخلاف ، فقدموا للشاه ستة مطالب اصروا على تنفيذها لكي يكون الصلح صادقاً وحقيقياً ، وهي كالاتي :-

عزل سعد الدولة ونفيه من طهران ، عزل اميربها در جنك من قيادة الحرس الملكي ، دمج فرقة القوزاق بوزارة الحربية ، ان يقسم الشاه اليمين القانونية امام المجلس بالعمل على وفق الدستور ، معاقبة الذين قادوا المسلحين في ميدان طوبخانة ، تشكيل حرس خاص بالمجلس مؤلف من مئتي شخص[٢] . وهنا لم يبتعد الضغط الروسي كثيراً في التأثير على الشاه بخصوص تلك المطالب ، لا سيما وان المطلب السادس كان الاكثر ازعاجاً للروس بشكل خاص ، الامر الذي دفع المفوضية الروسية بطهران لأن تقترح تقليص عدد حرس المجلس الى النصف ، بحجة كثرة المحلات التجارية المنتشرة حول المجلس ، مما يتعارض مع ما يرد اليها من زبائن لأغراض البيع والشراء ، ولكن دون فائدة[٣]. وكان للموقف الذي تميز بالاصرار من قبل النواب ، وعلى رأسهم رجال الدين ، الاثر الكبير في عملية استتباب الامن وانبعاث الطمأنينة في النفوس.

وعلى أي حال فأن عام ١٩٠٧ قد مر بسلام ، بالنسبة للمجلس ، على الرغم من تشابك احداثه وتسمم العلاقة بين الطرفين (المجلس والشاه) ، لكنه في الوقت نفسه كان بداية لأحداث جسام في تاريخ المؤسسة الدينية والحياة الدستورية في ايران وحكم محمد علي شاه .

---

(١) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران ، ص١٥٧

(٢) محمد حسن اديب هروي ، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران ، ص١٣٠ – ١٣١؛ خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦-١٩١٩ ، ص ٢٠٨

(٣) رحيم رضا زاده تكت ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٥٨

المبحث الثاني:

دور المؤسسة الدينية في خلع محمد علي شاه ١٩٠٩ من السلطة

على الرغم من ان محمد علي شاه قد ابدى اسفه للاحداث السابقة ، واقسم اليمين على حفظ المشروطة وحمايتها ، الا انه ظل ينظر الى المجلس ونوابه بروح من التعالي ، اذ لم يستوعب ان هناك مجلساً يمتلك قاعدة عريضة في المجتمع الايراني ، وله صلاحية اصدار القوانين ، وفي الوقت نفسه يحد من سلطة الشاه المطلقة ، وكذلك فأن الصلح الذي تم في كانون الاول ١٩٠٧ بين الشاه واعضاء المجلس الوطني ، لم يحدث أي تغيير في سلوكه وتعاليه تجاه المجلس ، وكان يحاول دائماً ان يبين بأنه فوق المجلس وقراراته ودستوره ، فكان يستهل الكثير من رسائله بهذه الكلمات "من السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان[١] محمد علي شاه[٢] . وكان ذلك بطبيعة الحال يمثل استفزازاً لرجال الدين وبالتالي توتر الاوضاع الداخلية . فقد واصلت الجمعيات المنتشرة في مختلف المدن الايرانية او التي كان يقودها كبار علماء الدين او من كانوا اعضاء فيها ، مراسلة مجلس الشورى الوطني مبينة استعدادها بذل كل ما بوسعها لحماية المجلس ومقارعة المستبدين ، ففي ١٨ كانون الثاني ١٩٠٨ ابدت كل من جمعية همدان وجمعية خراسان استعدادهما لحماية الاسلام واكدتا في رسالة ثانية بعث بها الى علماء الدين في المجلس ، انهما رهن الاشارة بمجرد وصول اية برقية اليهما من المجلس لتعيين واجبهما[٣] . وبعد ان تم تشكيل الحكومة الجديدة في ٢٢ كانون الثاني ١٩٠٨ برئاسة نظام السلطنة[٤]، توجه اعضاء المجلس الوطني وعلى رأسهم المجتهدين عبد الله البهبهاني ومحمد الطباطبائي الى الشاه في محاولة منهم لأعادة الامور الى نصابها ، وتهدئة الاوضاع

---

(١) كان يقصد بذلك الملوك القاجاريين الخمسة الذين سبقوه في العرش ابتداءاً من والده مظفر الدين شاه وانتهاءاً باول القادة القاجار اغا محمد شاه.

(٢) اسماعيل امير خيزي ، قيام اذريجان وستارخان ، انتشارات تهران ، تهران ، ١٩٦٠ ، ص٧٠

(٣) لقمان دهقان نيرى ، انجمن ملي اصفهان ، ص١٠١

(٤) اختير نظام السلطنة رئيساً للوزراء بعد ان سافر ناصر الملك الى اوربا اثر اعتقاله من قبل الشاه واطلاق سراحه بواساطة المفوضية البريطانية انظر ، محمد حسن اديب هروي ، تاريخ بدايت مشروطيت ايران ، ص١٣٠

المتوترة ، من خلال التفاهم مع الشاه لتنفيذ شروط المصالحة التي من شأنها تقوية المجلس وحمايته من أي هجوم اخر يحتمل القيام به ، على ان اعضاء المجلس من جانبهم ، لا سيما رجال الدين ، اعتبروا هذه المصالحة مع الشاه مجرد هدنة ليتسنى لهم بعد ذلك خلع الشاه والاطاحة بنظامه الاستبدادي[(١)] . غير ان الامور لم تجر كما ارادها اعضاء المجلس الوطني ، فقد اخذت الاوضاع تزداد توتراً بين انصار الدستور واعوان الشاه ، فقد حدثت معارك طاحنة في مدينة تبريز بين الثوار واعوان الشاه ، استمرت لمدة يومين راح ضحيتها ٢٠ شخص بين قتيل وجريح ، ثم عادت المعارك من جديد حتى نهاية كانون الثاني[(٢)]. وفي السياق ذاته ، حاول علماء الدين البارزين ومنهم عبد الله البهبهاني ومحمد الطباطبائي ، وجمال الدين افجة أي[(٣)]، ايقاف نزيف الدم ، فبعثوا برقية الى محمد علي شاه اوضحوا فيها ،بأن الاعمال التي يقوم بها بعض ممن يدعي حفظ الدين المبين ، وكانوا يقصدون بذلك الشاه نفسه ، وتقوية الدولة وتقدم الشعب والعمل على رفاهية الرعية وصيانة النفوس واعراض المسلمين مخالفة تماماً لما يجري بحق الناس من النهب والتقتيل ، فكان رد الشاه ينم عن حالة التملك والاستعلاء والاستبداد ، فقد ذكر في معرض رده ، ان الشعب الايراني وديعة وان حفظ وحماية وراحة واماني قاطبة الشعب مكفلة بعهدتي ، ولا توجد لدي نية سيئة سوى رفاه عموم الاهالي وراحتهم ، وارى من الواجب تنبيه هيئة دار الشورى ان لا يتجاوزوا بعض الحدود ، لأن السلطة في ايران هي ارث محقق وحق مسلم به ، وهذه مشيئة ربانية وكما نصت الآية الكريمة (قل اللهم مالك الملك تؤت الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير)[(٤)] ومن ذلك يفهم ان محمد علي شاه كان مصراً على تجاهل المجلس ونوابه بل ان رده كان يحمل اكثر من مغزاً ، الامر الذي لم يتجاهله اعضاء المجلس الايراني والجمعيات المناصرة لهم ، لذلك اخذت بعض هذه الجمعيات تتخذ مواقف مضادة للشاه واعوانه ، ومن بين هذه

---

(١) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص١٨١
(٢) لقمان دهقان نيرى ، آنجمن ملي اصفهان ، ص١٠٤
(٣) من علماء الدين الكبار في طهران واحد اعضاء مجلس الشورى الوطني ، لمزيد من المعلومات ، انظر ، محمد حسن اديب هروي ، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران ، ص١١٦
(٤) احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، ص ٥٩٠-٥٩١

الجمعيات ، جمعية اصفهان التي اعلنت بأن هكذا سلطان لا يجب ان يكون شاهاً ، وصرحت بانها تقف وبكل ثبات مع مجلس الشورى الوطني ، بل تعتبر ذلك واجباً مقدساً[1] .

وفي ١٥ شباط ١٩٠٨ صرح علماء الدين الكبار في مشهد اثناء خطبهم في المساجد ، ان المشروطة التي ضحينا من اجلها ستواجه عواقب وخيمة ، لذلك علينا ان نقف صفاً واحداً لحمايتها[٢]. كما اخذ بعض الوعاظ يجتمعون بالناس في مسجد سبهسالار كل يوم ، وكان ملك المتكلمين والسيد جمال الدين الواعظ يلقيان الخطابات التي تنتقد الشاه وبلاطه[٣]. وفي الوقت نفسه تشد من ازر الاحرار وتوثق عرى الوحدة بينهم ازاء المؤامرات التي كان يحيكها الشاه ورجال بلاطه لتفريقهم وزرع الفتنة والشقاق بينهم ، ولم تنفع تلك التحذيرات التي كانت ترد الى الشاه من مختلف الجهات بل على العكس من ذلك ، راح يصعد من مضايقاته لأنصار الدستور[٤]. وفي خضم تلك الاحداث اراد محمد علي شاه ان يصطاد في الماء العكر لجلب الاقليات لا سيما اليهودية والزرداشتية الى جانبه فقد حرض بعضاً من اذنابه قتل احد التجار الزرادشتيين الذي كان يمول الوطنيين بالمال ، فعمت طهران ضجة كبرى ، طالب خلالها المحتجون باعدام القتلة ، واختلفت الاراء حول قضية حكم المتهمين لأختلاف المذهب الى الحد الذي تدخلت فيه المفوضية البريطانية ولكن دون جدوى ، الا انه في نهاية الامر قرر المجتهد عبد الله البهبهاني حل المشكلة باللجوء الى الشرع الاسلامي حيث قام بجلد ٩ منهم بألف جلدة وحكم على الاثنين الاخرين بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً[٥]. وبذلك باءت محاولة الشاه ، التي اراد فيها ايضاً اشاعة البلبلة والفوضى في البلاد وابعاد انظار المجلس عن تحركاته الرامية للاطاحة بالمجلس والقضاء على الثورة الدستورية بالفشل[٦] . وبعد كشف مؤامرة الشاه ، اعلن حيدر خان عمو اوغلي ، احد قادة الجمعية الوطنية الانقلابية في تبريز ، صراحة بوجوب قتل محمد علي شاه وقطع دابر الفتنة[٧] . وهكذا جاء الوقت الذي رأى فيه الاحرار فرصة مناسبة لقلع جذور الشر وانهاء تسلط الجبابرة ، ففي يوم ٢٨ شباط ١٩٠٨ وبينما كان موكب الشاه متجهاً الى احد

---

(١) لقمان دهقان نيرى ، انجمن ملي اصفهان ، ص١٠٣
(٢) رحيم رضا زادة تكت ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٩٦
(٣) العقيقي البخشايشي ، المصدر السابق ، ص١٧٠
(٤) حسن شبر ، المصدر السابق ، ص٨٩
(٥) مزيد من التفاصيل ، انظر ، يحيى دولت ابادي ، حيات يحيى ، جلد دوم ، ص١٨٠-١٨٨
(٦) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص ٣١٢
(٧) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص ١٨٤

قصوره ، القيت قنبلة على العربة التي كان يقلها الشاه ، الا انه نجا منها بأعجوبة ، ونتج عن الحادث مقتل اثنين من مرافقيه وجرح عدد اخر[1]. وبذلك تحطم الحلم الذي ارداه الوطنيون والاحرار الايرانيين ان يعانق الحقيقة ، وتحول الى كابوس يطاردهم في كل مكان ، وكانت تلك الحادثة من الامور التي اسرعت من خطوات الشاه نحو تحطيم مجلس الشورى الايراني ، اضافة الى نصائح مستشاريه بعدم التأخر في ضرب الحركة الوطنية واعطائها الفرصة لتوطيد نفسها[2].

فبعد عملية حادث الاغتيال مباشرة قام امير بهادرجنك ، قائد حرس الشاه ، بحملة مداهمات بشكل غير رسمي في المناطق المجاورة لمكان الحادث ، محدثاً فوضى واضطرابات في تلك المناطق والتي لم تخل من قتل عدد من الناس الابرياء[3]. ولكسب عواطف الشعب ، واظهاره بالشاه المظلوم ، قام الاخير بأرسال البرقيات الى المدن الايرانية ، اعلن فيها خبر محاولة الاغتيال ، ونجاته منها ، وتحت الضغط والقمع الحكوميين عبر بعض الاهالي عن فرحتهم الشكلية لنجاته وابدوا تأسفهم للحادث[4] . كما اعلن مجلس الشورى الايراني استنكاره للحادث ، وقام وفدٌ نيابي بتهنئة الشاه لنجاته من الحادث الى الحد الذي اعلن فيه اهالي طهران ، المحاطين بقوات الشرطة ، وكذلك المدن الايرانية الاخرى فرحتهم بذلك وتعاطفهم مع الشاه[5]. وقد كتب سيرمارلينك الوزير المفوض البريطاني في طهران ، برقية الى الخارجية البريطانية في ٢٦ اذار ١٩٠٨ ، اعلمهم بها خبر الحادث ، كما ذكر في برقية اخرى له ان التحقيقات جارية لمعرفة القائمين بالحادث مشيراً الى ان اصابع الاتهام قد وجهت الى جمعية اذربيجان ، بدليل التهديدات التي كان يرسلها اهالي تبريز الى الشاه فضلا عن ان مقتل اتابك اعظم في آب ١٩٠٧ قد جرى على يد احد الوطنيين الاذربيجانيين[6]. ونتيجة لذلك لم يكن امام التبريزيين الا ان شكلوا حرساً اهلياً ، كان الفرد منهم يحمل بندقية وخمسين اطلاقة استعداداً لأي طارئ ، وقد صرفت

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٨٣

(٢) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص٣١١

(٣) رحيم رضا زاده تكت ، انقلاب مشروطيت ايران ،ص ٩٧

(٤) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران ، ص١٦١

(٥) جانيت افاري ، ص ١٤٨

(٦) رحيم رضا زاده تكت ، انقلاب مشروطة ايران ، ص ٩٧ – ٩٨

المدينة لهذا الغرض ٣٣٠٠ تومان[١]. وقد اخذت الاوضاع تزداد سوءاً الى جانب الحاح الشاه على اعضاء المجلس الايراني الاسراع في الوصول الى مرتكبي الحادث ، والا فأنه سيتخذ الاجراءات التي يراها مناسبة ، ونتيجة لذلك اخذت العلاقة بين الشاه والمجلس الايراني تسير نحو التدهور اكثر فأكثر ، الى ان وصلت في نهاية الامر الى قطيعة لم يعد ينفع معها صلح او تفاهم[٢] لا سيما وان الشاه لم يستبعد اعضاء المجلس الايراني في تدبير محاولة الاغتيال التي استهدفت حياته[٣] وفي الوقت الذي كان فيه الشاه يظهر تضامنه امام الجميع شعباً وحكومات اجنبية مع المجلس ، ليبين لهؤلاء بأن المجلس غير مؤهل لتحمل المسؤولية في البلاد ، الا انه كان في السر يجهز القوات ويرسم الخطط للأيقاع بالمجلس والقضاء على الدستور[٤] .

ادت المداهمات والاعتقالات العشوائية التي قام بها اعوان الشاه بهدف الوصول الى مرتكبي الحادث الى ازدياد مظاهر السخط والغضب لدى عامة الشعب ولأجل استقرار الاوضاع والقضاء على الفوضى وحالة التوتر التي عكرت صفو الاجواء بين الشاه والمجلس الايراني ، طلب رجال الدين في المجلس الايراني التفاهم مع الشاه لقطع دابر الفتنة والقضاء على مسببي الازمات المتلاحقة التي كانت تحدث بين الشاه والمجلس ، فاقترحوا عليه طرد ستة اشخاص من رجال القصر والمقربين اليه وهم امير بهادرجنك وسيرغي شابشال ، مستشار الشاه ومعلمه ، وموقر السلطنة (وزير البلاط) وامين الملك ومفاخر الملك ومجلل السلطنة (جميعهم من رجال القصر) [٥]. غير ان الشاه لم يكن يرغب في انهاء الازمة فقد رد عليهم بأبعاد ثمانية اشخاص من ناطقي ووكلاء المجلس الايراني الكبار من بينهم ملك المتكلمين وسيد جمال الدين الواعظ ، وميرزا جهانكير خان ، مدير جريدة " صور اسرافيل " ، ومحمد رضا مساواة مدير جريدة "مساواة" وغيرهم[٦] . في حين لجأ امير بهادر جنك الى المفوضية الروسية وبالاتفاق مع الشاه ، ليوهم الوطنيين بأنه

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٩

(٢) طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢٣٤

(٣) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيان ، جاب بنجم ، ص٢٢٨

(٤) اسماعيل رائين ، حيدر خان عمو اوغلي ، جاب سوم ، انتشارات جاويدان ، تهران ، ١٣٥٢ ، ص٩٩

(٥) E.Brown , The Persian Revolution , p, 199

(٦) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيات ، جاب بنجم ، ص٢٧٨

اصبح بعيداً عن متناول الشاه ، في الوقت الذي لم تنقطع فيه صلة الخمسة الاخرين بالشاه ، وظلوا يترددون على القصر سرا [١].

اخذ محمد علي شاه يستخدم كافة الوسائل التي من شأنها اضعاف المجلس واحباط معنويات نوابه ومؤيديه ، ومن ذلك ممارسة الضغوط على كبار علماء الدين في الولايات الايرانية وتهديدهم بالنفي خارج ايران ، كما ادت الاموال التي كان يغدقها الشاه في تغيير مواقف بعض العناصر المهمة من رجال مجلس الشورى الايراني ، دوراً مهماً في هذا الجانب ، فقد اخذ احتشام السلطنة ، رئيس المجلس يطالب بأعطائه صلاحيات واسعة لغرض فرض ارادته على اعضاء المجلس وعندما رفض اعضاء المجلس ذلك الطلب ، قدم احتشام السلطنة استقالته متهماً المجتهد عبد الله البهبهاني ، بأنه خائن ورجعي ومفسد وانه اجبره على الاستقالة[٢]. الا ان تلك الادعاءات لم تهز مكانة البهبهاني بين الجماهير ،بل على العكس من ذلك ، فقد اتهم الشعب احتشام السلطنة بأنه خائن للثورة الدستورية ، وانه يميل الى الشاه لمنافع شخصية ، واما السيد عبد الله البهبهاني فأنه شخص موثوق به ، وقد اثبتت الايام السابقة نزاهته وعدم ابتعاده عن قوانين الشرع ، كما اكد مخبر السلطنة ، وزير العلوم ، ان العلماء وقوانين الشرع حالة واحدة[٣] .

اخذت تحركات الشاه تثير قلق اعضاء مجلس الشورى الايراني او تنذر بقدوم مخاطر قد تعصف بالمجلس وقوانينه الدستورية ، كما تنبهت لذلك الجمعيات المساندة للمجلس والمنتشرة في مختلف انحاء ايران ، وقد كتب السيد مارلنك ، المفوض البريطاني في طهران ، في ٣ حزيران ١٩٠٨ الى الخارجية البريطانية ، قائلاً : ان ايران اليوم هي عبارة عن فوضى واضطرابات ، وان بريطانيا وروسيا هما الدولتان الوحيدتان اللتان يمكن لهما تحمل هذا الوضع[٤]. وفي هذا الكلام نلمس من جديد رغبة المستعمرين في توسيع نفوذهم داخل ايران ، ولذلك لم يرغب اعضاء المجلس توسيع الهوة بينهم وبين محمد علي شاه لكي لا تستغل من قبل الاجانب فتكون مدعاة لتدخلهم في الشؤون الداخلية لأيران ، فحاول اعضاء المجلس الايراني ، لا سيما عبد الله البهبهاني ومحمد الطباطبائي وجمال

---

(١) E.Brown , The Persian Revolution , p, 200

(٢) لقمان دهقان نيرى ، انجمن ملي اصفهان ، ص١٠٤

(٣) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص١٨٨ ؛ مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد سوم ، ٦٢٨

(٤) جاننيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص١٨٥

الدين افجة أي ، المصالحة مع الشاه ، على الرغم من البرقيات والرسائل التي كانت تصل الى المجلس من الجمعيات والمنظمات المؤيدة له التي تطالب بوجوب خلع محمد علي شاه وانتخاب شخص اخر يحل محله[١]. وعلى اية حال ففي ٤ حزيران ١٩٠٨ ، غادر محمد علي شاه العاصمة طهران متوجهاً الى ضاحية (باغشاه)[٢]، محدثاً اثناء سير موكبه هلعاً وخوفاً شديدين في المدينة تمثل باطلاق العيارات النارية في الهواء من قبل فرسان الحرس الملكي ، والاعتداء على المارة ، الامر الذي دفع اصحاب المحال التجارية الى اغلاق محلاتهم ، وكانت الحجة التي تذرع بها الشاه ، عدم قدرته تحمل حرارة الجو في طهران[٣]. الا ان تلك الحجة لم تنطل على الوطنيين والاحرار وعلماء الدين الذين كانوا اكثر خشية من مؤامرات الشاه ونواياه السيئة .

وبعد خمسة ايام من رحلته هذه أي في يوم الثلاثاء ٩ حزيران ١٩٠٨ ، قام باعتقال ثلاثة من الامراء القاجاريين ، جلال الدولة ، احد الامراء القاجاريين ، وعلاء الدولة ، حاكم اصفهان ، وسردار منصور الذي ، يعتبر من اقرباء محمد علي شاه ، لكنه كان يساند الدستور واتهمهم بالتآمر عليه[٤]. كما امر بعزل ميرازا صالح خان ، حاكم طهران وعين بدلاً عنه احد المؤيدين له ، مصطفى خان صاحب الدولة[٥] . وفي ١٥ حزيران تم اعتقال ميرزا سليمان خان ، مدير جمعية قزوين[٦]. وهكذا بدأت خطط محمد علي شاه تدخل حيز التنفيذ .

ومن المثير للأنتباه ان عدداً غير قليل من كبار زعماء القاجاريين وقفوا الى جانب مجلس الشورى الايراني للدفاع عنه بكل قوة ،والوقوف ضد رغبات محمد علي شاه الرامية الى تحطيم المجلس وانهاء الدستور في ايران ، فقد شارك اغا محمود ميرزا واغا تيمور ميرزا وجمع كبير اخر، حماس الاحرار واستعدادهم للتضحية من اجل الدفاع عن الدستور وقد التحقوا بجمعية اصفهان وكان معهم مئتا فارس وخمسون من المشاة ، وكانوا مسلحين بكامل عدتهم ، واظهروا استعدادهم للتضحية والفداء ، واكدوا لجمعية اصفهان ان طريقهم

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٨٦

(٢) احد المنتزهات القريبة من طهران ، حيث كان سكان طهران يؤمها في العهد القاجاري ، انظر جانيت افاري ، المصدر السابق ، ص١٨٧

(٣) محمد اسماعيل رضواني انقلاب مشروطيت ايران ، ص١٦٤

(٤) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيات ، جاب بنجم ، ص٢٧٨

(٥) يحيى دولت اباري ، تاريخ معاصر يا حيات يحيى ، جلد دوم ، ص٢١٦

(٦) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيات ، جاب بنجم ، ص ٢٧٩

واحد هو حماية المجلس والدفاع عنه[١] . وقد ادى ذلك الى ازدياد غضب الشاه من علماء الدين لتأثيرهم الواضح حتى على اقرب الناس له . فطلب من الكولونيل لياخوف الروسي ، قائد القوات العسكرية الايرانية التي اندفعت لأحتلال مواقع مهمة في طهران كمكتب البرق لقطع الاتصالات الخارجية بالمدينة ، وبدأت فرق القوزاق بمصادرة الاسلحة من المواطنيين الذين انتشروا في الشوارع لحماية المجلس والجمعيات والمنظمات الاخرى في العاصمة ، مما جعل اعداداً منهم يتوجهون الى بناية المجلس والاحاطة به ، وقد بلغت اعدادهم نحو الف مسلح[٢].

وفي ١٩ جمادي الاولى ، حزيران ١٩٠٨ ارسل مجلس الشورى الوطني برقية الى كل الجمعيات في الولايات والاقاليم والجمعيات الشعبية في طهران ثمن فيها الاعمال الجليلة التي قام بها الشعب الايراني وثباته في مقارعة الاستبداد ، كما اكد فيها بذل المزيد من الجهود لأنقاذ ثورة الشعب الايراني ، واختتم المجلس برقيته "بأن الوطن والدستور وشعبنا في خطر ، وان اتحادكم لازم وواجب ، واذا لم تصل اليكم اية برقية اخرى من طرفنا اعلموا اننا في خطر عظيم " ، وحملت البرقية توقيع رجل الدين البارز عبد الله البهبهاني ، عن اعضاء مجلس الشورى الايراني[٣]. وفي اليوم التالي وصلت الى طهران برقيات متعددة من علماء الدين في رشت ، وتبريز ومشهد ، وبارفروش ، وسبزوار وغيرها من المدن الايرانية الاخرى ، اكدوا فيها استعداد اهالي تلك المدن على بذل المزيد من التضحية لحماية مكتسبات الشعب الايراني المظلوم[٤].

ويلاحظ خلال تلك الفترة ان الانظار اخذت تتوجه صوب ظل السلطان[٥] ، الذي كانت تربطه علاقات طيبة مع الدستوريين ، لترشيحه ملكاً على ايران وخلع محمدعلي شاه ، الا ان ذلك الامر واجه معارضة شديدة من قبل الحكومة الروسية[٦]. وبذلك وصلت الامور بين

---

(١) لقمان دهقان نيري ، انجمن ملي اصفهان ، ص١١١

(٢) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص١٨٧

(٣) لقمان دهقان نيري ، انجمن ملي اصفهان ، ص١١٣

(٤) لقمان دهقان نيري ، انجمن ملي اصفهان ، ص ١١٣

(٥) هو الابن الاكبر لناصر الدين شاه ، وكان يمني نفسه ان يكون ولي عهده غير ان ذلك لم يحدث بسبب كون امه ليست من الاميرات ، وبعد وصول مظفر الدين شاه الى كرسي الحكم ومن بعده ابنه محمد علي شاه ضاعت اماله في الوصول الى عرش ايران فاعتبر ذلك حقاً ضائعاً له . انظر ، المصدر نفسه ، ص١١١ ؛ يوسف هادي ، المصدر السابق ، ص٥

(٦) خضير مظلوم فرحان ، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦ – ١٩١٩ ، ص٢١٠

الشاه والمجلس الى وضع يصعب معه الوصول الى أي تفاهم ، فاخذ كل طرف يستعد للقضاء على خصمه في الوقت المناسب ، وحاول محمد علي شاه كسب بعض علماء الدين الى جانبه لاسيما اولئك الذين لديهم وجهة نظر مختلفة حول شرعية او عدم شرعية الدستورية ، حيث ارسل عدداً من البرقيات الى بعض مدن ايران ، اكد فيها انه مع المشروطة المشروعة ، الامر الذي اصبح واضحاً لدى جميع علماء الدين والجمعيات الوطنية ، من ان محمد علي شاه كان عازماً على ضرب المجلس وتعطيل الدستور ، فحضر نحو ١٨٠ ممثل جمعية الى طهران معلنين وقوف جمعياتهم الى جانب المجلس الوطني [١]. وفي الوقت نفسه واصلت الجمعيات الاخرى ارسال البرقيات التي اعلنت فيها شجبها التحشدات العسكرية التي ينظمها محمد علي شاه للقضاء على المجلس وخنق حرية الشعب[٢].

وعلى الرغم من ذلك بادر اعضاء المجلس في محاولة اخيرة لانهاء هذا النزاع والتفاهم مع الشاه ، فكان رده على المجلس ، انْ وضع ثلاثة شروط لتسوية النزاع هي، منحه صلاحيات واسعة كتلك التي يتمتع بها امبراطور المانيا ، من حيث عزل وتنصيب رئيس الوزراء وغير ذلك ، كذلك اعطاءه الحق بان يضع تحت امرته عشرة الاف جندي دون تدخل أي طرف في شؤونهم ، وكذلك جعل وزير الحربية مرتبطاً بالشاه مباشرةً ، واطلاق يده بالتصرف في امور الجيش .غير ان النواب رفضوا هذه الشروط وسخروا منها[٣] . واكدوا له بأن الشاه الذي يرعى مصالح شعبه لا يحتاج الى حماية[٤].

اصبحت البلاد خلال الايام الاخيرة من شهر تموز ١٩٠٨ تعيش حالة من القلق والخوف ، وقد اغلق الباعة محلاتهم لا سيما في طهران تحسباً لما ستؤول اليه من نتائج وخيمة وقد اعلن بعض زعماء العشائر تأييدهم للشاه ومنهم رحيم خان زعيم عشائر الشاه

---

(١) مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلدسوم ، ص٦٢٤.

(٢) مزيد من التفاصيل والمعلومات بشأن البرقيات والاستعدادات من تسليح وتدريب ابناء الشعب لحماية امانيهم واهدافهم ، انظر ، ايرج رودكر كيادارا،
محال ثلاث در نهضت مشروطيت ، ص١٨١ – ١٨٤

(٣) مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد جهارم ، ص٤١

(٤) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص ١٨٨

وكذلك احد زعماء قبيلة من قبائل اليختيار الحجي الخاني وزوج اميرة من القاجار الذي وصل الى طهران مع مجموعة من رجال قبيلتة[(1)] .

وفي يوم الثلاثاء ٢٣ جمادي الاولى ، ٢٣ حزيران ١٩٠٨ وهو اليوم الذي اعده الشاه واعوانه لخنق الحرية على ارض ايران ، حيث حاصر الف جندي قوزاقي مجلس الشورى الوطني ومسجد سبهسالار والشوارع المحيطة بهما[(2)].

اما في داخل المجلس ومسجد سبهسالار وحولهما وعلى سطح الابنية المجاورة كانت مجاميع من المسلحين الوطنيين للدفاع عن مجلس الشعب ولم تكن تلك القوة بحجم القوات المهاجمة عدداً وعدة ، لأن اعضاء المجلس حاولوا تفريق القوات الوافدة اليهم قبل يوم ٢٣ حزيران ليظهروا حسن نواياهم للشاه وعدم رغبتهم في اشعال حرب اهلية بينهم وبين الشاه[(3)].

وبعد ان انتشر خبر محاصرة الجنود للمجلس ، اسرع المجتهدان عبد الله البهبهاني ومحمد الطباطبائي الى مقر المجلس ليشاركوا زملائهم المصير الذي آلوا اليه ، ويبدو ان الحصار كان محكماً بوجه الخارجين من المجلس بعكس الداخلين اليه امعاناً في القضاء على اكبر عدد ممكن من النواب والزعماء الوطنيين ، وبعد ان تأكد قائد الحملة الكولونيل لياخوف من ان المجلس اصبح يضم اكبر عدد ممكن من النواب وبهدف منع وصول اية معونة اليهم ، احكم حصاره على الداخلين والخارجين ، فقد حضر اثناء ذلك المجتهد آغا سيد جمال الدين افجة أي مع جمع من المقاتلين الى المجلس الا ان القوات القوزاقية منعته من الاشتراك مع المدافعين في المجلس فاشتبك معها بقتال ضار واستطاع المجاهدون تعطيل بعض المدافع واجبار جنود القوزاق على التراجع الى الوراء[(4)] .

وعلى الرغم من المقاومة الكبيرة التي ابداها الوطنيون في مواجهة حشود القوزاق التي بدأت مدافعهم تدك مبنى المجلس بلا رحمةموقعة الخسائر الجسيمة في الارواح والممتلكات[(5)] ، الا ان نفاذ ذخيرة المجاهدين جعل من المتعذر الاستمرار في المقاومة ،

---

(١) ابراهيميان ، المصدر السابق ، ص١١٠

(٢) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران ، ص ١٦٦

(٣) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص١٨٨

(٤) محمد حسن اديب هروي ، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران ، ص١٧١

(٥) ((الهلال)) (مجلة) ، القاهرة ، الجزء السابع ، السنة السابعة عشر ، الاول من نيسان ١٩٠٩ ، ص٤٠٥

فتفرق المجاهدون بين شهيد وجريح ومن استطاع الى الهرب سبيلاً ، وتحول المجلس الوطني الذي كان محط امال الشعب الى انقاض[١] .

وبعد انتهاء العمليات القتالية التي استمرت عدة ساعات من يوم ٢٣ حزيران ، اخذت فلول القوزاق في البحث عن زعماء الحركة الدستورية بين انقاض المبنى المهدم ، فتم القاء القبض على العالمين المجتهدين عبد الله البهبهاني ومحمد الطباطبائي اللذين وجدا في حديقة قصر امين الدولة المجاور لمبنى المجلس مع عدد اخر من علماء الدين الذين ابدلوا ملابسهم لأبعاد انظار الجند عنهم ، كما تم اطلاق النار على حاج ميرزا ابراهيم ، النائب عن منطقة اذربيجان ، بعد محاولته الهرب ، حيث قتل في الحال[٢] اما عبد الله البهبهاني ومحمد الطباطبائي ، فقد اقتيدوا مع جماعة من العلماء المجاهدين الى حديقة الشاه (باغشاه) التي تحولت الى معتقل مؤقت للوطنيين والاحرار ، وفي اليوم التالي ٢٤ جمادي الاولى ، تم القاء القبض على ملك المتكلمين ، اللسان المعبر عن الحقيقة والعدالة ، وكذلك جها نكيز خان ، مدير صحيفة (صور اسرافيل) وميرزا داود خان الملقب بالقاضي وآغا سيد حسن مدير صحيفة ((الحبل المتين)) ونقلوا الى معتقل باغشاه ، ثم نفذ حكم الاعدام بملك المتكلمين وجهانكيز خان[٣] . اما جمال الدين الواعظ فقد استضافه في بيته اعتماد الدولة ، (خال الشاه المتعاطف مع الدستوريين) ليلة ٢٤ حزيران وبعد ان غير ملابسه غادر طهران متوجهاً الى قم ومنها الى همدان برفقة اسد الله خان ، احد رجال الدين ومن اقرباء زوجة الواعظ ، غير ان عناصر الشاه القت القبض عليه بعد ثمانية عشر يوماً من مكوثه في همدان ونقل الى بروجرد... وهناك تم اعدامه[٤].

اما الذين استطاعوا الفرار والنجاة بإنفسهم فهم ممتاز الدولة (رئيس الوزراء) وحكيم الملك وبعض الوطنيين الاخرين حيث استطاعوا اللجوء الى مبنى المفوضية الفرنسية ، كما تمكن معاضد السلطنة وتقي زاده وغيرهم الوصول الى مبنى المفوضية البريطانية ، كما تحصن عدد اخر بالسفارة العثمانية واعتصم اخرون في ضريح شاه عبد

---

(١) ايرج رودكركيا دارا ، محال ثلاث در نهضت مشروطيت ، ص ١٨٢
(٢) محمد حسن اديب هروي ، تاريخ بيدايش مشروطيت ايرانيان ، ص١٧٣
(٣) العقيقي البخسايشي ، المصدر السابق ، ص ١٧٢
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٦-١٦٧

العظيم[١] . كما استطاع يحيى دولت اباري الوصول الى استانبول ، وهرب سيد محمد رضا ، مدير صحيفة مساواة ، الى باكو[٢].

ونتيجة للمجازر التي ارتكبها محمد علي شاه واعوانه بحق علماء الدين والوطنيين ، فقد احتج بعض ممثلي الدول الاجنبية في طهران على تصرفات الحكومة الايرانية غير الانسانية ، مما اضطر الشاه الى اصدار امر بتشكيل محكمة عسكرية برئاسة الامير محمد حسن ميرزا مؤيد السلطنة لمحاكمة الوطنيين[٣]. اما اولئك الذين احتموا بالمفوضيات الاجنبية ، فقد اخذت عيون الشاه تلاحقهم وتضيق الخناق عليهم بهدف اخراجهم من طهران وترك المفوضيات الاجنبية او السفر الى اوربا ، وقد اعلنت الحكومة تبرعها بدفع نفقات السفر لمن لم يكن لديه القدرة على دفعها ، وذلك للتخلص منهم بسرعة[٤]. اما اولئك الذين اتخذوا مرقد شاه عبد العظيم ملجأ لهم ، فقد حاصرهم جنود الشاه ، واستطاع مفاخر الملك اشتياني ، حاكم طهران ، ارسال من استطاع اغتيال بعض زعمائهم امثال ، ميرزا مصطفى اشتياني ، ابن المجتهد محمد الاشتياني ، احد مناضلي ثورة التنباك ، وكان مصطفى الاشتياني يخطب كل ليلة في المعتصمين معرياً الشاه ومبيناً خيانته للأمة الايرانية[٥].

ونظراً للمكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها العالمين عبد الله البهبهاني ومحمد الطباطبائي بين الاوساط الايرانية ، وخشية ان يؤدي اعدامهما امام الملأ الى نتائج تسبب المتاعب للشاه ، فقد اكتفى بنفي الاول الى كرمنشاه حيث غادرها الى النجف ومن ثم الى كربلاء ، ونفي الثاني الى خراسان[٦]. ولم يكتف الشاه بمعاقبة الاحياء من الوطنيين ، بل امر اعوانه بنبش قبري عباس اغا (قاتل اتايك اعظم) وسيد عبد الحميد قائد المظاهرات الطلابية السابقة ونثر عظامهما في الهواء[٧].

وفي ٢٥ حزيران ١٩٠٨ ، اصدر الشاه بياناً اعلن فيه حرصه على حفظ البلاد وابعاد المفسدين والجمعيات واللادينيين الذين جلبوا الفوضى للبلاد ، كما اكد ان ايران لا زالت دولة دستورية ، وانه قام فقط بحل المجلس ، وسيجري انتخابات جديدة خلال المهلة

---

(١) مهدي مكلزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد بنجم ، ص٦٣
(٢) محممد اسماعيل رضواني ، مشروطيت ايران ، ص١٧٢
(٣) مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد جهارم ، ص١٣٧
(٤) احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، ص ٦٦٨
(٥) مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد بنجم ، ص٦٣
(٦) ابراهيم صفائي ، رهبران مشروطيت ، ص٢٠٧
(٧) احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جلد دوم ، جاب سوم ، ص ٦٦٩

الدستورية البالغة ثلاثة اشهر ، كما اكد ان ضربه للمجلس كان الغرض منه رفع راية الاسلام المقدسة ، وقد كان لبيانه وقعه الخاص على بسطاء الناس بتأثير اتباعه والرجعيين[1]. كما اصدر امراً عين بموجبه الكولونيل لياخوف حاكماً عسكرياً عاماً لمدينة طهران الذي اصدر بدوره بياناً للشعب منع بموجبه عقد الاجتماعات او حمل السلاح او التجوال ليلاً ، وطلب من سكان المدينة التقيد بهذه التعليمات[2]. وقد كانت اجراءات الشاه تلك مدعاة لأثارة رجال الدين والاحرار والادباء والشعراء الايرانيين ، فقد هاجم الشاعر اديب الممالك افراهاني الشاه بقصيدة جاء فيها ((لقد لون اسمك تاريخ الملوك ، ولم يعد الا رمزاً للعار والخسة وعدم الشرف)) [3] .

ان العملية الانقلابية التي قام بها محمد علي شاه والمذابح المروعة التي طالت زعماء الحركة الوطنية جراء ذلك ، لم تكن تعني ايقاف المد الثوري وقتل روح المقاومة لدى ابناء الشعوب الايرانية ، بل على العكس من ذلك ، فقد جاء رد الفعل الشعبي على ذلك سريعاً وحاسماً ، واشتعلت الثورات في كل مكان لا سيما تبريز[4]. التي حاصرتها قوات الشاه طيلة عشرة اشهر ابتداءً من ضربه مجلس الشورى الوطني في طهران يوم ٢٣ حزيران ١٩٠٨ وتشتيته نوابه حتى اواسط تموز ١٩٠٩ ، حيث فرضت خلالها قوات محمد علي شاه حصاراً اقتصادياً قاسياً على المدينة ، اضطر ابناؤها بعد ان نضب كل مخزونهم الى اكل اوراق الاشجار[5].

لقد حاول محمد علي شاه خلال تلك الفترة والتي عرفت في تاريخ المشروطه الايرانية (بالاستبداد والصفير) [6] ، ان يقتلع جذور المقاومة ويقضي على الروح الوطنية ، التي غرس بذرتها رجال الدين الاعلامفي كل مدينة وقرية ايرانية ، الا ان محاولاته باءت بالفشل ، وظلت انتفاضة تبريز تمثل صفحة مشرقة من صفحات الثورة الدستورية خلال

---

(١) نور الله دانشور علوي ، تاريخ مشروطه ايران جنبش وطن برستان ، اصفهان وبختياري ، تهران ، ١٣٣٥ ، ص٣٣

(٢) محمد حسن اديب هروي ، تاريخ بيدايش مشرروطيت ايران ، ص١٨٢ – ١٨٣

(٣) بديع محمد جمعة ، المصدر السابق ، ص٨٧

(٤) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص ٢٧٨

(٥) فوزي خلف شويل ، المصدر السابق ، ص٢٧٨

(٦) هي الفترة التي بدأت في ٢٣ حزيران ١٩٠٨ بعد قيام محمد علي شاه بضرب المجلس الوطني بالمدفعية ، ومن ثم حله بعد تشتيت نوابه ، حتى اواسط تموز ١٩٠٩، حيث تم عزل محمد علي شاه ونفيه خارج ايران ، كما سنرى لاحقاً .

مرحلتها الثانية والتي عرفت ايضاً بعد انتصارها بالمشروطة الثانية (مشروطه دوم) فقد ادت جمعية تبريز والجمعيات الاخرى في مدن رشت واصفهان وكيلان وغيرها دوراً بارزاً في مقاومتها لقوات محمد علي شاه ، ودحرت العديد من محاولاته لأحتلال مدينتهم[١]. وكان لظهور ستار خان[٢]، الاثر الاكبر في شد عزائم التبريزيين وتعزيز موقفهم ، كما ان مركزهم قد ازداد قوة بعد قيام مخبر السلطنة هدايت ، حاكم اذبيجان بتسليمهم عشرين الف بندقية وعدة مدافع وكمية من الذخائر[٣]، التي كانت موجودة لديه في مستودعات الحكومة ، ثم غادر تبريز متوجهاً الى اوربا ،حيث تولى اذربيجان الحاكم الجديد (عين الدولة) ، الذي ارسله محمد علي شاه مع قوات عسكرية كبيرة بقيادة محمد ولي خان نصر السلطنة[٤] ، الذي عسكر خارج مدينة تبريز ، ومن هناك اخذ يشن سلسلة من الحملات العسكرية على المدينة[٥]. غير ان المقاومين في تبريز ومن خلال استحكاماتهم ومواضعهم الدفاعية الجيدة ، نجحوا في الدفاع عن المدينة ، كما ان جمعية تبريز وسائر القوى الديمقراطية في المدينة قاموا بتأمين المواد الغذائية والاحتياجات الطبية والادوية للمقاتلين ولأهالي المدينة[٦].

لقد ابدى ستار خان ، يعاونه في ذلك زميله باقر خان ، براعة في ميادين القيادة والتنظيم قل نظيرها ، فقد عمد الى تنظيم القوات الوطنية ، فوحد زيها ونظمها في وحدات متحركة بين عشر الى عشرين فرداً ، وكان على كل وحده ضابط مسؤول ، وجعل للمقاتلين الدائميين في الجيش ٤ قرانات في اليوم ، اما الاحتياط الذين كانوا عادة يضعونهم في مناطق المدينة والتي تكون اقل خطراً ، فكانوا يتقاضون ٢ قران في اليوم[٧]. وكان الهدف من ذلك جلب اكبر عدد ممكن من المقاتلين الى قواته لحماية المدينة بحيث اصبح جيشه

---

(١) ريتشارد كوتام ، القومية في ايران ن ترجمة محمود فاضل الخفاجي ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص٢٦

(٢) من اسرة فلاحية بسيطة في مدينة تبريز ، ويذكر انه عمل سايس لأصطبل محمد علي عندما كان ولياً للعهد في تبريز ، الا انه كان شرساً قوي الشخصية ، فرض نفسه على اعضاء جمعية تبريز وقد اظهر براعة مدهشة خلال قيادته للوطنيين في معارك تبريز ، انظر ، ابراهيم صفائي ، رهبران مشروطيت ايران ، ص١٧٩

(٣) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران ، ص ١٧٩

(٤) من احد العوائل الثرية في مدينة كيلان ، التحق بالجيش الايراني كضابط عسكري ، واصبح من كبار قادته حتى نال لقب سبهدار (قائد الجيش) انظر ، ايرج رودكر كيادارا ، محال ثلاث در نهضت مشروطيت ، ص ١٨٧

(٥) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص ٢٧٩

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٨٢

خلال فترة وجيزة مكون من اربعة الاف مقاتل من الاذربيجانيين وثوار القفقاس[١]. كما اصدر ستار خان تعليمات الى جنده بعدم التعرض للاهالي واخافتهم ، وعدم قبول الهدايا من أي شخص كان ، وكذلك الترشيد في العتاد ، كما سيطر ستار خان على المجمعات الغذائية للملاك وقام ببيعها باسعار رخيصة للناس بهدف رفع العوز الغذائي[٢]. وفي الوقت الذي كتم فيه محمد علي شاه انفاس زعماء المشروطه في طهران ، اتخذ زعماء جمعية تبريز من رجال دين واحرار خطوة ، دلت على تمسكهم بحركة الشعب والقوانين التي انبثقت منها ، ذلك عندما عينت جلال الملك ، الذي كان نائباً للحاكم السابق (مخبر السلطنة) ، حاكماً على اذربيجان بالوكالة ، وقد ابلغت كافة القناصل الاجنبية في تبريز بهذا القرار ، غير ان اندفاع التبريزيين هذا ، لم يرض الحكومة الروسية ، خشية امتداد الثورة الى المناطق الروسية المجاورة لاذربيجانية الايرانية ، مما جعل القنصل الروسي في تبريز وبأمر من حكومته ، مقابلة ستار خان ومحاولة اقناعه انهاء الثورة والتخلي عن مطالبه باعادة المجلس والدستور مقابل هدية كبيرة لم يكشف عنها ، غير ان ستار خان رفض هذا العرض بشدة[٣] . كما ان محمد علي شاه قد خصص مبلغاً ضخماً مكافأة لمن يأتيه برأس ستار خان ، وقد حازت ثورة تبريز عطف واعجاب الرأي العام خارج ايران واشادت الصحف الاوربية ببسالة الثوار وبمهارة قائدها ستار خان[٤]، حتى ان بعضها لقبه بغاريبالدي ايران[٥].

وفي ١٨ آب ١٩٠٨ اصدرت جمعية تبريز صحيفة ناله ملت (صرخة الشعب) حيث اخذت تنشر اخبار الثوار وانتصاراتهم على قوات محمد علي شاه ، كما تألفت لجنة جديدة في المدينة ضمت في عضويتها اسماعيل امير خيزي ، وميرزا هاشم الواعظ ومحمد تقي الطباطبائي وعدة اشخاص اخرين تولت تنظيم الامور المالية في مدينة تبريز وتمويل الثوار بالاموال[٦].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٨٣
(٢) احمد كسروي ، تاريخ مشروطه ايران ، جلد دوم ، ص٧١٠
(٣) مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد بنجم ، ص١٨ -١٩
(٤) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران ، ص١٧٧
(٥) نقلا عن ، كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحمديث والمعاصر ، ص٢٠٥
(٦) مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد بنجم ، ص ٣٨-٣٩

كما كانت لها اهداف اخرى يأتي في مقدمتها ، كسب تأييد الرأي العام داخل ايران وخارجها وكذلك المناداة بعدم وقوف أي دولة اوربية الى جانب محمد علي شاه واقراضه الاموال لرفع قدراته في مواجهة الثوار[١].

وفي الوقت نفسه قامت جمعية (جهانكيزي) ، التي تشكلت سراً في طهران بعد هدم المجلس ، بارسال المتطوعين الى تبريز وتوثيق الروابط السرية بين ثوار تبريز وزملائهم في طهران[٢]. وعندما يأس محمد علي شاه من اختراق صفوف المجاهدين واحتلال المدينة وعزل الثوار عن الجماهير الايرانية ، فاصدر بياناً يوم ٢٥ ايلول ١٩٠٨ ، اعلن فيه استعداده لأجراء انتخابات جديدة ، وحدد يوم ١٥ كانون الثاني ١٩٠٩ موعداً لأفتتاح المجلس النيابي الذي سيمثل كل الشعب الايراني عدا تبريز ما لم يرجع سكانها للطاعة[٣].

لم يعر الثوار اهتماماً لبيان الشاه ، بل على العكس من ذلك ، فقد زاد نشاطهم ، بحيث جعل الشاه يدفع بقوات اضافية جديدة بلغ تعدادها ٣٠٠٠ جندي لمهاجمة مدينة قره داغ التابعة لأذربيجان بقيادة عين الدوله ، الا ان ستار خان استطاع صد الهجوم وابعاد شبح الهزيمة الذي كان عين الدولة يمني نفسه به[٤].

ان نجاح الثوار التبريزيين في ميادين القتال وادارة المدينة ، دفع الروس الى التفكير بجدية لأحتلال المدينة والقضاء على الثورة ، فقد خضعت الشركات الاوربية في تبريز وضواحيها لقوانين الثوار ، حيث نظمت لها سجلات ثبتت فيها كمية انتاجها لتدفع الضرائب الى حكومة الثوار على اساسها ، كما سعت هذه الشركات الى كسب رضا الثوار[٥].

وكان للمرأة التبريزية دوراً واضحاً في مشاركة اخيها الرجل في جهاده ضد الاستبداد القاجاري ، فقد تشكلت مجموعة من النساء التبريزيات اللواتي حملن السلاح بلغ عددهن ستمائة امرأة محجبة[٦].

ومن جانب اخر جددت روسيا محاولاتها للتدخل في شؤون المدينة ، بحجة حماية رعاياها ، واخذت تحشد جيوشها على حدود مدينة استر اباد ، ولم تولي أي اهتمام

---

(١) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران، ص٢٣٨

(٢) حسن علاج ، تاريخ تحولات سياسي ايران ، ص٤٣

(٣) ايرج افشار ، روزنامة اخبار مشروطيت وانقلاب ايران ، انتشارات امير كبير ، تهران ، ١٣٥١ ، ص٢٧٤

(٤) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص٢٨٧

(٥) E.Brown , The Perian Revolution ,p.224

(٦) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص١٨٩

لأنتقادات اعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي في روسيا ، الموجهة لمجلس الدوما الروسي ، والذين اعتبروا ذلك التحشد تدخلاً صريحاً في شؤون ايران الداخلية[١]. غير ان الحكومة الروسية لم تشأ تفويت الفرصة للمزيد من التوسع في شمال ايران ، لأن استقرار الامور وهدوئها في المنطقة سيجعلان من غير المبرر التدخل فيها . وقد اقلقت التحشدات الروسية المسؤولين البريطانيين الذين تابعوا الموضوع بأهتمام من خلال السفارة البريطانية في تطرس بورغ ، فقد حاول آرثر نيكلسون السفير البريطاني في بطرسبورغ استخدام كل نفوذه لمنع الغزو ، وقد نجح لبعض الوقت[٢]. وفي ذات الوقت اخذت المقاومة التبريزية تواجه مصاعب جمة نتيجة الحصار الذي فرضه محمد علي شاه ، حيث تسبب ذلك في تشرد العشرات من الرجال غير المسلحين والنساء والاطفال الذين كانوا يسكنون اطراف المدينة بحثاً عن قوت يسد رمقهم ويعينهم على مقاومة الموت جوعاً[٣].

كما واجه الاجانب المقيمين في المدينة المصير نفسه ، مما استدعى ذلك الى عقد اجتماع ضم كلاً من القنصل الروسي والبريطاني والفرنسي والعثماني والامريكي في تبريز ، بحثوا خلاله ازمة الطعام في المدينة ، ثم طلبوا من سفاراتهم في طهران التوسط لدى الحكومة الايرانية في طهران ، وارسال (١٧٠) خروار[٤]. من الحنطة الى الاجانب المقيمين في تبريز لنفاذ ما لديهم من مواد غذائية ، وبما ان سياسة الوطنيين كانت تهدف في عدم اعطاء أي مبرر لتدخل الاجانب ، لا سيما روسيا وبريطانيا ، في شؤون ايران ، فقد وافقوا على ذلك فوراً ، غير ان محمد علي شاه اجل ذلك بنصيحة من عين الدولة ، بدعوى خشيته من استيلاء الثوار على المواد التموينية[٥].

وفي نهاية اذار ١٩٠٩ بدأ الخطر يهدد المصالح الروسية في الشمال والبريطانية في الجنوب من وجهة نظر الدولتين ، ولذلك اعلنت الدولتان بأنهما لن تسمحا بموت الرعايا الأجانب في تبريز جوعاً وبدأت الاشاعات تصل الى اهالي تبريز ، تنذر بحدوث حملة عسكرية قريبة الوقوع جداً[٦]. ونتيجة لذلك حاول المجتهد ثقة الاسلام تبريزي ، التفاهم مع

---

(١) E.Brown , The Perian Revolution ,p.317

(٢) خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٦٩ – ١٩١٩ ، ص٢١٨

(٣) ايرج افشار، اوراق تازه ياب مشروطيت ، ص ١٥٩

(٤) الخروار = ١ طن

(٥) ايرج افشار ، اوراق تازه ياب مشروطيت ، ص١٥٨

(٦) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص ٢٩٤

حكومة الشاه لرفع الحصار والحفاظ على المدينة ، غير ان الشاه لم يعر اهمية لذلك[1]. كما حاول بعض قادة الحركة الوطنية في تبريز فتح باب الحوار مع الشاه والتفاوض معه بشأن رفع الحصار عن المدينة وابعاد شبح احتلالها من قبل الروس ، وكذلك منح المقاومين عفواً عاماً[2].

وفي يوم ٢٤ نيسان ١٩٠٩ بدأت المفاوضات بين محمد علي شاه والحركة الوطنية التي مثلها السيد تقي زاده ، الذي عاد الى تبريز في نهاية كانون الاول ١٩٠٨ قادماً من باكو ، وفي الوقت الذي كانت فيه المفاوضات جارية بين الطرفين ، ارسل علماء الدين والاحرار في جمعية تبريز برقية الى الشاه في ٢٤ نيسان ١٩٠٩ اكدوا فيها "ان الوطن الواحد معرض الان الى التجزئة" [3] . وفي ٢٧ نيسان ١٩٠٩ اثمرت المفاوضات الجارية بين ممثلي الحركة والشاه باعلان الاخير لهدنة غير محددة ، سمح من خلالها بأدخال الطعام الى المحاصرين[4]. وقد رفض قادة الحركة الوطنية بشده التحركات العسكرية الروسية التي اصبحت قاب قوسين او ادنى من المدينة ، الا ان الروس لم يصغوا الى تلك الصرخات والمظاهرات التي عمت المدينة ، وقبل ان يصل شهر نيسان يومه الاخير ، دخل الفان وستمائة) [5] جندي روسي بقيادة الجنرال سنارسكي مدينة تبريز ، وانهى بذلك الحصار المفروض على المدينة ولكن ليس لصالح الشاه او الثوار بل لصالح الروس انفسهم ، وبعد دخول العساكر الروسية الى مدينة تبريز ، اختفى ستار خان وباقر خان عن انظارهم[6]، ولم يكلف الروس انفسهم بالبحث عنهما[7]. وبعد ان استتبت الامور لهم في المدينة طلب منهما

---

(1) المصدر نفسه ، ص ٢٩٥

(2) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦

(3) المصدر نفسه، ص ٢٩٦

(4) خضير مظلوم فرحان ، اذربيجان الايرانية في السياسة الروسية ١٩٠٩ - ١٩١٤ ((دراسات في التاريخ والاثار)) (مجله) ، بغداد ، جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق ، السنة الحادية والعشرون ، العدد ٩ ، السنة ٢٠٠٢ ، ص ٤٩

(5) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص ٢٩٦ . غير ان طلال مجذوب يذكر ان عددهم كان (٦٠٠٠) جندي ، المصدر السابق ، ص٢٥٩

(6) ذكر ان ستار خان وباقر خان قد لجئا في بادئ الامر الى القنصلية العثمانية في تبريز انظر ، احمد كسروي ، تاريخ مشروطه ايران ، جلد دوم ، ص٢٢٦

(7) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ٢٩٧

مغادرة المدينة ، فتوجها مع قسم من رجالهما الى العاصمة طهران دون ان يجردوا من اسلحتهم(١).

ان احتلال مدينة تبريز من قبل القوات الروسية ، لم يكن يعني انتهاء المقاومة في ايران والقبول بالعيش الذليل تحت وطأت الاستبداد ونير المستعمرين ، بل على العكس من ذلك ، فقد ثار اهالي بوشهر ، تلك المدينة الصغيرة في مساحتها والكبيرة في ثرواتها لوقوعها على ساحل الخليج العربي ، وقاد المجاهدين فيها المجتهد (سيد مرتضى اهرمي)(٢)، واحد زعماء المقاومة المعروف بأحمد خان الدريابيكي ، وقد اعلن الاول سيطرته على المدينة كلها معلناً حمايته للنظام فيها ولكافة الرعايا الاجانب المقمين في المدينة(٣). وعند وصول تلك الاخبار الى الخارجية البريطانية ، اسرع ادوارد كراي بإرسال برقية الى القنصل البريطاني في بوشهر حثه فيها بالسيطرة على المدينة والحفاظ على حياة الرعايا الاجانب المقيمين فيها ، اضافة الى فرض سيطرته على بندر عباس المجاورة لمدينة بوشهر(٤).

وبذلك استطاع تجميد قوات سيد مرتضى اهرمي بشكل مؤقت . وفي مدينة لورستان احد ضواحي اقليم فارس اثار المجتهد سيد (عبد الحسين اللاري)(٥) . واستطاع السيطرة على اجزاء مهمة من فارس وكرمان ، وحاول الوصول بقواته الى اعماق بعيدة باتجاه

---

(١) كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، ص ٢٠٨

(٢) ولد في ضاحية اهرمي في بوشهر ، سافر الى النجف لغرض الدراسة فدرس المقدمات وعلم السطوح على يد كبار علماء النجف ، كما حضر حلقات الدرس للمجتهد محمد كاظم الخرساني ، حتى وصل درجة الاجتهاد ، ثم عاد الى بوشهر ، وقد اتبع فتاوى الخراساني في اجتهاداته الدينية ، ولذلك كان اشد علماء الدين كراهية لمحمد علي شاه . انظر ، عبد الكريم مشايخي ، جنبش مشروطيت در بوشهر – في كتاب نهضت مشروطيت ايران ، جاب اول ، انتشارات مؤسسه مطالعات تارخي معاصر ايران ، طهران ، ١٣٧٨ ، ص ٣١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٦

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣١٧

(٥) ولد في النجف الاشرف عام ١٢٦٤ هـ . ق ، من عائلة دينية معروفة ، وكانت قد استقرت في مدينة النجف منذ سنين ، وبعد ان قضى مرحلة العلوم الابتدائية القصيرة لدى الكتاب ، ترقى نحو تحصيل العلوم الدينية العالية ، فدرس على يد كبار علماء الدين في النجف ، وكان من الطلاب المتميزين في الحلقة الدراسية للسيد محمد حسن الشيرازي ، ولما طلب الميرزا الشيرازي ، ولما طلب الميرزا الشيرازي من اللاري ان يلبي دعوة مجاهدي (لورستان) ويهاجر معهم الى ايران ، فقد قبل الدعوة احتراماً لأستاذه الشيرازي من جهة ، ومن جهة اخرى فأنه كان يعلم أي ظلم واستبداد يحكم ايران ، وقد قال الشيرازي لرئيس مجاهدي (لار) في حينها باصطحابكم السيد عبد الحسين الى لورستان ، نقلتم النجف الى هناك واخليتم مهد الفضل والعلم من رفيع الفضل ومعدن العلم ، مزيد من تفاصيل حياته ، انظر ، العقيقي البخشايشي ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ – ١٣٨

الخليج العربي ، غير ان القوات البريطانية – الهندية المتواجدة هناك اوقفته عن المسير والتقدم[١].

وفي مدينة رشت ، تلك المدينة التي كان لها السبق بعد تبريز في الحركات الثورية لوقوعها على بحر قزوين وسهولة اتصالها مع روسيا ، فكان اهلها على وعي وطني كبير ، وقد تشكلت فيها لجنة ثورية اطلق عليها اعضائها الثوار (لجنة ستار) والتي كانت اكثر الحركات السرية تنظيماً ، ضمت في عضويتها ثلاثة عشر شخصاً ، كانوا يرددون عبارة (ميلكوف كرجي ، يبرم خان ارمني) [٢]. ذلك لانها ضمت بين صفوفها بعض رجال الدين وجماعة من القفقاسيين وكان من بين اعضائها عبد الحسين خان معز السلطان ، حاج حسين اسكندراني ، ميرزا محمد علي خان مغازة ، وعلي محمد خان سرتيب ، وحسين خان كسماوية ، وميرزا كوجك خان ، ومير عبد الكريم خان رشتي ، ويبرم خان الارمني ، وقد تولى كريم خان ادارة المدينة بينما تولى شقيقه عبد الحسين خان ، معز السلطان ، الادارة العسكرية ، وقد حصلت هذه اللجنة على الكثير من المساعدات العسكرية والطبية عبر اتصالاتها السرية بالجمعيات القفقاسية ، كما وصلها عدد من الخبراء في صناعة القنابل والمتفجرات الذين ارسلتهم تلك الجمعيات[٣].

وقد استطاع يبرم خان ارمني ببراعته العسكرية النادرة وبالتدريب العالي الذي كان عليه رجاله ، المؤلفين من ايرانيين وجورجيين وارمن ، ان يؤدي دوراً مهماً في احراز النصرعلى قوات الحكومة وفرض السيطرة على المدينة[٤].

اما في مدينة اصفهان ، فقد شاطر ثوارها اخوانهم في رشت حلاوة الانتصار فبعد ان تم لهم طرد اقبال الدولة ، حاكم المدينة ، وسيطر المجاهدون فيها بقيادة المجتهد اغا نجفي اصفهاني ، عمد هو ومن معه من رجال الدين الكبار بارسال برقية عاجلة الى كافة وزراء المفوضيات الاجنبية في طهران ، اشتملت على بيان صادر من جمعية اصفهان واهالي

---

(١) عبد الكريم مشايخي ، جنبش مشروطيت در بوشهر ، ص ٣١٨

(٢) للدلالة على التضامن ووحدة الهدف بين الكرج والارمن والمسلمين في ايران للتخلص من الظلم والاستبداد بكافة انواعه ، فقد جاء مليكوف الكرجي بصحبة ٨٠ مقاتل يأتمرون بأمرته بمساعدة الثوار الايرانيين للخلاص من محمد علي شاه واستبداده ، وكذا فعل يبرم خان الارمني وبصحبته ١٢٠ مقاتل يأتمرون بأمرته ، لمزيد من التفاصيل يراجع ، حسن اعظام قدسي ، كتاب خاطرات من يا روشن شدن تاريخ صدساله ، جلد اول ، ص ٢٣٨

(٣) ايرج رودكيادارا، محال ثلاث در نهضت مشروطيت ، ص ٢٠٥

(٤) محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ، ص١٢٨

المدينة بتاريخ ٨ محرم ١٣٢٧ / ١٩٠٩ نص على : ((من جمعية اصفهان وكافة اهالي المدينة الى وزراء مفوضيات الدولة العثمانية والانكليزية والروسية والالمانية والفرنسية والبلجيكية والنمساوية والامريكية والهولندية ، نعرض عليكم مطلب الشعب الايراني المظلوم ، تعلمون جناباتكم ان دولة ايران تعتبر من ضمن الدول الدستورية والبرلمانية)) . وطالما ان برلمانها معطل في الوقت الحاضر ، لذلك فان أي قرض تمنحه أي دوله اجنبية الى الشاه مقابل امتياز معين ، فأن الشعب الايراني غير مسؤول عنه ، ويعلن براءته منه)).

كما ادت قبائل البختيارية دوراً مهماً في دعم ومساندة ثوار اصفهان فقد قام اثنان من زعماء تلك القبائل وهما ضرغام الدولة وصمصام السلطنة باعلان الثورة على حكومة طهران وكان ذلك بعد حضور صمصام السلطنة الى منزل اغا ميرزا ابو القاسم ، احد رجال الدين البارزين ومن الوعاظ المجتهدين في مدينة اصفهان ، كما حضر الاجتماع الحاج غفار خان ، احد وجهاء اصفهان ، حيث تم التباحث بشأن الترتيبات والاستعدادات المقبلة[١]. وفي الوقت نفسه كان صمصام السلطنة ينتظر عودة شقيقه (علي قلي خان سردار اسعد)[٢] من اوربا لأعطاء الاوامر الى افراد عشيرته (البختيارية) بالتحرك نحو العاصمة طهران وفي اثناء ذلك ، التقى صمصام السلطنة بالوزير المفوض الروسي ، حيث بلغه قرار الثوار وسائر افراد عشيرته بعدم قبول أي مصالحه مع الشاه حتى في قبوله اعاده المشروطه وافتتاح المجلس[٣]. مما يعني ذلك عزم وتصميم الثوريين من رجال الدين وانصارهم من زعماء العشائر ، خلع محمد علي شاه وقطع دابر الاستبداد .

وبعد ان زحف مجاهدي الشمال في طريقهم الى مدينة قزوين برزت الخلافات بين تقي زاده واتباعه من جهة ، وبين زعماء الحركة الثورية من جهة اخرى ، ففي الوقت الذي اراد فيه تقي زاده المصالحة مع الشاه ، رفض ستار خان وكريم خان ذلك ، واكدا له بأنهما لا يقبلان اقلم من فتح العاصمة طهران وخلع محمد علي شاه ، مما جعل تقي زاده

---

(١) ناظم الاسلام كرماني جاب بنجم ، ص ١٩٢

(٢) كان رئيس عشائر البختيارية ، وقد ابعد الى خارج ايران من قبل حكومة محمد علي شاه بسبب بعض العداوات القديمة بين عشيرته وعشائر القاجار ، وبعد ضرب المجلس ١٩٠٨ وابعاد بعض رجال المشروطة الى اوربا ، كون هؤلاء جمعية في لندن فأنضم اليها سردار اسعند ، مزيد من التفاصيل ، انظر ، محمد مهدي شريف كاشاني ، واقعات اتفاقية در روزكار ، ص ٨٦٢

(٣) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص٣٢٤

بعد اصراره على فكرة المصالحة ، ان يلتقي بالمسؤولين الروس في تبريز ويحذرهم من احتمال وقوع حرب بين القوات الروسية والمجاهدين في انزلي على بحر قزوين[١].

وفي كيلان ادى المجاهدون القفقاسيون دورا بارزاً في مساندة الحركة الثورية ، كما ان بعض التجار ، بحكم علاقاتهم مع رجال الدين واصحاب الصناعات الايرانيين المقيمين في القفقاس ، ساهموا مساهمة فعالة في توفير متطلبات الثورة ، فبعد ان اغلقت دوريات القوزاق ، سواء الايرانية او الروسية، الطرق التي تربط مناطق القفقثاس بمناطق الثوار الايرانيين ، اوجد هؤلاء التجار شبكة من طرق المواصلات السرية لتزويد الثوار بالسلاح والمتطوعين[٢]. وقد كانت لقاده الحركة الثورية (جمعية ستار) في رشت ، علاقات حميمة بالقفقاسيين ، لا سيما باعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، فقد سافر كريم خان الرشتي الى القفقاس وباكو وبقي هناك لمدة شهرين متتاليين ، التقى خلالها بعدد من اعضاء الحزب المذكور وبعض الجمعيات الراديكالية الاخرى المؤيدة للمقاومين في رشت ، واخذ ينسق معهم لأمداده بالاسلحة والذخيرة[٣].

ومن الجدير بالذكر ان نجاح ثورة الرششتيين وتكوينهم حكومة مؤقتة ، قد نالت اعجاب محمد ولي خان سبيدار ، الذي كان قد ارسله محمد علي شاه لقمع ثورة تبريز ، مما جعله يترك تبريز الى رشت حيث اعلن انضمامه الى الثوار فاصبح احد ابرز زعماء الحركة الثورية[٤].

ان ترك محمد نولي خان سبهدار صفوف الاستبداد وابداء رغبته بالانضمام الى مجاهدي المشروطه ، قد جلب انظار قادة الحركة الثورية ، لما يمتلكه من قدرة عسكرية فائقة . وتأثؤ في نفوس الاخرين بما يتمتع به من منزلة اجتماعية بين الطبقات الوسطى ، فاصبح قائداً للمجاهدين في رشت وكيلان وكانت اولى النتائج التي ترتبت على وقوفه الى جانب الثوار ، ازدياد عدد املخالفين للنظام وتطوعهم في جيش الثوار كما التحق عاصم

---

(١) مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع والخلافات بين الطرفين ، انظر ، احمد كسروي ، تاريخ مشروطه ايران جلد دوم ، جاب سوم، ص ٨٠٨-٨٠٩

(٢) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ، ص ٣١٢

(٣) مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد بنجم ، ص١٠٤٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٥٧

الملك خمسه أي احد زعماء مجاهدي ما زندران المقروفين ، ومعه خمسة وعشرون فارس مسلح بجيش محمد ولي خان سبهدار[١].

وفي الوقت نفسه اجتمع رجال الدين الكبار في مناطق (تنكاين ، وكلارستاف وكور) ومن بينهم ميرزا محمد طاهر ، وميرزا محمد علي سرتيب ، ووالفيه ابو الفتح خان او الميرزا حسن خان رودكر ، بكبار رجالات تلك المناطق لحث اتباعهم بالانضمام الى صفوف المجاهدين الثوار ومقاومة الاستبداد[٢].

وفي ولاية المحمرة العربية ، تشكلت جمعية للثوار حيث اعلن عن تشكيلها الشيخ (خزعل بن جابر)[٣]. في رسالة بعث بها الى رجال الدين في اصفهان والى صمصام السلطنة ن حيث اكد فيها استعداد قواته للمشاركة مع اخوانهم المجاهدين في اصفهان وكيلان[٤] .

وهكذا اخذت الرسائل والبرقيات تتبادل بين المجاهدين في كل ولايات ايران من الجنوب الى الشمال ، فقد ارسل اعضاء جمعية شيراز برقية الى كبار رجال الدين في اصفهان والاغا صمصام السلطنة ، اعلنوا فيها تمسكهم بمبادئ المشروطه ووحدة الجهاد المشترك مع (نواب صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه) حتى تتم وحدة بلاد فارس ، كلمة وعملاً في ظل قانون اساسي ودستور رسمي[٥].

وبعد تطور الاحداث بهذه الصورة ، اخذت بريطانيا وروسيا تضغطان على محمد علي شاه باعادة الدستور واصدار قانون جديد للانتخابات، وفي ١٣ حزيران ١٩٠٩ وقع محمد علي شاه قانون الانتخابات الجديد ، الا ان ذلك لم ينفع ، فقد اتفق قادة الثوار في الشمال والجنوب على اساس التحرك المشترك كلاً من طرفه صوب طهران[٦]. وفي ١٧ حزيران ١٩٠٩ تحرك من اصفهان جيش البختيارية بقيادة علي قلي خان سردار سعد عازمين

---

(١) ايرج رودكر كيادارا ، محال ثلاث در نهضت مشروطيت ايران ، ص ٢٠٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠١

(٣) حكم ولاية الاحواز زهايسء ربع قرن (١٨٩٧ – ١٩٢٥) م اتسم بقوة الشخصية والحزم الامر الذي انعكس ايجابياً على احوال الامارة ، للتفاصيل ينظر ، انعام مهدي علي السلمان ، حكم الشيخ خزعل في الاحواز ١٨٩٧ – ١٩٢٥ ، مكتبة دار الكندي ، بغداد ، ١٩٨٥

(٤) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيات ، جلد بنجم ، ص٥٦٧

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٦٦

(٦) Ashar Fathi , Preachers as Substitues For Mass Media : The Case of Iran 1905 – 1909 , in Book Towads A Modern Iran Studies in Thought Politics and Society, Edited by Elie Kedourie and Sylvia G. Haim, London, 198, p, 170

الاتجاه نحو العاصمة طهران ، وبعد اسبوعاً واحداً وصلت جحافل البختيارية الى مدينة قم ، الواقعة على بعد ١٩٢ كيلومتر جنوب طهران ، فاعترضهم عند ضواحي المدينة قنصلا بريطانيا وروسيا في محاولة منهما أقناع سردار اسعد بالتوقف عند مدينة قم وتقديم مطالبهم الى الشاه عن طريقهما[١]. غير ان سردار اسعد رفض بشدة وانتقد ذلك التصرف ، وابلغهما بالنص "اذا كانت ايران مستقلة فأن ما يجري هو على ارضها ووطنها ، واذا لم تكن مستقلة فأكتبوا ذلك رسمياً لنعرضه على الدول الخارجية لبيان الرأي" [٢]. وقد كان ذلك سبباً لانزعاج الروس وغضبهم من الثوار ، ففي الثلاثين من حزيران ١٩٠٩ اخذت القوات الروسية بالتحشد في مدينة باكو لتشكل بذلك مصدر تهديد لأمن واستقرار المنطقة[٣].

اما محمد ولي خان سبهدار الذي اصبح قائداً للقوات الشمالية ، فقد بدأ تحركه صوب طهران ، حسب الخطة المرسومة بينه وبين ثوار الجنوب ، واستطاع ان يصل بقواته الى مدينة قزوين دون ان يشتبك بأي معركة مع القوات الروسية التي كانت منتشرة على طول طريق ساحل بحر قزوين ، كما باغت القوات الحكومية المعسكرة بين مدينة قزوين والكرج ، وفي حزيران ١٩٠٩ تمكنت قوات سبهدار من فرض سيطرتها الكاملة على مدينة قزوين بعد ان هزمت القوات الحكومية المتواجدة فيها[٤]. ثم ارسلت قوة اخرى من الثوار الى بلده كرج ، الواقعة على بعد ٤٠ كيلومتراً غرب طهران فأحكمت سيطرتها عليها ، وبعد سقوط هاتين المدينتين بيد الثوار ، لا سيما قزوين ، فقد محمد علي شاه سيطرته على معظم مناطق ايران[٥]. لأن الطريق الى طهران اصبح مفتوحاً امام قوات الثوار ، كما ان اتحاد القوات الشمالية بالجنوبية بات وشيكاً ، و قد فشلت كل المحاولات التي ابداها قناصل الروس والانكليز في ثني الثوار عن تقدمهم نحو طهران ، وقد بعث زعماء الثوار في الشمال والجنوب ، بعد اجراء اتصالات بينهما ، مذكرة مشتركة بأسم الثوار الى الوزير المفوض لأمبراطورية النمسا والمجر في طهران بوصفه عميد السفراء الاجانب في ايران ،

(١) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص ٣٢٨
(٢) اسعد محمد زيدان الجواري ، المصدر السابق ، ص ٧٧
(٣) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص ٣٢٨
(٤) مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد ششتم ، ص ٦٤
(٥) خضير مظلوم فرحان البديري ، اذربيجان الايرانية في السياسة الروسية ١٩٠٩ – ١٩١٤ ، ص ٥٠

طالبين منه ابلاغ ممثلي الدول الاجنبية كافة بضرورة وقوف حكوماتهم على الحياد بالنسبة للصراع الداخلي الدائر في ايران(١).

وبعد سلسلة من المعارك الناجحة والتي احرز خلالها الثوار انتصارات رائعة على القوات الحكومية ، واصل الثوار تقدمهم نحو طهران ، وعند قرية بادامك ، على نهر الكرج بالقرب من طهران ، التقت قوات المجاهدين القادمة من الشمال بنظيرتها من الجنوب وبدأت الاستعدادات لدخول طهران(٢).

وعلى الرغم من استعدادات محمد علي شاه وتوزيع قواته على المراكز الحساسة في العاصمة وضواحيها الا ان قواته اضطرت الى التراجع امام زحف الوطنيين .

وامام تلك التطورات والحالة الانهزامية التي رافقتها ، حاول محمد علي شاه الاستنجاد بالقوات الروسية ، فقد طلب دخول الجيش الروسي الى الاراضي الايرانية ، معتقداً ان الوجود الروسي سيحبط محاولات علماء الدين التي تستهدف سلطته ، وان دخول مثل هذه القوات عملية ضرورية لتثبيت عرشه، حتى لو استدعى ذلك التخلي عن اجزاء اخرى من الاراضي الايرانية لروسيا (٣). الا ان محاولات محمد علي شاه ومناوراته لم تثمر ، فقد صمم الثوار دخول العاصمة وتلبية نداءات علماء الدين في خلع جذور الاستبداد والتسلط القاجاري .

وبعد مناوشات دامت ثلاثة ايام تمكن الثوار من اقتحام المواقع العسكرية المتمركزة حول العاصمة ودخولها منتصرين في ١٦ تموز ١٩٠٩(٤). وكانت اولى مجموعات المجاهدين التي دخلت العاصمة ، من ولايات تنكاين وكلارستاق وكجور بقيادة علي خان (منتصر الدولة) والفقيه ميرزا محمد خان سرتيب وميرزا حسن خان كلارستاقي وميرزا ابراهيم ضيغم السلطان وعباس خان بهادر نظام (٥). كما تعززت قوات الثوار بقوات اضافية مؤلفة من خمسمائة مقاتل بقيادة سردار يحيى وميرزا كوجك خان اللذين كانت مهمتهما

---

(١) نور الله دانشور علوي ، تاريخ مشروطيت ايران وجنبش وطن برستان ، اصفهان وبختياري ، ص ٦٢

(٢) E. Brown, The Persian Revolution , p , 315 ؛ ايرج رودكركيادارا ، محال ثلاث در نهضت مشروطيت ، ص ٢٢٢

(٣) عبد الهادي حائري ، تشيع ومشروطيت در ايران ، ص١١٢

(٤) عبد الله رازي ، تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسلة مادة تا عصر حاضر ، جاب دوم ، تهران ، ١٣٣٥ ، ص٥٢٥ .

(٥) ايرج رودكر كيادارا ، محال ثلاث در نهضت مشروطيت ، ص٢٢٢

حمايـة مـؤخرة الثـوار[1]. ثـم القـى اليـاخوف سـلاحه و سـلم نفسـه الـى الـزعيم البختياري سردار اسعد[2].

وعلى الرغم من خوف الاجانب ، لاسيما الروس والانكليز، على مصالحهم في ايران ، الا ان المسؤولين الانكليز لم يخفوا اعجابهم بالشجاعة والحنكة العسكرية التي كان عليها الثوار[3].

اما محمد علي شاه ، فقد لجأ وعائلته الى مبنى المفوضية الروسية التي رفع عليها العلم البريطاني الى جانب العلم الروسي لتأكيد حمايته للدولتين[4]. وبلجوء محمد علي شاه الى المفوضية الروسية ، يكون قد اسدل الستار على فترة عصيبة مر بها الشعب الايراني تلك هي فترة "الاستبداد الصغير" التي دامت عاماً كاملاً وعدة ايام . وبذلك تخلصت ايران من اكبر جبابرة عصرها بجهود وهمة رجالها الروحانيين الذين كان لدورهم البارز في تعبئة الجماهير اكبر الاثر في ذلك . لتبدأ فترة جديدة في تاريخ المشروطه الايرانية هي فترة المشروطة الثانية (مشروطه دوم) .

وفـي عصر يوم ١٦ تموز ١٩٠٩ شكل الوطنيونـه مجلساً جديداً سمي بـالمجلس الاعلى للثورة الدستورية (مجلس عالي) من خمسمائة عضواً ضم مجموعة من قادة الثورة وعلماء الدين اللامعين ، وبعض التجار ، والاصناف ، وبعض اعضاء المجلس السابق ، وقد تمت تشكيلته الاولى في مقره السابق (بهاستان)[5]. . ثم التقى عدد من رجال الدين البارزين في طهران من بينهم الشيخ محمد نبي والشيخ تقي، بأعضاء مجلس الشورى الوطني الجديد وابلغوهم بفحوى الفتوى الصادرة من مراجع التقليد في النجف بوجوب تشكيل حكومة مؤقتة اطلق عليها لجنة الادارة (هيئت مديره) ، بعد ان فرّ محمد

---

(١) جانيت افاري ، انقلاب مشروطة ايران ، ص٣٩٩

(٢) كريم طاهر بهزاد ، قيام اذربيجان در انقلاب مشروطيت ايران ، تهران ١٣٣٢ ، ص١١٩ ؛ محمد جواد مشكور ، تاريخ ايران زمين از روزكار يا ستان تا عصر حاضر ، ص٣٧٢

(٣) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص ٣٢٩

(٤) احمد عبد القادر الجمال ، مشكلات الشرق الاوسط ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٥٤١؛ عبد النعيم حسنين ، ايران في ظل الاسلام في العصور السنية والشيعية ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٩٥ – ٩٦

(٥) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص ٣٢٩

علي شاه ، لأدارة البلاد برئاسة سردار اسعد بختياري ، وزير الداخلية ومحمد ولي خان سبهدار تنكابني ، وزير للحربية[١].

وقد منحت لجنة الادارة صلاحيات المجلس العالي كاملة ، حيث تألفت من اثني عشر عضواً من زعماء الوطنيين من مختلف المدن الايرانية . فقد ضمت سردار اسعد ، سبهدار اعظم ، تقي زادة ، صنيع الدولة ، وثوق الدولة ، سليمان اسكندي ، وبعض اعضاء المجلس السابق كحسين قلي نواب ، حكيم الملك ، مستشار الدولة ، نصر الله تقوي كذلك اثنين من افراد جيش الثوار المجاهدين من كيلان واذربيجان وهما عبد الحسين معز السلطان ، الفقيه علي محمد سرتيب كأعضاء في الهيئة الادارية[٢].

وكانت اولى قرارات لجنة الادارة ، خلع محمد علي شاه في ١٧ تموز ١٩٠٩ ، وتوج ابنه احمد ميرزا ملكاً جديداً على ايران في ٢٢ تموز ١٩٠٩ بأسم احمد شاه البالغ من العمر (١٢) سنة[٣]. وارسال برقيتين بهذا الخصوص الى كل من بريطانيا وروسيا للعلم[٤]. كما صدر قرار اخر عين بموجبه كبير اسرة آل قاجار (عضد الملك) وصيا على الشاه الصغير[٥].

وتحت ضغط الحكومة الروسية والبريطانية منحت لجنة الادارة عفواً عاماً لعدة افراد من اعوان الشاه مثل امير بهادرجنك وسعد الدولة (عضو مجلس سابق ورئيس الوزراء في فترة الاستبداد الصغير) [٦]. كما خصصت لجنة الادارة للشاه المخلوع وافراد عائلته مبلغ مئه الف تومان سنوياً ، تؤدى على سبعة اقساط متساوية بعد اخراجه من ايران ، على ان يسلم كافة المجوهرات الملكية والاوراق والوثائق الرسمية للدولة ، وبتنازل للدولة عن كافة املاكه مقابل قيام الحكومة بتسديد كافة ديونه الشخصية البالغة اربعمائة الف باوند استرليني[٧]. وعلى الشاه وجميع اللاجئين للمفوضية الروسية مغادرة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٣٤

(٢) مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد ششتم ، صث ٥٦ – ١٢

(٣) حسن اعظام قدسي ، كتاب خاطرات من يا روشن شدن تاريخ صدساله ، جلد اول ، ص ٢٤٢ ؛ ((العرفان)) (مجلة) ، صيدا ، ج ٨ ، المجلد الاول ، ١٧ آب ١٩٠٩ ، ص ١٩٨

(٤) W, Brown , The Persian Revolution , P.324

(٥) فيصل عبد الجبار عبد علي ، المصدر السابق ، ص ١٨٢

(٦) احمد كسروي ، تاريخ هيجدة ،سالة اذريجان ، جلد دوم ، انتشارات امير كبير ، تهران ، ١٩٧٨ ، ص ٦٧

(٧) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص ٣٣٦

ايران حال توقيع الاتفاق ويشترط على الشاه عدم قيامه بأي نشاط ضد ايران وفي حالة مخالفته ، تقطع جميع مخصصاته[١]. وفي ٩ ايلول غادر محمد علي ايران الى روسيا[٢]. اما القرار الاخر الذي اتخذته لجنة الادارة فهو تشكيل محكمة ثورية لمحاكمة الشيخ فضل الله النوري ، ضمت في عضويتها علي محمد سرتيب ، وحيد الملك شيباني ، وجعفر قلي سردار بهادر ، ومحمد نجاة ، ومحمد امام زاده (امام جمعة طهران سابقاً) ، شيخ ابراهيم زنجاني ، عبد الله بهبهاني كمدعي عام[٣]. وبعد توجيه الاتهامات اليه من قبل اعضاء المحكمة وافساح المجال له للدفاع عن نفسه ، اصدرت المحكمة امراً بأعدامه بتاريخ ٣١ تموز ١٩٠٩[٤].

---

(١) مهدي ملكزاده ،تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد ششتم ، ص ١٣١٢- ١٣١٣

(٢) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران ، ص ٣٣٦

(٣) مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد ششتم ، ص١٢٥٧

(٤) مزيد من تفاصيل محاكمة الشيخ فضل الله النوري ، يراجع ، فتوت نصيري سوادكوهي ، سير قضائي محاكمة آيت الله حاج شيخ فضل الله نوري ، تهران ، ١٣٧٨ ، ص ٨٩ – ٩٣ ؛ ابراهيم صفائي ، رهبران مشروطه ، ص٢٧٢ ؛ حسن اعظام قدسي ، كتاب خاطرات من يا روشن شدن تاريخ صدساله ، جلد اول ، ص ٢٤٤ – ٢٥٢

المبحث الثالث:

علماء الدين في النجف واثرهم في توجيه احداث الثورة الدستورية حتى عام ١٩٠٩

لم تكن الاحداث التي مر بها الشعب الايراني خلال فترة حكم محمد علي شاه بعيدة عن علماء الدين في النجف ، والذين اغلبهم من اصل ايراني ، ولم تكن كذلك تحركات محمد علي شاه ونواياه الرامية في القضاء على الحياة النيابية في ايران غائبة عن اذهانهم فقد بادر المجتهد الشيخ محمد كاظم الخراساني بتوجيه رسالة الى محمد علي شاه بعد تسلمه مقاليد الحكم في ايران اشتملت على عشر من الوصايا ، اكدت مضامينها على ضرورة نشر العدالة والحق والمساواة والعمل بالدستور والحفاظ على مبادئه واعلاء مقام العلم وتكريم حملته ، مذكراً ومحذراً في الوقت نفسه ، من مغبة مجافاة هذه الوصايا[١].

وبما ان محمد علي شاه كان يدرك قدرة علماء الدين ومدى تأثيرهم في قلب الامور ضده ، تظاهر في بادئ الامر بقبوله تلك الوصايا ، بل ويذكر انه امر بأن توضع في مكان بارز في غرفته[٢]. غير ان الايام اللاحقة اثبتت عدم صدقه وما كان يضمر من العداء تجاه المجلس ونوابه ن فاخذ يثير المشاكل التي من شأنها عرقلة مسيرة الحياة النيابية ، مما اضطر علماء الدين في ايران الى ارسال البرقيات والرسائل الى علماء الدين في النجف ، عرضوا من خلالها تسلط محمد علي شاه واعوانه على رقاب المسلمين ، الامر الذي جعل المجتهد ملا محمد كاظم الخراساني الى ان يبعث نيابة عن المجتهدين في النجف ، رسالة توجيهية الى محمد علي شاه مراعياً في ذلك حالة التوتر السائدة بين الطرفين ، فكتب قائلاً ((بكامل الاسف والحسرة ان نرى ايران ولسنين عدة لم تشهد استقراراً في اوضاعها ،

---

(١) انظر النص الكامل لهذه الوصايا في ، عبد الرحيم محمد علي المصدر السابق ، ص ٧٥ – ٧٧

(٢) محمد علي محمد رضا الطبسي ، المصدر السابق ، ص ٧٥ – ٧٨

فانحطت الحياة المستقلة فيها يوماً بعد اخر ، كما ان المسؤولين فيها انشغلوا عن حفظ دينهم ودولتهم باغتصاب اموال الدولة والشعب وايداعها في البنوك الخارجية ، ولذلك اصبح من الصعب علاج تلك الامراض بصورة عاجلة ، واختتم رسالته بثلاث وصايا تضمنت اولاً وجوب اصلاح المسؤولين انفسهم والاهتمام بمصالح الشعب وحفظ الدين والدولة بالاعتماد على ابناء الشعب العائدين من الخارج ممن يتصفون بالكفاءة والامانة ، ثانياً والاتحاد الحقيقي والواقعي بين الشعب والدولة ، لا مجرد الفاظ وكلمات فارغة ، ويجب على الشاه ان يعتبر قوته نابعة من قوة الشعب ، وان يكون حارساً اميناً على نفوس واموال الشعب . ثالثاً وتهيئة اسباب الاستغناء عن الاجانب ، بفتح المعامل وتشجيع الانتاج المحلي ، وفتح المدارس وتعليم العلوم والصناعات التي تحتاج اليها البلاد ، والحفاظ على عقائد واخلاق اطفال المسلمين في ايران(١).

وبدلاً من ان يلتزم الشاه بتلك التوجيهات ، اقدم في ٢٣ جمادي الاولى ١٣٢٦ / حزيران ١٩٠٨ بقصف المجلس وهدمه(٢). ثم تمادى اكثر وبالاعتماد على قوة الروس التي نزلت الى الميدان ، فاصدر في تشرين الاول ١٩٠٨ بياناً خطيراً جاء فيه " اني وان كنت قد وعدت بان يفتح مجلسكم في ١٤ تشرين الثاني ١٩٠٨ ، الا ان الاكثرية من اعضاء المجلس يلحون على صرف النظر عن افتتاحه ، لذلك صممت على تحقيق رغبة الناس ، لان افتتاح المجلس وتحقير الاسلام شيئاً واحداً "(٣).

ويتضح من ذلك ان محمد علي شاه لايريد عودة النظام الدستوري ثانيةً الى ايران ، مما يعني ذلمك مصادرة الجهود التي بذلها علماء الدين من اجل اقرار الحياة الدستورية ، وتحقيق الاستقلال الحقيقي للبلاد ، التي خضعت طويلا لأرادة الدول الاستعمارية ، ولما بلغ هذا البيان مدينة النجف ، اثار ذلك ثائرة علمائها فكتب الاخوند الخرساني ، نيابة عن مجتهدي النجف وعلمائها رسالة بخطه وتوقيعه الى الشاه ، طبعت منها الاف النسخ ووزعت في جميع انحاء ايران جاء فيها "يا منكر الدين ويا ايها الضال ، والذي لا نستطيع ان نخاطبك بلقب (شاه) ، كان المرحوم ابوك قد اعطى الدستور ليرفع الظلم والتصرفات غير القانونية عن الشعب الذي كان في ظلام دامس ، لقرون عديدة ، حيث انه لا يوجد في

---

(١) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيات ، جلد بنجم ، ص ٢٨٧

(٢) تم توضيحه في المبحث الثاني من هذا الفصل

(٣) حسن شبر ، المصدر السابق ، ص٩٢ .

المشروطه شيء يخالف الدين ، وكنا ننتظر من شجرة الدستور ان تثمر السعادة للشعب المظلوم وان يحفظ هذا الدستور بعد جلوسك على العرش ، وعلى هذا الاساس اعترفنا لك بولاية العهد الدستورية ولكنك منذ اليوم الاول الذي تبوأت فيه عرش السلطنة ، وضعت تحت اقدامك جميع الوعود والايمان وعملت بجميع الحيل ضد المشروطه ، وقد تجلى لنا خطأنا فيك حيث سعيت ان تجعلنا آلة بيدك ضد المجلس ، وحاولت ان ترشونا بقانون اساسي تافه نظمته انت والذي كان فيه ضرر للناس ، واردت ان تصادق عليه وارسلت الينا احد رجالك المقربين لشراء ذممنا بالذهب ، ولست عالماً بأن سعادة الشعب اثمن كثيراً من ذهبك ... "[1]. غير ان هذه الرسالة لم تزد محمد علي شاه الا طغياناً وتسلطاً ، فقد عين من اعوانه قواداً لضرب الحركة الوطنية كان من بينهم الحاج صمد خان (شجاع الدولة) الذي قام بشنق عدد من الوطنيين بصورة وحشية جداً ، وكذلك شجاع نظام مرندي، وكان سفاحاً مشهوراً وقد اغتاله احد الوطنيين بقنبلة يدوية ، (وعين الدولة) نائب الشاه في منطقة اذربيجان ، وقد بالغ هؤلاء في تعذيب المجاهدين وتقتيلهم ، ومن هؤلاء الذين علقوا على اعواد المشانق ، اغا علي ثقة الاسلام ، زعيم الطائفة الشيخية واحد المجاهدين من اجل الدستور ، واغا شيخ سليم من ائمة دوجي وضياء العلماء وحسن وقدير لابن دستوري وابراهيم اغا احد زعماء الديمقراطيين وغيرهم[2]. وعند وصول تلك الاخبار المحزنة الى النجف ابرق علماء النجف الى محمد علي شاه برقية دلت كلماتها على روح الثوار المتحدية للأستبداد ، جاء فيها "الله قد لعن الطغاة ، قد تكونون منتصرين الان ، الا انكم لن تبقوا كذلك طويلا " [3]. ثم لم ينتظر علماء الدين اكثر من ذلك ، فقد كتب ملا محمد كاظم الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني برقية الى الشعب الايراني معلنين فيها الجهاد ضد محمد علي شاه واعوانه ، جاء فيها " نعلن لعموم الشعب الايراني حكم الله ....ان السعي في دفع هذا السفاك الجبار محمد علي شاه ، والدفاع عن نفوس واعراض واموال المسلمين يعتبر اليوم من اهم الواجبات ، وان دفع الضرائب للمسؤولين ، من اعظم المحرمات ، وبذل الجهد في تقوية وتدعيم المشروطه يعدُ بمنزلة الجهاد في سبيل امام الزمان ارواحنا فداه ،

---

(1) محمد علي كمال الدين ، المصدر السابق ، ص ٢٥
(2) عبد الرحيم محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٧٩
(3) اروندا ابراهيميان ، ايران بين ثورتين الجزء الاول ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٣٣ .

وان ادنى مخالفة او التهاون في ذلك ، يعتبر بمنزلة خذلانه ومحاربته صلوات الله وسلامه عليه ، اعاذنا الله والمسلمين من ذلك ان شاء الله تعالى"[1] . فكانت تلك الفتوى القنبلة التي فجرها علماء النجف والتي هزت اركان عرش محمد علي شاه واودت به والى الابد ، حيث لم تنفعه تحشداته ، ولم تستطع قوات لياخوف نجدته ، فقد تقاطرت من كل حدب وصوب جموع المجاهدين ، واخذ الكثيرون منهم يبتاعون البنادق ، ورب رجل باع فرش بيته ليبتاع بندقية[2].

وقد ادى ذلك الانقلاب الروحاني الى ازدياد مخاوف الروس من امتداد الثورة الى مناطق القفقاس الروسية ، فقد كتب السفير البريطاني في بغداد قائلا (ابلغني المسيو ماسجوكوف) احد موظفي عظيم في باكو بشكل جعل من باكو اعظم مراكزنفوذه الفتاكة التي تجري فيها التبلغيات الثورية ، واضاف قائلاً : بأن السيد محمد كاظم اليزدي له نفوذ عظيم في القفقاس ، فاذا ما فكر بالاشتراك في الامور السياسية ، فمن الممكن ان يحرك الثورات في القفقاس وايجاد مشاكل واضطرابات واضحة للدولة الروسية " [3] . كما زادت مخاوف الروس والبريطانيين معاً ، على اثر اهتمام علماء النجف بدخول القوات الروسية الى ايران ،وتصاعد احتمال قيادتهم لحركة الجهاد ضد الوجود العسكري الروسي ، مما يعرض مصالحهما في ايران الى خطر جاد ، وتجنباً لأي صدام مع علماء الدين ، عقد سفيرا الدولتين اجتماعاً مشتركاً مع محمد علي شاه في ٢٢ نيسان ١٩٠٩ ، قدما له بياناً مشتركاً يطلبان فيه اعادة النظام الدستوري الى ايران ، ووعده بتقديم مساعدة مالية لحكومته فيما لو نفذ ذلك[4] .

ان موقف هاتين الدولتين أنما يعكس مدى مخاوفهما من علماء الدين ، فالحكومة الروسية التي تقف دوماً حائلاً دون تطبيق النظام الدستوري ليس في بلدها حسب بل حتى في ايران ووقوفها الى جانب الشاه في تعطيل الدستور ، اصحبت مضطرة لقبوله في ايران ، تقديراً لخطورة المستقبل على مصالحها، اما بريطانيا فرغم سعيها لاضعاف النفوذ الروسي في ايران ، الا ان طبيعة المصالح السياسية والخوف من تطورات المستقبل يومذاك ، جعلها

---

(١) عبد الهادي حائري ، تشيع ومشروطيت ايران ، ص ١١٠
(٢) عبد الرحيم محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٨٠
(٣) عبد الهادي حائري ، تشيع ومشروطيت در ايران، ص ١١٦
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٤

تتفق مع روسيا في الموقف ، من اجل امتصاص معارضة علماء الدين والحيلولة دون مضيهم في حركة الجهاد ، علماً ان علماء الدين قد رفضوا اية مساومة من شأنها ابقاء النفوذ الاجنبي على الاراضي الايرانية[1].

وفي ظل هذه الاوضاع المتأزمة ، استمر علماء النجف في توجيه العمليات الحربية ورسم الخطط عبر رسائلهم وبرقياتهم التي كانت ترسل الى زعماء الحركة الجهادية في ايران ، ففي ٢٢ صفر / نيسان ١٩٠٩ ارسل محمد كاظم الخراساني وعبد الله المازندراني رسالة الى محمد ولي خان سبهدار ، بعد انضمامه الى قوات المجاهدين ، وصمصام السلطنة زعيم عشائر البختيارية ، جاء فيها "جناب اشرف سبهدار اعظم ، جناب صمصام السلطنة ، ان اصفهان وتبريز محاصرتان من قبل القوات الحكومية ، والواجب الشرعي بذل الجهود الفورية لحمايتهما والدفاع عنهما ، وهو واجب على كل مسلم "[2]. فضلا عن ذلك فأن التلغراف (الذي حمل هذه الفتوى كان بمثابة نقطة الصفر التي بدأت فيها الاستعدادات النهائية لخوض المعركة الحاسمة مع محمد علي شاه في عقر مقره في طهران ، وعلى اثر ذلك عزم سبهدار التحرك نحو قزوين ، كما اعلن زعماء المجاهدين القفقاس استعدادهم الكبير لتلبية النداء لمحاربة الاستبداد واعادة المشروطه "لأنها سند للشيعة وانطلاقة تطور ايران ، واننا اليوم نعلن جهادنا ولا نبغي من ذلك غاية شخصية بل استجابة لنداءات امام العصر والزمان ارواحنا فداه"[3].

بدأت جحافل المجاهدين الجنوبية والشمالية بالتحرك مباشرة بعد وصول الرسالة الجهادية التالية والتي حملت فتوى من المجتهد عبد الله المازندراني نيابة عن المجتهدين الاحرار في النجف ، جاء فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

معلوم لجنابكم سبهدار ، سردار اسعد ، ان تأسيس المجلس غايته نشر العدالة واحكام الشريعة المطهرة ورفع الظلم والتعدي ومراعاة مصالح الشعب والدولة على وفق الشريعة

---

(1) المصدر نفسه ، ص ١١٦

(2) ايرج رودكركيادارا ، محال ثلاث در نهضت مشروطيت ، ص ٢١٤

(3) المصدر نفسه ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦

الاسلامية ، وليس من عاقل وله دين ، ينكر وجود المجلس ، واعلموا ان الله جل شأنه سيعطي توفيقه للأخوة المؤمنين الذين يريدون الخير للناس لا فقط لهم ، ويفضلون مصلحة الشعب على مصالحهم الخاصة ، قولاً متطابقا مع الفعل "[1] .

وفي الوقت الذي وصلت فيه قوات سبهدار مشارف مدينة قزوين ، اعترضه القنصل الروسي في المدينة ، طالبا منه العودة وترك امر طهران ، والا فأن القوات الروسية ستكون هي المقابلة لقواته ، فرد عليه سبهدار "نحن الشيعة نسير بأمر علماء وحجج الاسلام ، وان الآيتين الآلهيتين وحجتي الاسلام الملا عبد الله المازندراني والملا محمد كاظم الخراساني قد اصدرا حكمهما بذلك ، وما انا الا بأمرهما على رأس هؤلاء المجاهدين ، ومن هنا وبعون الله سائر صوب طهران ، ولتفعل ما تريده دولة الروس "[2] .

لا شك ان ذلك كان اغرب جواب تلقته مسامع القنصل الروسي ، وادرك في قرارة نفسه التأثير الكبير لهؤلاء القادة العظام ، فكان قرارهم نافذا وحكمهم مطاعاً . وهكذا تم اقتحام طهران وفرّ الشاه هارباً الى اسياده الروس كما اسلفنا .

وعند وصول هذه الاخبار الى علماء النجف اقاموا احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة[3] . وبعد هذا الانتصار اعيدت المشروطه مرة اخرى وبفعالية ونشاط اكبر مما كانت عليه في السابق ، ذلك بترتيب وتوجيه علماء الدين في النجف وبنضال وجهود علماء واحرار ومجاهدي الدستورية في ايران.

---

(1) المصدر نفسه ، ص١٦٣

(2) المصدر نفسه ، ص٢٢١ .

(3) وميض جمال عمر نظمي ، ثورة ١٩٢٠ - الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية في العراق) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص١٢٠

الفصل الرابع

المؤسسة الدينية والمرحلة الثانية من الثورة الدستورية في إيران
١٩٠٩ ـ ١٩١١

المبحث الأول:

المؤسسة الدينية والتطورات الداخلية في إيران بعد انتصار الثورة الدستورية

المبحث الثاني:

قضية شوستر وموقف المؤسسة الدينية

المبحث الثالث :

موقف المؤسسة الدينية من الغزو الروسي لإيران وفشل الثورة الدستورية.

المبحث الاول:

المؤسسة الدينية والتطورات الداخلية في ايران بعد انتصار الثورة الدستورية.

انعكست تطورات الاحداث الايرانية في المرحلة السابقة، لاسيما قمع الثورة الدستورية، على الاوضاع الايرانية العامة التي اصابها الشلل بفضل تلك السياسة الاستبدادية التي مارسها محمد علي شاه بتأييد القوى الاستعمارية صاحبة النفوذ في ايران، الامر الذي شخصته المؤسسة الدينية في ايران آنذاك وعملت جل جهدها بأن تخطو خطوات واسعة نحو الامام من خلال التزامها بالمحافظة على منجزات الثورة الدستورية.

كانت المهام الملقاة على عاتق الحكومة الدستورية المؤقتة[1] جسيمة جداً، بسبب تدهور اوضاع البلاد السياسية والاقتصادية منذ انقلاب محمد علي شاه وحتى سقوطه في تموز ١٩٠٩، الامر الذي كان يتطلب من الحكومة وكذلك المؤسسة الدينية في ايران وضع برنامج شامل لمعالجة ذلك التدهور واضعة في اولوياتها النظر في خزينة الدولة الخاوية وتشكيل وتدريب فرق من الشرطة الوطنية لضمان حماية القوافل التجارية لاسيما في الجنوب ، واعادة الامن الى الطرق الرئيسية التي اصبحت مرتعاً لقطاعي الطرق ولصوص النهار، فضلاً عن اعادة النظر في تشكيلات فرق القوزاق، ووضع قانون جديد لانتخابات المجلس الايراني ومحاولة اصلاح البلاد من الخراب الذي اصابها ، لاسيما اذربيجان، جراء العمليات الحربية والاضطرابات التي استمرت فيها أكثر من عام[2].

وبما ان الحكومة المؤقتة لم تكن لديها الرغبة في التورط بقروض خارجية، لاسيما خلال فترة غياب المجلس الوطني، لذلك صمم اعضاؤها الاعتماد على بعض الاثرياء من

---

(١) بعد سقوط محمد علي شاه مباشرة تشكل مجلساً اعلى للثورة (مجلس عالي) تألف من قادة الثورة ومن زعماء طهران ومن نواب المجلس السابق بحيث بلغ عدد اعضائه ما يقارب خمسمائة شخص ، ترأسه سبهدار أعظم، وخشية ان يكون عدد اعضائه الكبير سببا في تعطيل أعماله وسرعة البت في الامور ، فقد شكل المجلس الاعلى في ١٧ آب ١٩٠٩ هيئة مؤلفة من ١٢ عضو سميت (هيئة مديرة) اوالحكومة المؤقتة حيث منحت صلاحيات المجلس الاعلى كاملة، لمزيد من المعلومات ، يراجع، مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد ششتم، ص ١٢٥٦.

(٢) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٣٦.

الايرانيين وتشجيعهم للمساهمة في حل الازمة المالية التي كانت تمر بها خزينة الدولة، وهذا ما تم فعلاً عن طريق جمع ما يقارب من سبعمائة الف تومان قبل انتهاء عام ١٩٠٩[١]. كما فرضت الحكومة المؤقتة على حكام الولايات دعم خزينة الدولة بالاموال ، فعلى سبيل المثال لا الحصر فرضت على عين الدولة، حاكم تبريز، مبلغاً شهرياً يتراوح بين مئتان الى ثلاثمئة الف باون استرليني[٢]. كما فرضت على ظل السلطان، شقيق مظفر الدين شاه واحد الاثرياء في ايران، بدفع مبلغ مئة الف تومان[٣].

ان السياسة الوطنية الجديدة للحكومة الايرانية المؤقتة ، والمواقف التي اتخذها علماء الدين في ايران لم تتلائم مطلقاً مع سياسة البريطانيين والروس في طهران، فعلى الرغم من الصداقة الحميمة التي كانت تربط بين جورج باركلي، المفوض البريطاني في طهران، وبين سبهدار اعظم وسردار اسعد، عضوا الحكومة المؤقتة، فقد اعلن المفوض البريطاني ان الاوضاع الجديدة سوف تعكر صفو العلاقات بين حكومته والحكومة الايرانية المؤقتة، كما اشار الى ان تحركات الحكومة المؤقتة هذه قد تشكل ضغطاً على العوائل الكبيرة في ايران، مما قد يسبب زوال ثقة الايرانيين، سواءً المقيمين داخل او خارج ايران بقدرة الحكومة الجديدة والتشكيك بنوايا قادتها[٤]. وفي ذلك اشارة واضحة في امكانية خلق معارضة جديدة داخل او خارج ايران ضد نظام الحكم الجديد في ايران.

ومن جانب آخر استغل رؤساء العشائر حالة الفوضى التي تعيشها البلاد، فأخذوا يفرضون الضرائب الباهظة (حق العبور) على القوافل التجارية المارة خلال مناطقهم الى داخل البلاد، وبعد ان فشلت القوات الحكومية في السيطرة على هذه الظاهرة قررت الحكومة المؤقتة السيطرة على هذه الحالة وغيرها من خلال اعتمادها على رؤساء عشائر البختيارية، بوصفها رقيباً مفوضاً من قبل سردار اسعد على أمن واستقرار البلاد هناك ومحاسبة المخالفين[٥].

---

(١) مهدي شريف كاشاني، واقعات اتفاقية در روز كار، ص٨٦٦ –٨٦٧.
(٢) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٣٦.
(٣) ايرج افشار، اوراق تازه ياب مشروطيت،ص١٦٩.
(٤) D.Fraser, Persia and Turkey in Revolt, London, 1910, p, 147.
(٥) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٢٣٧.

وكان ذلك سببا رئيسيا في حصول عدد كبير من افراد البختيارية على المناصب الهامة في الدولة، اضافة الى اقرباء سبهدار اعظم، دون مراعاة الشروط التي تؤهل هؤلاء لاشغال تلك المناصب[١].

ومن الجدير ذكره ان بروز عشائر البختيارية على الساحة السياسية كان سبباً مهماً في نفور بعض العشائر الايرانية الاخرى من النظام الجديد، وبالتالي وقوفها في الخندق المقابل، فقد خشي صولت الدولة، زعيم عشيرة القشقائيين، والذي كان من مؤيدي الثورة منذ اندلاعها، من تزايد نفوذ البختياريين المنافسين لعشيرته، فأخذ يضمر العداء لهم ولزعيمهم سردار اسعد[٢]. وهذا ما دفعه الى المشاركة بشكل كبير في خلق المشاكل واشاعة الفوضى في ولاية فارس من خلال انصاره هناك[٣].

وعلى الرغم من ان الحكومة المؤقتة حاولت النزول الى الميدان بقوة، غير انها لم تستطع فرض سيطرتها بشكل كامل على الاوضاع الامنية في الكثير من الولايات الايرانية بل وحتى في طهران نفسها، فقد ظلت الكثير من الطرق الرئيسية تحت رحمة اللصوص وقاطعي الطرق، ولذلك حاولت الحكومة، وبالاتفاق مع علماء الدين، العمل على اجراء بعض الإصلاحات في دستور عمل المجلس الايراني والحكومة القادمة ، فقد اقترح أعضائها استخدام عدد من المستشارين العسكريين من دول اوربا لاعادة تدريب وتأهيل قوة بوليسية جديدة لحفظ الأمن، وعدد آخر من المستشارين الاجانب لتطوير الامور المالية ومعالجة خزينة الدولة وإصلاح النظام القضائي[٤].

الا ان تحركات الحكومة المؤقتة لم تغب عن انظار مفوضيتي روسيا وبريطانيا في طهران اللتين كانتا تراقبان تلك الاجراءات وما سيسفر عنها من ثوابت دائمة لنظام حكم الدولة[٥]. فرفضت روسيا وبريطانيا توجهات الحكومة المؤقتة بشأن استخدام مستشارين المان، كما ان الحكومة المؤقتة تحاشت التدخل في شؤون تشكيلات فرق القوزاق وادارتها كي لا تصطدم بالروس[٦].

---

(١) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد ششتم ، ص١١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٨٤.

(٣) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٣٨.

(٦) .D.Fraser, op,cit,p,148

ومن ذلك يبدو واضحا ان الحكومتين الروسية والبريطانية كانتا مصرتين على فرض هيمنتهما على النظام الايراني الجديد منذ بداية مراحله الاولى، كما انهما لم تخرجا من اطار المنافسة بينهما، فقد رفضت الحكومة الروسية اقتراح الحكومة المؤقتة بشأن استخدام معلم انكليزي للشاه الجديد وأصرت على ان يكون معلمه روسياً[١].

وعلى أية حال فإن الضغوط التي مورست من قبل روسيا وبريطانيا كان الهدف منها اضعاف الحكومة المؤقتة ، كما انها تعطي اشارة واضحة بأن اعادة الحياة الدستورية الى ايران ستواجه مرحلة صعبة من المواجهة مع اعدائها[٢]، فضلا عن ذلك حدوث بعض المشاكل والمنافسات داخل هيئة الادارة، أي (الحكومة المؤقتة)، لاسيما بين تقي زاده وسليمان اسكندري وبعض الاعضاء اليساريين من جهة، وسبهدار اعظم واتباعه في الحكومة المؤقتة من جهة اخرى، فقد اخذ اتباع الاخير يكتبون في الجرائد واصفين فيها تقي زاده بالاستبدادي[٣]. وفي ١٣ ايلول ١٩٠٩ اتبعت الحكومة المؤقتة نظاماً جديداً ازداد بموجبه عدد اعضاء الحكومة المؤقتة الى ٤٠ شخصاً ، وفي الوقت نفسه تشكلت جمعية جديدة في اطار الحكومة المؤقتة، كان لها دوراً استشارياً في الحكومة المؤقتة، وقد استفاد سبهدار اعظم من تلك الجمعية[٤]، في الوصول الى رئاسة الحكومة التي كان من المقرر ان يتم عرضها على المجلس في تشرين الاول ١٩٠٩[٥].

لم يشأ علماء الدين سواء المقيمين منهم في العراق أو في إيران أن تطول مدة الحكومة المؤقتة، وترك إيران دون مجلس وطني منتخب من قبل الشعب ولذلك فقد تم اختيار ٢٠ مجتهداً من علماء الدين المعروفين في البلاد بموجب ملحق القانون الاساسي لعام ١٩٠٧، ثم اختير من بينهم خمسة مجتهدين لمراقبة مدى تطابق القوانين الصادرة عن المجلس مع الشريعة الاسلامية،وقد اختير حاج مرزا زين العابدين قمي بالاجماع، اما الاربعة الاخرون وهم اغا سيد ابو الحسن اصفهاني ، الذي كان يقيم في النجف ، وحاج مير سيد علي حائري، واغا سيد حسن مدرس قمشه آي، وحاج امام جمعة خوئي، فقد تم

---

(١) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٣٩.
(٢) مهدي شريف كاشاني، واقعات اتفاقية در روزكار، ص٨٦٨.
(٣) المصدر نفسه،٨٧٠.
(٤) سميت بالجمعية الاستشارية، وكان معظم اعضائها من مؤيدي سبهدار اعظم. انظر جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٣٨.
(٥) يونس مرواريد، اثر مشروطه تا جمهوري، ص٢٤٨.

اختيارهم بطريقة القرعة[١]. وبذلك يكون المجلس الخماسي قد تم تشكيله من هؤلاء المجتهدين الخمس ، اما فيما يخص بقية هيكلية المجلس والحكومة الجديدة، فقد اخذ التنافس بين الاحزاب السياسية يشتد للحصول على الاكثرية في المجلس وبالتالي تشكيل الحكومة الدائمة التي سوف تأخذ على عاتقها تسيير امور البلاد. فقد شكل تقي زاده واتباعه من المفكرين الليبراليين الحزب الديمقراطي في طهران، وقد فتح له فروعاً في بعض الولايات الايرانية الاخرى، وكان اغلبية اعضائه من الشباب الراديكاليين واصحاب المعرفة وبعض مدرسي المدارس الثانوية، وقد اجرى بعض اعضائه اتصالات واسعة بالمناطق الايرانية الاخرى[٢].

اختلف قانون الانتخاب الجديد، الذي اعدته اللجنة المؤلفة من ستة عشر عضواً في تموز ١٩٠٩ وأقر في ٣٠ تموز ١٩٠٩، عما سبقه لعام ١٩٠٦، فقد اصبح التمثيل في المجلس يجري على اساس النسبة العددية للسكان، وبذلك نالت العاصمة طهران خمسة عشر نائباً وفقاً لعدد سكانها، بينما كان مجموع نوابها في المجلس الاول ٦٠ نائباً [٣]. كما عين القانون الجديد لكل قبيلة كبيرة، كالبختيارية والقشقائية وعشائر شاهسون والتركمان وعشائر خمسة فارس، نائباً لها يمثلها في المجلس الجديد[٤].كما اشترط القانون الجديد ان لايقل عمر المرشح عن ٢٠-٢٥ سنة ، كما اشترط على المقترع ان يكون ممن يقيم في منطقته اقامة دائمة قبل الانتخاب بستة اشهر على الاقل، وان لاتقل قيمة املاك الناخب عن الف تومان (٢٠٠ باون استرليني) الى ٢٥٠ تومان (٥٠ باون استرليني)أو ان يكون دخله السنوي لا يقل عن ٥٠ تومان(عشرة باون استرليني) او ان يدفع عشرة تومانات ضريبة سنوية[٥].

وقد جاءت هذه التغييرات في طريقة الانتخابات، والتي اجريت على درجتين بالاقتراع السري، لصالح حزب (اجتماعيون اعتداليون) [٦] او المحافظين، الذين شكلوا الاكثرية في

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢٤٩.

(٢) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطت ايران، جلد ششتم، ص١٣٢٦.

(٣) طلال مجذوب، المصدر السابق ، ص٢٧٢.

(٤) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٣٩.

(٥) E.Brown, the Persian Revolution, pp,335-337.

(٦) عرف هذا الحزب في الاوساط الايرانية بإسم ((اعتداليون)) اختصاراص. وكان يمثل حزب الاكثرية في المجلس النيابي الايراني في دورته الثانية ١٩٠٩ نتيجة ائتلافه مع بعض الاحزاب الصغيرة=

المجلس الثاني، اذ كانوا مؤلفين من الملاك ورجال الدين وبعض الاصناف وعدد من التجار[١].

غير ان الذي يمكن ملاحظته هنا ان عدد اعضاء المجلس الثاني قد بلغ ١٢٠ عضواً، بينما كان عددهم في المجلس الاول ١٦٢ عضواً، ويبدو ان هذا النقص كان نتيجة لتقليل عدد أعضاء العاصمة طهران.

وعلى أي حال فقد شكل رجال الدين في المجلس نسبة بلغت ٢٨% بينما شكل الملاك ٢٩% ، فيما شكل أصحاب الثروة ٢٤% وبذلك شكلت تلك الطبقات ٨١% من المجلس، مقابل ٧% من التجار ، ٤% من الأصناف و ٣% من الطبقات الدنيا[٢] أما ما تبقى من المقاعد فقد حصل عليها الحزب الديمقراطي الجديد (ديموكرات) [٣]. وبهذه النتيجة يكون الحزب الديمقراطي قد شكل اقلية في مجلس الشورى الوطني، ولكي تكون له قوة مؤثرة في المجلس شكل ائتلافا مع بعض الاحزاب الاخرى كحزب الدفاع وغيره من الاحزاب الاخرى[٤].وهي ايضاً احزاب شكلت اقليات في المجلس الايراني.

ومن الجدير ملاحظته في المرحلة الثانية من الثورة الدستورية ، انه على الرغم من ان الحزب الديمقراطي اعتبر من الاحزاب التي ترفض تدخل الدين في سياسة الدولة، غير ان عدداً من رجال الدين البارزين اصبحوا أعضاءً فيه[٥]. وقد كان وجود هؤلاء العلماء وغيرهم، قد اعطى قوة اضافية للحزب الديمقراطي مقابل المحافظين (فرقة اجتماعيون اعتداليون) [٦] ، غير ان الذي حصل ، ان التنافس بين هذين الحزبين، الديمقراطي وفرقة اجتماعيون عاميون، بدأ يأخذ شكلاً آخر وصل الى حد الخلاف العميق بينهما دون مراعاة لاي من الطرفين الظروف والمخاطر التي كانت تحيط بالبلاد ، لاسيما السلطات الاجنبية التي

الاخرى كحزب الاتفاق والترقي، والمستقلين، لمزيد من المعلومات ، يراجع، محمد وصفي ابو مغلي ، الاحزاب والتجمعات السياسية في ايران ١٩٠٥-١٩٨١، ص١٣.

(١) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٤٠.

(٢) زهراء شجيعي، نما يند كان مجلس شوراي ملي، ص٢٥٠.

(٣) عرف هذا الحزب بين الاوساط الايرانية بأسم ((حزب دموكرات)) اختصارا وقد شكل اقلية في المجلس النيابي الايراني في دورته الثانية لسنة ١٩٠٩، بسبب مبادئه التي لم تتلائم مع تقاليد المجتمع الايراني آنذاك، لمزيد من المعلومات يراجع، جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٤٠.

(٤) علي غروي نوري، حزب دموكرات ايران در دوره دوم مجلس شوراي ملي، انتشارات فردوسي، تهران، ١٩٧٣، ص٢١٥.

(٥) كان من بينهم الشيخ احمد قزويني، احد خطباء، النجف، شيخ ابراهيم زنجاني، شيخ محمد خياباني، عضو جمعية تبريز ومن علماء الدين البارزين، انظر، المصدر نفسه،ص٢١٦.

(٦) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٤٤.

كانت تسيطر تماماً على ايران، وأخطار الرجعية الذين أخذوا يثيرون القلاقل في مختلف المدن الايرانية[١].

كما ان حكومة سبهدار اعظم لم تضم في صفوفها وزيراً واحداً من الديمقراطيين بل كان أغلب وزرائها من المحافظين والمستقلين، حتى علاء الدولة، الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية، بسبب انضمامه الى الحزب الديمقراطي، أقيل من منصبه بعد فترة وجيزة من الزمن[٢]. الامر الذي دفع الديمقراطيين الى استغلال نقاط الضعف في حكومة سبهدار اعظم وعدم قدرتها تحقيق استقلال البلاد وحفظ الامن فيها وتأليب الشكوك حولها[٣].

وبما ان خزينة الدولة كانت تعاني عجزاً ماليا رهيبا ، لعدم قدرة الحكومة جمع الاموال والضرائب من الكثير من المناطق الايرانية التي استغلت ضعف الحكومة وكثرة مشاكلها، سعت الحكومة للحصول على قروض من روسيا وبريطانيا لمواجهة تلك المشاكل، غير ان القرض الذي حصلت عليه الحكومة في منتصف عام ١٩٠٩ والبالغ(١.٢٥٠.٠٠٠)باون استرليني لم يحل المشكلة، لأن معظم عوائد الدولة، والتي كانت تذهب الى الدول صاحبة القرض، كانت مساوية لديونها ،فبقيت خزينتها خاوية تعاني عجزا مستمرا[٤]. كما ان رجال الدين المتشددين في المجلس وخارجه، تؤيدهم في ذلك الاغلبية الساحقة من الجماهير، رفضوا الاصلاحات التي تضمنها برنامج الحزب الديمقراطي،خاصة فيما يتعلق بالفقرة التي نصت على الفصل بين الدين والسياسةوسيطرة الدولة على الاسس الدينية للاستخدام العام وتعليم مجاني للجميع، موضحين بأن الديمقراطيين هم اعداء الاسلام الالداء[٥]. ونتيجة لذلك تفجر الصراع بين الطرفين، واخذ الزعماء الديمقراطيون يخططون وبشكل جدي للتخلص من علماء الدين البارزين في المجلس، فكانت اولى محاولاتهم، ارسال بعض التحذيرات الى سيد محمد الطبأطبائي وبعض

---

(١) ابراهيم الدسوقي شتا، الثورة الايرانية الجذور- الايديولوجية، مؤسسة الوطن العربي ، بيروت،١٩٧٩،ص٥٢.

(٢) منصوره اتحاديه، بيدايش وتحول احزاب سياسي مشروطيت (دوره اول ودوم مجلس شوراي ملي)، انتشارات كستر ، تهران، ١٩٨٢، ص٢٤٧.

(٣) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٦٨.

(٤) D.Fraser, op,cit,pp, 166-167.

(٥) يرفاند ابراهيميان، المصدر السابق،ص١٢٠.

رجال الدين الاخرين في المجلس ، تضمنت الابتعاد عن السياسة والانشغال بالامور الدينية البحتة، وعدم السماح له بتفضيل القوانين الشرعية على القوانين المدنية[1].

وفي بداية عام ١٩١٠ سعى الديمقراطيون في المجلس الى تقليص صلاحيات السيد عبد الله البهبهاني وعدم السماح له بالكلام داخل المجلس اكثر مما يجب[2]. وبالمقابل اخذ العلماء نتيجة لذلك يتحينون الفرص للتخلص من زعيم الديمقراطيين تقي زاده وطرده من المجلس، وفي ربيع عام ١٩١٠ أثار تقي زاده مشكلة حول احد علماء الدين البارزين في خراسان المعروف بالشيخ باقر الروحاني، عندما اتهمه بقتل اثنين من الاعضاء الاسماعيليين في خراسان ، فأودع نتيجة ذلك بالسجن، مما اثار ذلك حفيظة علماء الدين المعتدلين، ومن بينهم عبد الله البهبهاني ومحمد الطبأطبائي، متهمين تقي زاده بالخروج على القوانين الاسلامية المقدسة، فأوجبوا اخراجه من المجلس ونفيه خارج البلاد[3].

ومن كل ذلك يبدو واضحا، ان السمة التي تميزت بها المرحلة الثانية من الثورة الدستورية، شدة الخلافات العميقة بين الاطراف التي اشتركت في صنع الانتصار، اذ كان كل طرف منهما يريد تحقيق اهدافه ومصالحه الخاصة، فليس من الغريب ان يشغل ١١٠ شخص كممثل في المجلس اغلبهم لم يكن من اجل كفاءته وانما لارتباطه، بعلاقات قرابة او صداقة مع سردار اسعد او سبهدار اعظم[4]، مما انعكس وبشكل واضح على الاوضاع الداخلية في ايران، لاسيما من جانب العشائر التي لم تكن ترغب بأن يكون لعشائر البختيارية دوراً في قيادة البلاد، خاصة عشائر شاهسون والقراه داغيون،فقد ذكر السر جورج باركلي، الوزير المفوض البريطاني في طهران،في تقريره المرسل الى الخارجية البريطانية يوم ٢٨ كانون الثاني ١٩١٠، كانت قبيلة شاهسون، المتواجدة في اردبيل ، بقيادة رحيم خان يعاونهم القره داغيون، قد احدثا فوضى واضطراب كبيرين في المناطق الشمالية لايران[5]. كما ذكر في تقرير اخر في ٢٩ من الشهر نفسه، ان اغلب حكام الولايات لا يستطيعون ممارسة مهامهم على الوجه الاكمل لعدم قدرة الحكومة في توفير الاموال

---

(١) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران،ص٣٧٥.

(٢) يحيى دولت ابادي، حياة يحيى، جلد سوم، ص١٢٨.

(٣) محمد مهدي شريف كاشاني، واقعات اتفاقية در روزكار، ص٥٣٥؛ ايرج افشار، اوراق تازه ياب مشروطيت،ص٢٣٠ ــ ٢٣١.

(٤) زهراء شجيعي، نما يند كان مجلس شوراى ملي، ص٢٥٠.

(٥) احمد بشيري،كتاب ابي كزارشهاي محرمانه وزاره امور خارجه انكليس در باره انقلاب مشروطه ايران، جلد سوم، انتشارات نو، تهران،١٣٦٣،ص٨١٠.

اللازمة لدفع رواتب الجند الذين بمعيتهم، مما ادى ذلك الى فرار العديد منهم، الامر الذي دفع عدد من حكام الولايات الى الاستقالة[١].

استغلت القوى الخارجية لاسيما روسيا وبريطانيا، حالة الفوضوالاضطراب الداخلي لتزيد من عدد جيوشها داخل الاراضي الايرانية، بحجة حماية رعاياهم المقيمين في ايران، فقد سيطرت الجيوش الروسية على مدينة اردبيل بعد ان عجز حاكمها التصدي لعصابات المتمردين الشاهسونيون وقطاع الطرق[٢].كما زادت بريطانيا من عدد جنودها في الجنوب استجابة لنداءات قنصلها في مدينة شيراز وتجارها الذين طالبوا بارسال قوات على وجه السرعة لحماية طرق القوافل الجنوبية[٣]. الامر الذي ادى الى غضب علماء الدين ودفعهم الى قيادة المظاهرات الواسعة في العاصمة طهران والمدن الكبرى في ايران، ندد خلالها المتظاهرون بالاحتلال الاجنبي للاراضي الايرانية[٤]. غير ان المحتلين لم يعيروا اية اهمية لذلك الرفض الجماهيري، بل على العكس من ذلك، فقد ازداد عدد الجنود الروس الموزعين على معظم المدن الشمالية الايرانية الى اكثر من ستة الاف جندي[٥].

وفي اذار عام ١٩١٠ دعا علماء الدين في مجلس الشورى الوطني ، الى حداد وطني تعبيرا عن رفضهم للوجود الاجنبي في الاراضي الايرانية، وعلى الرغم من المواقف الرافضة لعلماء الدين والشعب الايراني، فإن الحكومة الدستورية في مرحلتها الثانية كانت أعجز من ان تحقق هذا المطلب الوطني فتقوم بطرد القوات الاجنبية من البلاد[٦].

وقد اتضح ذلك جلياً في الاشهر اللاحقة، حيث اكتفت الحكومة الايرانية بتقديم الاحتجاجات للوزير المفوض الروس في طهران بهذا الخصوص، والتي لم تؤد الى اية نتيجة تذكر[٧]. والانكى من ذلك لجوء حكومة سبهدار اعظم الى طلب المساعدة المالية من الحكومتين الروسية والبريطانية لانقاذ الوضع الاقتصادي المتردي، وخزينة الدولة التي اعياها العجز وقد تم عرض ذلك الطلب وبموافقة رجال الدين في المجلس وعلى رأسهم عبد

---

(١) المصدر نفسه، ص٨١١.
(٢) المصدر نفسه،ص٨١٤.
(٣) ريتشارد كوتام، القومية في ايران، ص٢٥٣.
(٤) حسين نظام الدين زاده، هجوم روس واقدامات رؤساي دين براي حفظ ايران، جاب اول، تهران، ١٣٧٧،ص٥١.
(٥) E.Brown,the Persian Revolution,p,349.
(٦) اسعد محمد زيدان الجواري، المصدر السابق، ص٨٢.
(٧) E.Brown,The Persian Revolution, p, 348.

الله البهبهاني ،ومحمد الطبأطبائي، على ممثلي الدولتين في طهران، للحصول على قرض مالي قيمته (٥٠٠٠٠٠) باون استرليني[١].

استغلت مفوضيتي روسيا وبريطانيا حاجة ايران المالية الملحة، فقد التقى جورج باركلي، الوزير المفوض البريطاني في طهران، بنظيره الروسي بوكلوفسكي – كوزيل، وفي نهاية اللقاء حررا مذكرة سلمت الى حكومة سبهدار اعظم، تضمنت ستة شروط كان في مقدمتها حصر كافة الامتيازات في ايران بدولتي روسيا وبريطانيا، كما ان القرض الذي يمكن ان تمنحه هاتان الدولتان يجب ان لايزيد على (٤٠٠٠٠٠) باون استرليني وبفائدة سنوية مقدارها ٧% ، وان توافق ايران على استخدام سبعة مستشارين ماليين من فرنسا، وان تكون العوائد الكمركيةفي الشمال والجنوب ضمانا لهذا القرض، فضلاً عن حق الروس بالملاحة في بحيرة ارومية، ويجب على دولة ايران ان لا تستخدم مستشارين اجانب الا بموافقة روسيا وبريطانيا[٢].

صدمت تلك الشروط اعضاء مجلس الشورى الوطني، بحيث قال المجتهدين عبد الله البهبهاني ومحمد الطبأبائي بتعجب واستغراب، ان ذلك يعتبر تدخلاً صارخاً في الشؤون الداخلية لايران، ولو وافقنا على ذلك فان استقلال ايران يعني قد بيع بهذا القرض، ولو سمع عامة الناس بهذه الشروط لكان ذلك مدعاة لغضبهم واستيائهم، كما اعترض الديمقراطيون على ذلك واتهموا حكومة سبهدارباستغلال البلاد وتسليمها تحت الضغوط الاجنبية، وخاطبوا الحكومة بالاستغناء عن الكماليات وتوفير ما هو ضروري للبلاد[٣].

وفي اطار سياسة المناورة التي حاول رجال الدين ونواب المجلس الوطني اتخاذها بالاعتماد على طرف ثالث غير روسيا وبريطانيا، كلف الوزيران، في حكومة سبهدار اعظم، صنيع الدولة، وزير العلوم، ووثوق الدولة، وزير المالية،باجراء بعض الاتصالات باعضاء البنك الشرقي الالماني في ايران، من اجل عقد قرض مع المانيا، الا ان تدخلاً روسياً بريطانياً مباشراً حال دون تحقيق ذلك[٤].

---

(١) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٩.

(٣) منصورة اتحادية، بيدايش وتحول احزاب سياسي مشروطيت (دوره اول ودوم مجلس شوراي ملي)، انتشارات كنره، تهران،١٣٨٢،ص٢٥٢.

(٤) Robert A.Mcdoniel,the Shuster Mission and the Persian Constitutional Revolution, U.S.A. , 1974,p,108؛ جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٧٠.

وهكذا بقيت ايران تعاني وضعاً اقتصادي مأساوي، فهناك العديد من الاضطرابات الداخلية التي يحركها هذا الطرف أو ذاك، ستار خان وباقر خان اللذان كانا اكثر الوطنيين نضالاً ، اصبحا يمثلان ثقلاً كبيراً على الحكومة الجديدة، بسبب موقفهما المعارض للنظام الجديد بشكل عام، وقيادتهما لفصائل الفدائيين ضد الحكومة في طهران، فضلاً عن انعدام التعاون والانسجام بين الديمقراطيين من جهة واجتماعيون اعتداليون من جهة اخرى[١].

مما جعل الديمقراطيون يتخذون خطوة عمقت الخلاف بين الطرفين بشكل كبير وزادت اتساع الهوة بينهما، عندما اقدم اربعة من اتباع حيدر خان عمو اوغلي، العضو التنفيذي للحزب الديمقراطي، في ١٥ تموز ١٩١٠ الى قتل المجتهد عبد الله البهبهاني في منزله[٢]. وقد ادى ذلك الى غضب الجماهير الى الحد الذي اغلقت فيه الاسواق والمتاجر احتجاجاً على هذا الحادث الذي ادى بحياة ابرز عالم ديني في ايران ومن اهم مناضلي قادة الثورة الدستورية[٣].

ادى اغتيال السيد عبد الله البهبهاني ونفي تقي زاده وحيدر خان عمو اوغلي الى خارج البلاد اثر ذلك، الى حدوث سلسلة من عمليات الاغتيال من الجانبين، فقد اغتيل على يد المعتدلين اثنين من الاعضاء الديمقراطيين البارزين، احدهما محمد تربيت الذي كان له دوراً واضحاً في عمليات فتح طهران عام ١٩٠٩ والاخر هو السيد عبد الرزاق الذي كان من الاعضاء النشطين في الحزب الديمقراطي[٤].

إن قتل السيد عبد الله البهبهاني ، والاغتيالات التي طالت الاعضاء الاخرين سواءً في الحزب الديمقراطي او اجتماعيون اعتدا ليون، جعل الناس في حالة يأس ، واصبحت لديهم قناعة شبه تامة بأن عملية اعادة المجلس والدستور كانت بلا جدوى، وان الاحزاب التي كانت تدعي بهما ظهرت بخلاف تلك التصورات، اذ حلت عمليات القتل محل المناقشات

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٧٧.

(٢) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد ششتم، ص١٣٣٧.

(٣) محمد مهدي شريف كاشاني، واقعات اتفاقية در روز كار، ص٨٦٩.

(٤) احمد كسروي، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، جلد اول، انتشارات امير كبير، تهران،١٩٧٨، ص ١٣٢-١٣٣.

الديمقراطية بينهما، واصبح التفاهم يجري عن طريق القنابل اليدوية التي كانت تصنع في طهران[1].

لم تستطع حكومة سبهدار أعظم أن توفر المركزية الكاملة للدولة على الرغم من الجهود التي بذلت، فضلاً عن توتر الأجواء بين سبهدار اعظم ونواب المجلس من الديمقراطيين ، وقد شعر بذلك سردار اسعد،الذي كان يحتل مكانة مهمة في حزب اجتماعيون اعتداليون بحكم مشيخته لعشائر البختيارية،ولذلك فقد اعطي الاخير الضوء الاخضر من قبل رجال الدين في المجلس لمناقشة تردي الاوضاع الداخلية وعدم قدرة حكومة سبهدار ملأ الفراغ الذي تركته حكومة الشاه المخلوع، فكانت تلك المناقشات سبباً رئيسياً في سقوط حكومته في ١٢ تموز ١٩١٠[2].

ولتقليل حدة التناقضات بين الديمقراطيين والمحافظين من جهة ومحاولة نشر الامن والاستقرار في البلاد من جهة اخرى، ارتأى علماء الدين في المجلس ، يؤيدهم في ذلك زعيم البختيارية سردار اسعد، تشكيل حكومة ائتلافية من زعماء البختياريين والديمقراطيين المعروفين، لايجاد نوع من الموازنة في القوى داخل المجلس الوطني ، فاستدعى مستوفي الممالك لتشكيل الحكومة الجديدة في ٢٦ تموز ١٩١٠[3]. وكان ذلك بمباركة السيد محمد الطبأطبائي والسيد الاشتياني وعدد من زعماء السنة الذين وقفوا الى جانب الثورة الدستورية[4].

ضمت حكومة مستوفي الممالك في عضويتها من الديمقراطيين البارزين حسين علي نواب وزيراً للخارجية، وحكيم الملك وزيراً للمالية، ومن البختياريين قوام السلطنة وزيراً للحربية[5].

وقد كان مستوفي الممالك من الاشخاص المعروفين في الوسط السياسي الايراني، لذا كان مقبولاً حتى من قبل الديمقراطيين انفسهم[6].

---

(١) فريدون ادميت، فكر دموكراسي اجتماعي در نهضت مشروطه ايران، انتشارات بيام، تهران، ١٩٨٤، ص١٤٩.

(٢) يحيى دولت ابادي، حياة يحيى، جلد سوم، ص١٢٨.

(٣) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد ششتم، ص١٣٣٢.

(٤) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٩٤.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٨٥.

(٦) علي غروي نوري، حزب دموكرات ايران، ص١٧٤.

تضمن برنامج الحكومة الجديدة ، معالجة الازمة المالية التي كانت تعانيها خزينة البلاد ، وبناء جيش جديد، وقوات شرطة لضمان امن البلاد، كما اكدت حكومة مستوفي الممالك في برنامجها على ضرورة استخدام خبراء ماليين من الخارج لاصلاح مالية البلاد[١].

أما الموضوع الاول والذي حاولت الحكومة ان تبدأ به مشوارها فهو نزع اسلحة المجاهدين[٢]، وعدد كبير من افراد البختياريه الذين استقروا في طهران بعد سقوط محمد علي شاه، فكانوا يجوبون شوارعها حاملين اسلحتهم المرخصة وغير المرخصة، كما ينطبق هذا الأمر على اكثر من ٦٠٠ مسلح من اتباع سردار محي كيلاني، الذين كانوا على صلة بحزب اعتداليون[٣]. غير إن تلك القوى لم تشأ تسليم سلاحها بهذه السهولة لما كان لها من دور مهم في مقارعة الاستبداد وإعادة الحكم الدستوري، في الوقت الذي احتفظت فيه قوات القوزاق، الموالية لروسيا، بكامل أسلحتها ومعداتها[٤]. فكان موقف الفصائل المسلحة هذا قد اثار غضب الحكومة وجعلها أكثر تشدداً وتصميماً على نزع أسلحة هذه القوى، اصف الى ذلك الضغوط التي مارستها مفوضيتي روسيا وبريطانيا، والتي أخذت في كثير من الاحيان شكلاً تهديدياً على الحكومة الإيرانية بهدف تنفيذ هذا الأمر[٥].

وفي اب ١٩١٠ وجهت الحكومة الايرانية انذارا الى الفصائل المسلحة بتسليم اسلحتها الى الحكومة خلال (٤٨) ساعة، وبعكسه سيكون مصير من لم يسلم سلاحه الاعدام[٦].

وقد وجه باركلي، الوزير المفوض البريطاني، انتقاده الى الحكومة الايرانية لاصدارها هذا الانذار قائلاً "من وجهة نظري ان رأي الدولة في هذا الموضوع غير مقرون بالعقل والصواب، لأن المجاهدين سوف يعتقدون بأن الحكومة الايرانية ضعيفة ومترددة ، وفي الوقت نفسه فإن الإنذار سوف يمنح المجاهدين فرصة لإخفاء أسلحتهم"[٧]. وفعلا فان

---

(١) منصورة اتحادية، بيدايش وتحول احزاب سياسي مشروطيت، ص٢٧٠.

(٢) هم اتباع ستار خان وباقر خان الذين رافقوهما اثناء رحيلهما الى طهران بعد الاحتلال الروسي لتبريز عام ١٩٠٩، مع احتفاظهم بكامل اسلحتهم التي نقلوها معهم حيث مستقرهم الجديد في طهران.

(٣) جانيت افاري ، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٨٥.

(٤) فاضل الملا محمود، من تاريخ الحركة الثورية في ايران، معهد الانماء العربي، لبنان ١٩٧٩، ص٢٢.

(٥) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٨٧.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٨٨.

(٧) احمد بشيري ، كتاب ابي، جلد سوم، ص٩١٥.

الإنذار لم يزد تلك القوى الا صلابة واصراراً على مواجهة القوات الحكومية، لاسيما وان هذه الفصائل كان يقودها ستار خان وباقر خان العدوان اللدودان للحكومة الروسية، عند ذلك قررت الحكومة الايرانية اللجوء الى فرق القوزاق لمقاتلة الفصائل المسلحة، جاء ذلك بعد الاجتماع الذي ضم كلاً من كوزيل، الوزير المفوض الروسي في طهران، محسين قلي نواب، وزير الخارجية الايراني، غير ان الكولونيل الروسي وادبولسكي، القائد الجديد لفرق القوزاق، امتنع عن ذلك قائلاً "ان هذه العملية تحتاج من ٤٢٠ الى ٤٥٠ مقاتل، وتحتاج الى استعدادات وقوة كبيرة، وان تلك القوات التي تحت امرتي لاتكفي لمواجهة ستار خان وباقر خان وفصائلهما المسلحة، الا اذا ابدت الحكومة الايرانية مساعدتها لي" [١].

وفي ٧ آب ١٩١٠ ارسلت الحكومة قواتها التي حاصرت ستار خان في محل اقامته في بستان (بارك اتايك)، القريب من المفوضية البريطانية في طهران، مع عدد من مؤيديه، وشرعت بتوجيه الضربات اليهم، ساعدها في ذلك يبرم خان، مدير شرطة طهران، اضافة الى اعداد كبيرة من البختياريين المساندين لسردار اسعد بقيادة ابن سردار بهادر، وقد ادت الاشتباكات بين الطرفين الى مقتل ثلاثين شخصاً من اتباع ستار خان، اضافة الى جرح ستار خان نفسه[٢]. كما تم القاء القبض على ٣٠٠ من اتباعه[٣].

لقد كان لهذه العملية اثرها الكبير في اتساع الهوة بين الشعب، بل وحتى بعض علماء الدين ، والحكومة بصورة عامة، فقد ارسلت الكثير من البرقيات والتلغرافات الى مجلس الشورى، من مدن تبريز ورشت وحتى من قفقاسيا، ادانت فيها ذلك العمل الذي اقدمت عليه الحكومة الايرانية[٤]. كما ذكر مرسلي هذه البرقيات، اصحاب المناصب العليا في الدولة ورجال الدين في المجلس، التضحيات الكبيرة التي قدمها ستار خان واتباعه المجاهدين اثناء الحصار الذي فرضته قوات الشاه المخلوع على مدينة تبريز والذي دام اكثر من تسعة اشهر[٥]. كما اغلقت الاسواق والدكاكين تعاطفاً مع المجاهدين بالرغم من تهديد الدولة لهم،

---

(١) مهدي مجتهدي ، رجال اذربيجان در عصر مشروطيت، جاب اول، انتشارات زرين، تهران، بلا، ص٧٨؛ احمد بشيري،كتاب آبي ، جلد سوم، ص٩١٤.

(٢) احمد كسروي، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، ص١٣٦-١٣٩.

(٣) احمد بشيري، كتاب آبي، جلد سوم، ص٩١٦.

(٤) احمد كسروي، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، ص١٤٤.

(٥) اسماعيل امير خيزي، قيام اذربيجان وستار خان، ص٥٧٤.

واعتصم عدد من علماء الدين في مرقد شاه عبد العظيم، كما اعتصم سردار محي معز السلطان مع ٢٥ شخص من المجاهدين في السفارة العثمانية بطهران[١].

وعلى الرغم من الصيحات التي تعالت بين الجماهير الإيرانية وانتقلت إلى المجلس الإيراني غير أنها لم تجد لها من مجيب، فإن المؤسسة الدينية التي كان لها دورها الواضح في مسار الثورة الدستورية حتى سقوط محمد علي مرزا، قد دب اليها الضعف بعد اغتيال المجتهد عبد الله البهبهاني وأصبحت غير قادرة على فرض التوافق والانسجام بين ما هو ديمقراطي وما هو إقطاعي، وكأن واجبها قد انتهى بخلع محمد علي مرزا، ونستطيع ان نلمس ذلك بشكل واضح من خلال إلقاء نظرة سريعة على واقع المجلس الخماسي الذي كان من المفروض ان يتألف من خمسة مجتهدين[٢]، فقبل ان يبدأ هذا المجلس اعماله قدم سيد علي حائري استقالته دون ذكر الاسباب، وانتخب بدلا عنه شيخ محمد باقر همداني، الذي قدم استقالته هو الاخر ايضاً ، بعد ان قدم شكره للناخبين ، وبعد فترة وجيزة توفي مرزا زين العابدين في قم، وهكذا لم يبق للمجلس الخماسي سوى اثنين من الاعضاء هما، سيد حسن مدس قمشه أي، وإمام جمعه خوئي[٣]. وهكذا تحول المجلس الخماسي الى مجلس ثنائي ، اذ استمر على وضعه هذا حتى نهاية الثورة الدستورية،فضلاً عن ان دوره السياسي لم يكن واضحاً كما كان سابقاً ، بل على العكس من ذلك لم يستطع الوقوف بوجه الداعين لالغائه، الا فقط كان سيد حسن مدرس قمشه أي نشطاً وذو عزم ثابت وكان يطالب باكمال نصاب المجلس عن طريق انتخاب مجتهدين جدد[٤].الا ان المناقشات حول هذا الموضوع قد طالت واصبحت عديمة الفائدة، فغالبية اعضاء المجلس الايراني واصحاب المناصب في الدولة لم تكن لديهم الرغبة في ازدياد نفوذ علماء الدين وفرض قوانين الشريعة الاسلامية على المجلس الوطني والدولة [٥].وعلى هذا الاساس ظهرت مجموعتين من الاعضاء في المجلس الايراني كانتا ترفضان تطبيق البند الخاص بتأليف المجلس الخماسي.

---

(١) احمد بشيري، كتاب آبي، جلد سوم، ص٩١٧.

(٢) التفاصيل في ص٦ من هذا المبحث.

(٣) محمد مهدي شريف كاشاني، واقعات اتفاقية در روزكار، جلد سوم،ص٥٩٨.

(٤) محسن بهشتي سرشت ، نقش علماء در سياست از مشروطه تا انقراض قاجار، انتشارات مكاونت، تهران، ١٣٨٠، ص٢٣٧.

(٥) محمد مهدي شريف كاشاني، واقعات اتفاقية در روزكار، جلد سوم، ص٥٩٩.

تألفت المجموعة الاولى من الاشراف (الديمقراطيون محبي الحرية) ولهم وجهة نظر قومية وكانوا يميلون بشدة الى القوانين الغربية وتطبيقها في ايران، كما انهم كانوا يعتبرون وجود المجلس الخماسي معرقل لمسيرة الديمقراطية، ومن ابرز هؤلاء الاعضاء ذكاء الملك ومستشار الدولة وشاه زاده محمد هاشم مرزا[١].

اما المجموعة الثانية فهم رجال الدين والمفكرين ،الذين رسخت في اذهانهم بعضاً من افكار الحرية الغربية ، ومن ابرزهم شيخ ابراهيم زنجاني، وسيد حسن اردبيلي، اللذان كانا يضعان الكثير من العراقيل امام تطبيق البند سالف الذكر ، وكانا سبباً في توتر العلاقات بين اعضاء المجلس، كما فسحا المجال واسعاً أمام المطبوعات للتهجم على رجال المؤسسة الدينية، فقد كتب سيد حسن ، مدير جريدة حبل المتين، مقالا اعتبر فيه عمل هذه القوانين تطرفاً من قبل رجال الدين، كما وصف علماء الدين بأنهم مجموعة من الافراد المنتفعين[٢].

ومن هنا يبدو واضحا ان موقف المؤسسة الدينية قد ضعف بشكل كبير في المرحلة الثانية من الثورة الدستورية، بل انه كان مشجعاً لظهور عدد من رجال الدين المخالفين للدستورية والمطالبين في الوقت ذاته بعودة الشاه المخلوع الى الحكم، ومن ابرزهؤلاء سيد محمد طالب الحق، احد علماء خراسان البارزين[٣].

كل ذلك شكل انعطافة كبيرة وخطيرة في الحياة السياسية الداخلية والخارجية لايران، فقد بقيت اغلب مدن ايران مستقلة بشكل كامل عن الحكومة المركزية، كمدينة خراسان وبروجرد، واردبيل وغيرها من المدن الاخرى، كما ظهر عجز الحكومة الايرانية في علاقاتها الخارجية، وتجسد بصورة خاصة في عدم استطاعتها وضع حد لتدخلات روسيا وبريطانيا في شؤونها الداخلية بسبب وبدون سبب[٤]. كما ان الدسائس والفتن ، التي كان للدولتين دوراً في صنعها، تركت اثارا كبيرة في قطاع واسع من الايرانيين، مسؤولين وغير مسؤولين في المدن اوالارياف، فانقسمت ايران على اثر ذلك الى فرق وجماعات متناحرة بشكل لم تشهده ايران من قبل ، بلغ حداً يكون فيه الاب في بعض العشائر في خندق والابن

---

(١) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سباست، ص٢٣٨.

(٢) احمد تفرشي حسيني، روزنامه اخبار مشروطيت وانقلاب ايران، انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٥١،ص٢٤٢.

(٣) محمد حسن اديب هروي، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران، ص٣٣١.

(٤) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست، ص٢٣٩.

في خندق معادٍ[1]. ومع ذلك لم يكن للمؤسسة الدينية دوراً واضحاً في كل ذلك ، بل لم تستطع مواجهة الجبهة الديمقراطية التي ازدادت تطرفاً في الدعوة الى تنحية وابعاد رجال الدين عن السياسة وتهميش دورهم في امور البلاد ، فقد قام الزعماء الديمقراطيين بإلقاء الخطب الحماسية والشعارات المتشددة وتحريض الشباب والمثقفين ضد التطرف في الاسلام وعلماء الدين المتشددين[2].

وعلى الصعيد نفسه استغل الروس هذه الفرصة لتنفيذ اهدافهم عن طريق عملائهم في فرقة اجتماعيون اعتداليون، كما فعل البريطانيون الشيء نفسه عن طريق الديمقراطيين، فنشط المستعمرون في زيادة شقة الخلاف بين هذه الاطراف بهدف احكام قبضتهم على مقدرات البلاد[3].

ونستطيع ان نلمس ذلك بشكل واضح من خلال الرسالة الجوابية التي بعث بها الشيخ محمد خياباني الى السيد حسن تقي زاده في منفاه باوربا، حيث كتب قائلاً "انني الان اتبع منهجا خاصاً لتحقيق اهدافي، وهو يختلف عن نهج زملائي، فقد تركت السلاح واعتمدت طريق النضال والمواجهة من خلال الشرح والبيان، اذ يجب ان لاننظر الى قواعد الحكمة والمنطق بنظرة قصيرة المدى، الا انه للاسف الشديد لم يراع البعض مثل هذه الامور فأعطوا بذلك ذريعة لتدخل المغرضين والاعداء في شؤون البلاد" [4] وفي ذلك اشارة واضحة لما تمر به البلاد من فوضى سياسية وخلافات عميقة بين رجال الدين، اضعفت وبشكل كبير دورهم القيادي لامور البلاد، وفسحت المجال واسعاً لتدخلات الاجانب وتلاعب المسؤولين في الدولة بقوت الشعب، ويتضح هذا الامر ايضاً وبشكل جلي من خلال البرقية التي بعث بها علماء الدين في النجف، نبهوا فيها وبشدة المسؤولين الجدد في ايران من مغبة الاستمرار في المفاسد وسرقة اموال الشعب ومخالفة قوانين الشرع[5].

وفي خضم هذه الأحداث توفي عضد الملك، نائب السلطنة، في ٢٢ كانون الاول ١٩١٠، فتجدد الصراع والتنافس بين رجال الدين والمعتدلين من جهة وبين الديمقراطيين

---

(١) ((The new Encyclopaedia, Britanniea)),Vol,21, U.S.A. , 1985, p, 896.

(٢) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست، ص٢٤٠.

(٣) محمد علي اكبري، ظهور موقعيت بحراني در حكومت مشروطه (١٢٨٨ –١٢٩٩ش)، مجلة تخصصي كروه تاريخ، دانشكاه تهران، دانشكده ادبيات وعلوم انساني، شماره يكم، سال دوم، ١٣٨٠ هـ.ق، ص٨٩.

(٤) ايرج افشار، اوراق تازه ياب مشروطيت ، ص٣٣٩.

(٥) انظر نص البرقية في ، محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست، ص٢٣٤.

من جهة اخرى، واصبح الخلاف على اشده فيمن يخلفه كوصي على العرش الايراني، فقد بذل الديمقراطيون جهوداً مضنية من اجل وصول مرشحهم مستوفي الممالك الى منصب الوصاية، وبالمقابل فعل الاعتداليون الشيء نفسه بالنسبة لمرشحهم "ناصر الملك"[١]، المقيم في اوربا، والذي وصف نفسه بالمحافظ الواقعي[٢].

وبعد مناقشات طويلة بين نواب المجلس الايراني حلت المسألة عن طريق الانتخاب حيث حصل مرشح الديمقراطيين على ٢٩ صوت، فيما حصل مرشح الاعتداليون "ناصر الملك" على ٤٠ صوت[٣]. وبذلك ازدادت قوة ومكانة الاعتداليون في المجلس. فبعد وصوله الى ايران ومباشرته مهام عمله في اوائل شباط ١٩١١، شكل وبصورة مباشرة هيئة ائتلافية داخل المجلس سميت "بالهيئة الائتلافية"، كان الهدف منها مساعدته في ادارة شؤون البلاد، وقد اعتمد في عضويتها على سبهدار اعظم، وسردار اسعد، وعين الدولة، وسيد محمد الطباطبائي[٤] .وفي الوقت نفسه ضعف موقف الديمقراطيين بشكل كبير جداً، ونتيجة لحدوث المعارك الدامية التي رافقت نزع سلاح المجاهدين وما ترتب عليها من ردود فعل واضحة بين اوساط المجتمع الايراني تجاه حكومة مستوفي الممالك، والتدخلات الروسية الصريحة في شؤون البلاد[٥]، قدمت حكومته استقالتها في ٢٠ شباط ١٩١١ ،فتشكلت حكومة جديدة برئاسة سبهدار اعظم في ٢٣ شباط ١٩١١،وتعهدت الحكومة الجديدة في برنامجها الذي قدمته للمجلس الايراني في ٨ آذار ١٩١١، بالقضاء على الفتن والمحافظة على الوضع الامني ومعالجة الفقر المالي ومواجهة عدم الاستقرار السياسي في البلاد[٦].

---

(١) هو ابو القاسم خان ناصر الملك واحد المفكرين الايرانيين ، حصل على تعليمه الجامعي من جامعة اكسفورد البريطانية، وقد ارتبط في اثناء ذلك بعلاقات صداقة مع ادوارد كراي . شغل منصب رئيس الوزراء للفترة من اواخر تشرين الاول ١٩٠٧ الى بداية كانون الثاني ١٩٠٨ حيث سافر بعدها الى اوربا ولم يعد الى ايران الا بعد ترشيحه لاشغال منصب ((الوصي على العرش الايراني)) لمزيد من المعلومات، يراجع، بيتر اوري، تاريخ معاصر ايران، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٢) يرفاندا ابراهيميان، المصدر السابق، ص١٢٠.

(٣) منصوره اتحادية، بيدايش وتحول احزاب سياسي مشروطيت، ص٢٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٨٧.

(٥) تم اغتيال صنيع الدولة، وزير المالية في حكومة مستوفي الممالك في ٦ شباط ١٩١١، من قبل شخصين جورجيين ، بتدبير من روسيا التي رتبت هروبهما الفوري الى قفقاسيا. مزيد من المعلومات ، انظر، احمد كسروي، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، ص١٥٢ –١٥٣.

(٦) علي اصغر شميم، ايران در دوره سلطنه قاجار قرن سيزدهم ونيمة اول جهاردهم هجري، جاب دوم، انتشارات زريابا، تهران، ١٣٧٩،ص٥٧١.

ان تشكيل الحكومة الجديدة بقيادة سبهدار اعظم، كان يعني تجدد العداء بين الديمقراطيين وسبهدار اعظم، بما عرف عن الاخير من العداء الذي كان يضمره للديمقراطيين ، لذلك فإن تشكيل الحكومة الجديدة لاقى ترحيباً بين اوساط المسؤولين الروس، كما ان الدولتين روسيا وبريطانيا لم تبديا اية مخاوف تجاه حكومة سبهدار اعظم[١].

ان اول عمل قامت به الحكومة الجديدة هو ابعاد مجموعة من الاعضاء الديمقراطيين البارزين، في مقدمتهم يار محمد خان، بتهمة مخالفتهم للنظام السياسي، وتحديد حرية المطبوعات لا سيما جريدة (ايران نو)، مما اثار ذلك غضب الديمقراطيين امثال وحيد الملك وسليمان اسكندري، اللذان اعلنا عن طريق تلك الجريدة، ان عمل الحكومة بهذه الصورة يعني وبشكل صريح تعطيل المجلس، فكان رد الحكومة ان طردت رسول زاده، رئيس تحرير الجريدة المذكورة، خارج البلاد[٢]. كما تم اعفاء مخبر السلطنة، الذي كان يشغل منصب حاكم اذربيجان، وصاحب تأثير قوي في خراسان، من منصبه[٣].

ومن جانب اخر فرض نائب السلطنة سيطرته الكاملة على المجلس بفضل الحكومة الروسية ، التي اخذت تمارس ضغطاً كبيراً على رجال الدين في المجلس بالترغيب تارة وبالترهيب تارة اخرى للقبول بالامر الواقع، لاسيما بعد اغتيال السيد عبد الله البهبهاني[٤].المجتهد النشط في المجلس والذي يشير ادوارد براون (Edward Brown) الى ان عملية اغتياله تمت بتحريض من قبل الروس[٥].

وعلى أي حال فإن الحكومة الجديدة لم تكن بأفضل من سابقتها على الرغم من الدعم الظاهري لها من قبل الروس، مما يشير ذلك الى ضعف المسؤولين الايرانيين ، وتفضيل مصالحهم الخاصة على مصلحة البلاد[٦]. كما يدل ايضا على انهم لم يبلغوا درجة من العلم الحديث ما يمكنهم من احداث نقلة حضارية في البلاد الايرانية[٧]. فضلا عن التدخلات

---

(١) عبد الحسين علوي، رجال عصر مشروطيت، ص٩٢ – ٩٣.
(٢) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤٠٠.
(٣) منصورة اتحادية، بيدايش وتحول احزاب سياسي مشروطيت، ص٣٠٣.
(٤) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٣٩٨.
(٥) . E.Brown, The Persian Revolution, p,522
(٦) علي اصغر شميم، ايران در دوره سلطنه قاجار، ص٥٥٩.
(٧) ان الاعتداليون بطبيعتهم محافظين، فهم في الغالب يتألفون من الاشراف والنبلاء والاثرياء وعدد كبير من رجال الدين، وكانوا دائما يصرحون بوجوب ((الصبر حتى لا نندم على ما نفعل)) ولهذا=

الاجنبية التي كان لها دوراً واضحاً في خلق الفوضى وعدم الاستقرار السياسي لحل المشكلات الداخلية على الاقل، فإن الاتفاق الانكليزي الروسي على حساب الايرانيين قد اوقف أي تطور في هذا الاتجاه(١).

كما ان الاحتلال الروسي البريطاني لشمال وجنوب البلاد قد منح العناصر الرجعية فرصة للتحرك وخلق المشاكل بوجه الحكومات الايرانية المتعاقبة خلال المرحلة الثانية من عمر الثورة الدستورية، اضافة الى ان بعض رجال الدين الذين لم يجدوا لهم مكانا في السلطة السياسية ابتعدوا عن التعاون مع قادة الثورة، بل انقلب العديد منهم ضد الثورة(٢). مما أدى ذلك الى احداث خلل في النظام وانتشار الفتنة وعدم استقرار امور البلاد(٣). كما ان تظاهر الدولتين (روسيا وبريطانيا) بتأييد هذا الطرف او ذاك، من باب لعبة توازن القوى بين الدولتين المتفقتين على استغلال البلاد، لم يكن الهدف منه سوى اضعاف القوى الوطنيةوابعادها عن هدفها الاساس، فلا يمكن بأي حال من الاحوال ان يتفق الاستعمار مع الحكم البرلماني، فهما على طرفي نقيض(٤). إلا ان المسؤولين الايرانيين لم يعوا ذلك او انهم تجاهلوه حسب ما تقتضيه مصالحهم الخاصة، ولذلك فإن الانتصار الذي تحقق على يد علماء الدين والعناصر الوطنية في المرحلة الثانية من الثورة الدستورية، لم يحدث تغييرا ملموسا على المستوى الاقتصادي بل وحتى الاجتماعي لحياة الناس(٥).

فقد أبقت الحكومة على الكثير من الضرائب المفروضة على سابق عهدها، وضاعفت بعضها الآخر مرات عديدة كضريبة الملح المنتج محلياً والتي بلغت حوالي ست مرات اكثر

كانوا واقعين بين امرين ، مصالحهم من جهة ورغبتهم في تطوير بلادهم من جهة اخرى، مما اوقعهم ذلك في الجمود، لأن التوفيق بين المصالح الذاتية ومصلحة البلاد أمر صعب التحقيق، اما الديمقراطيون فبالرغم من ثقافتهم العالية وافكارهم التقدمية، الا ان ضعف موقفهم في المجلس الايراني حال دون تطبيق اصلاحاتهم التقدمية. لمزيد من المعلومات يراجع E.Brown, The Persian Revolution,pp.385-400 .

(١) ف.و.فرنو، يقظة العالم الاسلامي، ترجمة بهيج شعبان ،ج٢، مطابع الوفاء، بيروت، بلا، ص١٦.

(٢) نكي.ر.كدي وأرك هوكلند، الثورة الايرانية والجمهورية الاسلامية، ترجمة علي حسين فياض ،ج٣،مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، سلسلة ايران والخليج العربي (٢٢)، شعبة الدراسات الفارسية، ١٩٨٤، ص١٦٧.

(٣) محمد علي همايوني كاتوزيان، تضاد دولت وملت – نظرية تاريخ وسياست در ايران، ترجمة علي رضا طيب، جاب اول، انتشارات ني، تهران، ١٣٨٠، ص١٧١.

(٤) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٣١٠.

(٥) علي اصغر شميم، ايران در دورة سلطنة قاجار،ص٥٥٩.

مما كان مفروضاً على الملح المستورد[1]. فكان رد الناس على ذلك ان امتنع اغلبهم عن شراء هذه المادة، والأهم من ذلك وقوفهم في الخندق المقابل للدستوريين ، مما يعني ذلك حرمان الثورة من انشط قواها وأكثرهم ثباتا [2].

وعلى الرغم من الخلافات الكبيرة التي نشبت بين زعماء الحركة الثورية منذ بداية تسلمهم زمام الامور في البلاد وابتعاد معظم ملاكي الأراضي عن الثورة وعدم مدها بالاموال ، لعدم حصولهم على مراكز حساسة في السلطة، وتشتت كلمة رجال الدين انسجاماً مع هذه الظروف، الا ان تفاقم الازمة الاقتصادية بصورة خطيرة وعجز السلطات الايرانية عن حلها، دفع رجال الدين والاحرار في المجلس الى اتخاذ قرار يقضي باستخدام خبرة اجنبية لتنظيم شؤون البلاد المالية[3]. غير انهم قرروا الابتعاد في تلك الاستشارة الخارجية عن الدولتين الروسية والبريطانية، لأن ذكريات مسيو ناوس البلجيكي المريرة كانت لا تزال عالقة في أذهان الايرانيين[4].

وعلى الرغم من انها كانت خطوة جريئة من لدن رجال الدين والمجلس لتصحيح مسار الثورة، الا انها كانت بداية النهاية للثورة الدستورية وطموحات رجالها الاحرار.

---

(1) كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث و المعاصر ، ص٢٤٣.

(2) فاضل الملا محمود، المصدر السابق، ص٢٣.

(3) عبد المناف شكر جاسم النداوي، العلاقات الايرانية – السوفيتية ١٩١٧ – ١٩٤١، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، ايلول، ١٩٩٠، ص٤٩.

(4) محسن بهشتي سرشت،نقش علما در سياست، ص٢٤٦.

المبحث الثاني:

قضية شوستر وموقف المؤسسة الدينية

بعد عدد من الجلسات والمشاورات التي عقدها البعض من رجال الدين في المجلس ،من بينهم المجتهد سيد حسن مدرس قمشة أي، وحاج امام جمعة خوئي وغيرهم، مع عدد من رجالات الدولة حول موضوع المشورة الخارجية، استقر رأيهم على الاستعانة بالولايات المتحدة الامريكية، بسبب البعد الجغرافي بينها وبين ايران، كما ان امريكا ، حسب اعتقادهم، لاتستطيع التغلغل من خلال علاقات ومنافع خاصة في ايران، فضلا عن ان الولايات المتحدة الامريكية لم تكن لديها مخططات سياسية في ايران[١].

وبناءً على ذلك اصدرت الحكومة الايرانية الى علي قلي خان نبيل الملك، القائم بالاعمال الايرانية في واشنطن، أمراً بالتفاوض مع الحكومة الامريكية بشأن ترشيح أحد خبرائها الماليين المعروفين للاستعانة به في تنظيم مالية البلاد، والاشراف على جميع صرفيات ايران المالية لمدة ثلاث سنوات[٢].

وفي بداية ايار ١٩١١، تم انتخاب الخبير المالي مورغان شوستر (William Morgan Shuster) الذي وصل الى ميناء انزلي برفقة عائلته ومساعديه، وفي ١١ أيار ١٩١١ بدأ مهام عمله في ايران[٣]. بعد ان عين مديراً عاماً لخزانة الدولة[٤].

وبسبب المشاكل المعقدة التي كانت تعيشها ايران والتي ربما ستقف عقبة دون تنفيذ مشاريعه الاصلاحية ، اشترط شوستر على المسؤولين الايرانيين ان يمنحوه صلاحيات واسعة، وعد الوقوف بوجه الخطوات التي يقدم عليها، وفي حالة شعوره بأن هناك عقبات

---

(١) مورغان شوشر، اختناق ايران، ترجمة ابو الحسن موسوي شوشتري، مؤسسة مطبوعات صفي علي شاه، تهران، بلا، ص١٧.

(٢) للتفاصيل عن الموضوع، يراجع، محمد علي سفري، مشروطه سازمان، جاب أول، انتشارات علم، تهران، ١٣٧٠، ص٤٣٦.

(٣) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست، ص٢٤٧.

(٤) R.W.Cotam,op,cit,p,137.

تلقى في طريقه فإنه لن يتوانى عن ان ينفض يده من المسألة كلها[١]. ونتيجة للرغبة الاكيدة التي لمسها رجال الدين وأعضاء مجلس الشورى الايراني، لدى شوستر في حل المشاكل المعقدة لمالية البلاد، فقد وافق مجلس الشورى الايراني بالاغلبية على منحه صلاحيات واسعة في البلاد[٢].وفي الوقت نفسه تم تعيين الخبير الانكليزي أدولف بيرني (Adolph Perni) مستشارا في وزارة العدلية، وأعطي تفويض بتشكيل هيئة جديدة لتنظيم هذه الوزارة [٣].ولمواجهة الانفلات الامني والسيطرة على واردات ونفقات الدولة، طلب شوستر من مجلس الشورى الوطني وضع قانون يستطيع من خلاله القيام بمهامه على اكمل وجه، وقد تم ذلك فعلا، فقد وضعت الدولة مشروع قانون سلمته الى المجلس لمناقشته والتصويت عليه، وفي جلسة ١٢ حزيران ١٩١١ تم التصويت عليه وأقر في ١٥ حزيران، ويعتبر هذا القانون هو أول خطوة اتخذت من اجل قيام وزارة مالية على الاساس القانوني في البلاد[٤].

لقد اعطى هذا القانون لشوستر ومساعديه الفرصة بأن يحدثوا نظاما جديدا في وزارة المالية الايرانية، فمن خلال هذا القانون استطاع شوستر ان يفرض سيطرته الكاملة على الامور المالية، فكان له الحق في الاشراف على جميع عوائد الدولة وضبطها، فما كان بوسع احد ان ينفق منها دون تفويض مباشر منه[٥]. كما منحه قانون حزيران صلاحية الاشراف على القروض والامتيازات الخارجية، فقد رفض شوستر، بعد ايام قليلة من استلامه مهام عمله، الطلب الذي تقدم به سبهدار اعظم، رئيس الوزراء، بشأن اقتراض مبلغ (١,٢٠٠,٠٠٠) باون استرليني من البنك الشاهنشاهي [٦]. وذلك عن طريق (مسيو مرنارد) [٧]، كما كان له الحق والصلاحية الكاملة في انتخاب الموظفين العاملين في دوائر

(١) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٣١٩.
(٢) مورغان شوستر، اختناق ايران، ص١٦.
(٣) بيتر اوري، تاريخ معاصر ايران، ص٢٨٥.
(٤) مورغان شوستر، اختناق ايران، ص١٦.
(٥) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤١٠.
(٦) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست، ص٢٤٧.
(٧) هو بلجيكي الجنسية، وكان معاون مسيو ناوس، وبعد طرد الاخير حل محله كمسؤول للكمارك الايرانية يعاونه في ذلك ٣٠ شخصا، المصدر نفسه، ص٤٤٧.

وزارة المالية الايرانية، ومنحهم رواتب مجزية بهدف كبح ميلهم الطبيعي الى الرشوة والفساد[١].

وبما ان الفوضى والاضطرابات الداخلية شجعت الكثير من المناطق الايرانية الامتناع عن أداء الضرائب المفروضة عليها، لذلك فقد تطلب عمل شوستر تكوين لواء مدرب ومسلح من الشرطة وعدد من الضباط الايرانيين والامريكيين، بلغ عددهم مايقارب ١٥٠٠ شخصا، وقد سميت هذه التشكيلات بشرطة الخزينة (زاندارمري خزانه)[٢].

وكان من المخطط له ان يصل تعداد هذه القوة الى ١٥٠٠٠ شخصاً تتخذ لها مراكز في مدن تبريز ورشت وشيراز، ومن الملفت للنظر، ان أغلب أفراد هذه التشكيلات كانوا من الشباب الوطنيين الذين اثخنت جراحهم سكاكين الانكليز والروس[٣].وكان الهدف من تشكيل هذه القوة ، المساعدة في جباية الضرائب بالحق والقانون وبالقوة اذا لزم الامر ، وقد اسندت قيادة هذه القوة الى ستوكس (S.B.Stokes)[٤]، الملحق العسكري السابق في السفارة البريطانية بطهران[٥] .

يلاحظ مما سبق إن أعضاء مجلس الشورى الوطني وفي مقدمتهم علماء الدين الايرانيين بما فيهم علماء الدين في النجف، لم يبدوا أي اعتراض أو تردد في الاستجابة لمقترحات الخبير الامريكي، وربما يحمل ذلك أكثر من مغزى ، فبغض النظر عن الاصلاحات المالية، الهدف الاساس والمعلن ، فقد كانت إيران ومنذ زمن بعيد تبحث عن ند مقتدر للروس والبريطانيين وذلك للخروج من عنق الزجاجة، وبما إن الأهداف الاستعمارية واحدة، فقد تكاتف الروس والانكليز في مواجهة شوستر وأهدافه الرامية إلى تحطيم الوفاق الودي بينهما من خلال اسناده قيادة شرطة الخزينة للضابط البريطاني ستوكس، المعروف بكرهه للروس[٦]. فليس من الغريب اذاً ان يبدي البريطانيون والروس مخاوفهم منذ البداية بخصوص دعوة شوستر وزملائه الى ايران، فقد بعث جيمس برايس، السفير البريطاني في واشنطن، بمذكرة عاجلة الى ادوارد كراي، وزير الخارجية البريطاني، نبهه فيها بخصوص

---

(١) ز.ي.هرشلاغ، المصدر السابق، ص٢٠٥.
(٢) بيتر أوري، تاريخ معاصر ايران، ص٢٩٥.
(٣) مورغان شوستر، اختناق ايران، ص١٩.
(٤) كان ستوكس برتبة رائد، وكان يجيد اللغة الفارسية وخبير بطبائع الايرانيين، انظر، R.M,Cotam,op,cit,p,172 .
(٥) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست.
(٦) اسعد محمد زيدلن، المصدر السابق، ص٩٥.

بعثه شوستر وزملائه وعزمهم التوجه الى ايران[١]. في الوقت الذي اصدرت فيه روسيا تعليماتها الى سفيرها لدى واشنطن ليعبر عن قلق بلاده وخشيتها من ان يمس هذا الاجراء المصالح الروسية والبريطانية في ايران[٢].

وهكذا اخذ الروس والبريطانيون يختلقون انواع المشاكل لعرقلة الاعمال الاصلاحية لشوستر، وكانت بعثة مرنارد البلجيكي، المطيعة جداً للروس والبريطانيين، أولى العقبات التي اصطدم بها سوشتر ومساعديه لمقاومة وإضعاف مشاريعه الاصلاحية[٣]. كما شن الروس عبر صحفهم حملة شعواء ضد شوستر وانظمته المبتكرة[٤].

ومهما يكن من امر فقد استمر شوستر في تنفيذ مشاريعه الاصلاحية بعد تحالف مجلس الشورى الايراني معه، فقد نجح شوستر في خفض النفقات، وفي ايجاد توزيع اكثر عدالة للضرائب ونظام اكثر فاعلية للجباية، وإقامة اساس مالي اكثر سلامة للادارة[٥] .

كما اقترح شوستر على الحكومة الايرانية سلسلة من الضرائب الجديدة، واجراء بعض التغييرات على بعضها الآخر، واصلاحات في دفع الرواتب والاجور ، وإجراء احصاء قومي للغابات والمناجم وكان يأمل انه خلال اشهر بسيطة سيعيد للميزانية الايرانية قدرتها المالية[٦].

ولكي تلامس اجراءاته ارض الواقع، كان لابد لها وان تمس مصالح الروس والبريطانيين ومواقع اقدامهم في ايران في الصميم، وتكشف في الوقت ذاته النقاب عن النفعيين واصحاب المصالح الخاصة والازدواجيين من المسؤولين وغير المسؤولين الايرانيين، فقد رفض علاء الدولة ، وسبهدار اعظم ، وفرمان فرما وغيرهم، دفع ما بذمتهم من ضرائب متأخرة الى خزينة الدولة[٧].بل ان بعضهم ناصب العداء لشوستر واجراءاته

---

(١) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤٠٩.

(٢) V.J.Ledered, Russian Forigen Policy Essays in Historical Perspective, London, 1962,p,519

(٣) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست، ص٢٤٧.

(٤) مورغان شوستر، اختناق ايران، ص١٦.

(٥) ز.ي.هرشلاغ، المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٦) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤١١.

(٧) مورغان شوستر، اختناق ايران، ص١٩، محمود محمود، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ميلادي، جلد هشتم، جاب دوم، تهران، ١٣٣٦،ص٢٢٦٣.

الاقتصادية، كان من جملتهم امير اعظم، نائب وزير الحربية[1]. كما حرك الروس عملائهم المنتشرين في المدن الايرانية ضد شوستر، وأخذوا يمهدون الطريق أمام الشاه المخلوع محمد علي مرزا لاستعادة عرشه المفقود من خلال الترويج له داخل الاوساط الايرانية، ومده بالاموال والسلاح[2]. غير ان البريطانيين لم يحبذوا فكرة الروس الرامية الى اعادة الشاه المخلوع وتسليمه زمام الامور في البلاد من جديد، ذلك لمعرفتهم المسبقة به وما سيسببه لهم من متاعب مع الروس هم في غنى عنها ، وظل هذا التصور غالباً في لندن ، ويعتقد انه كان أحد الاسباب الرئيسية التي ادت الى فشل واندحار محمد علي مرزا ولجوءه من جديد الى روسيا[3].

استغل الشاه المخلوع تفاقم الاوضاع في البلاد والانفلات الامني فيها، فأخذ يكثف من اتصالاته بأعوانه من أعداء الثورة الذين نشطوا بشكل واضح خلال الفترة الاخيرة من عمر الثورة الدستورية، وبتخطيط ذكي، ركز محمد علي مرزا في اتصالاته على اقربائه وبعض رجال الدين ممن وقعوا تحت وطأت أطماعهم والمكاسب الدنيوية فتحولوا بذلك الى شوكة في جنب الثورة وزعمائها الاحرار، فقد أخذ سيد محمد طالب الحق يمجد بالشاه المخلوع من على منابر المساجد لا سيما في خراسان، ناصحاً وواعظاً الناس بالوقوف الى جانب محمد علي مرزا وترك المشروطه لأنها كفر والحاد[4]. وقد استطاع بذلك ان يجمع حوله اعداداً كبيرة من الاتباع الموالين لمحمد علي مرزا. وعلى الصعيد نفسه أدى يوسف خان هراتي[5]، دوراً مهماً في تأليب الامور ضد الدستوريين والدعوة للشاه المخلوع خاصة في مشهد ، حيث استغل يوسف خان الزيارات الدينية لمرقد الامام الرضا عليه السلام في مشهد ليجمع حوله المئات من الرجال والنساء الذين كانوا يستمعون الى احاديثه التي تنادي بعودة محمد علي مرزا[6]. ولم يقف نشاطه عند هذا الحد فحسب، بل ذهب للقاء بالسيد محمد

---

(١) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤١٢.

(٢) برسي سايكس، تاريخ ابران، ترجمة اغاي محمد تقي فخر داعي كبلاني، جلد دوم، جاب أول، انتشارات رنكين، تهران، ١٣٣٠، ص٥٩٨.

(٣) برسي سايكس، تاريخ ايران، ص٥٥٩.

(٤) محمد حسن اديب هروي، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران، ص٣٣١.

(٥) من المعارضين المتشددين للثورة الدستورية ، والموالين المتحمسين لمحمد علي مرزا، وكانت تربطه علاقات قوية برجال الدين المعارضين للثورة، اضافة الى علاقاته بالقناصل الروس في ايران.مزيد من المعلومات، انظر، المصدر نفسه، ص٣٣٢.

(٦) برسي سايكس، تاريخ ايران،ص٦٠١.

طالب الحق في مدينة خراسان، التي كانت اغلب مساجدها تحت سيطرته واعوانه، وبعد اللقاء به ذهب الاثنان معاً الى احد المساجد في المدينة، فاعتلى يوسف خان المنبر وقرأ رسالة من الشاه المخلوع موجهة الى اهالي المدينة، أبدى فيها شكره لهم ووقوفهم الى جانبه من أجل عودته الى الحكم[١] .ثم خطب فيهم قائلاً (لقد نصب هؤلاء انفسهم حكاماً ووزراء[٢] دون وجه حق، وهم يدعون بأنهم اصبحوا بهذه المكانة بإرادة الشعب وعلمائه.. ثم قال، وبحضور القنصل الروسي، عليكم ان تأتوا بالعلماء، أصحاب اللحايا البيض، ليكتبوا "نحن نريد محمد علي شاه"، ثم أمر بإرسال مجموعة من اتباعه للسيطرة على البريد)[٣].

ومن هنا يبدو واضحاً ان هؤلاء قد فرضوا سيطرتهم التامة على المدينة وأصبح لهم اتباع كثيرون سواءً بالترهيب أو الترغيب، ففي محاولة يائسة من أحد مجتهدي المدينة، المدعو رجب علي الصراف والمعروف بالبيرقدار، للتصدي لهم وفضح أكاذيبهم، حيث ذهب الى كوهرشاد، أحد مساجد خراسان، وقال "ايها الناس اعلموا بان يوسف خان قد أحذ أموالاً كثيرة من الروس لزرع الفتنة بين الناس ، وان دعوته للشاه ماهي الا تدبير روسي لتسليم البلاد للروس، غير ان اتباع يوسف خان هجموا عليه وضربوه ضرباً مبرحاً ثم احتجزوه[٤].

لم يكتف هؤلاء بالخطابات والدعوة الى محمد علي مرزا فحسب، بل اصدروا فتوى كفروا فيها الحياة الدستورية وأباحوا قتل الدستوريين، ثم قاموا بتعليقها على جدران جميع مساجد خراسان، اذ جاء فيها"بحكم عموم علماء خراسان، المشروطه كفر والحاد، وان انصارها كفار يستحقون القتل"[٥].

---

(١) محمد حسن اديب هروي، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران، ص٣٣٣.
(٢) يقصد بذلك الحكومة الايرانية التي تشكلت بعد خلع محمد علي شاه.
(٣) محمد حسن اديب هروي ، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران،ص٣٣٣.
(٤) المصدر نفسه ،ص٣٣٤.
(٥) من الموقعين على الفتوى كل من اغا مرزا ابراهيم، اغا مرزا جعفر، اغا حاج سيد علي سيستاني، اغا فاضل، وحاج سيد عبد الله ملايري، لمزيد من المعلومات يراجع، محمد علي سفري، مشروطيت سازمان، جاب اول،ص٢٢٧.

ونتيجة لمساعي هؤلاء وغيرهم اصبح اتباع الشاه المخلوع يؤلفون اعداداً لايستهان بها[1].

ويوماً بعد آخر أخذت الاوضاع تشتد تأزماً، وعبر البعض من رجال الدين عن نواياهم العلنية بمؤازرة محمد علي مرزا، ففي تبريز تحرك اثنان من رجال الدين، و بتحريض من صمد خان[2]، باتجاه الانكليز والروس، اعلنا عن رغبتهما في عودة محمد علي مرزا الى الحكم في ايران[3].

ان هذه القلة من رجال الدين الذين وقفوا الى جانب محمد علي مرزا، على الرغم مما احدثوه من زلزلة لمواقع البعض من ضعاف النفوس والمغرضين وتحويلها الى جانب الشاه المخلوع، فانها لاتمثل الكثير بالنسبة للمواقف الوطنية الحقيقية التي وقفها البقية من كبار علماء الدين من اجل الحفاظ على الثورة ومكتسبات الشعب ، فقد تم عقد اجتماع ضم كبار علماء الدين في طهران، للنظر فيما يجري داخل البلاد من احداث خطيرة واتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهة التحديات، وفي نهاية الاجتماع تم ارسال العديد من البرقيات الى زعماء العشائر الايرانية ورجال الدين الاخرين والشعب الايراني تضمنت حثهم على الوقوف متحدين ضد الاشرار والمستبدين[4].

وفي خضم هذه الاحداث، سقطت حكومة سبهدار اعظم، بتهمة تهاونها بالامور الامنية وعدم القاء القبض على اتباع محمد علي مرزا اثناء دخولهم وخروجهم من العاصمة طهران والولايات الايرانية الاخرى[5] . فضلاً عن الشكوك التي اصبحت تدور حول فسادها

---

(١) تذكر المصادر الايرانية ان جيش سالار الدولة وحده كان يتألف من ٣٠ الف مقاتل مجهز بمختلف الاسلحة، انظر على سبيل المثال، مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٥٤.

(٢) هو احد الاقطاعيين الاذربيجانيين المعروفين والذي كان من المقربين جداً الى الشاه المخلوع، وقد أدى دوراً مهماً في التحريض ضد الدستوريين والدعوة الى عودة الشاه المخلوع الى الحكم محدثاً بذلك بلبلة واضطراب كبيرين في المنطقة الشمالية لاسيما تبريز، انظر، المصدر نفسه، ص١٣٣-١٣٤.

(٣) عبد الهادي حائري ، تشيع ومشروطيت در ايران، ص١٦٢.

(٤) سيد حسن نظام الدين زاده، هجوم روس واقدامات رؤساي دين، ص٢٠٣.

(٥) علي اصغر شميم، ايران در دورة سلطنة قاجار، ص٢٧٥.

الاداري[1]. فشكل صمصام السلطنة حكومته الجديدة في ٢٩ رجب ١٣٢٩/ تموز ١٩١١، مع احتفاظه بوزارة الحربية[2].

كانت اولى خطوات الحكومة الجديدة، اتخاذ الاستعدادات اللازمة للسيطرة على القلاقل والاضطرابات الداخلية، وتهيئة جيوش البختيارية وبقية المجاهدين لحماية مكتسبات الشعب[3].

وبالفعل استطاعت الحكومة الجديدة ، ان تلقي القبض على ٣٠-٤٠ شخصاً من أعوان الشاه المخلوع وزجهم في السجون [4] . غير إن الاضطرابات الكبيرة وحالات القتل والنهب والسلب التي ارتكبها اعوان الشاه المخلوع قد هيأت الاجواء لدخوله الى ايران في الثامن عشر من تموز ١٩١١[5]. حيث دخل بصفة تاجر الى مدينة كركان(استراباد) جالباً معه الاسلحة والذخائر في صناديق مغلقة الصقت عليها علامة مياه معدنية "آب معدني" وفي الوقت ذاته استطاع شقيقه سالار الدولة ان يجمع حوله عدد كبير من المتطوعين الاكراد بزعامة داود كلهر وابنائه، ونظر علي خان بيشكوهى، اشرف ابن والي بشتكوه وعدد اخر من زعماء العشائر في غرب ايران[6].

وبعد الهجوم الناجح الذي قام به سالار الدولة على القوات الحكومية في مدينة همدان، بقيادة امير مفخم بختياري، وضع محمد علي مرزا خطة للهجوم على العاصمة طهران، حيث اجتمع ، بشعاع السلطنة وارشد الدولة ومجموعة من اتباعه وعدد من المعلمين الروس وجماعة من التركمان ، وأهالي ولايات وعشائر مازندران واسترآباد، في منطقة قمش تبه ،القريبة من مدينة مازندران، وقسم خلال ذلك الاجتماع قواته المهاجمة

---

(١) ايرج افشار، اوراق تازه ياب مشروطيت، ص٣٣٩.

(٢) ضمت الوزارة الجديدة عدد من الوزراء كان من بينهم وثوق الدولة، وزيراً للخارجية، وقوام السلطنة ، وزيرا للمالية، وغيرهم من الوزراء الاخرين، لمزيد من المعلومات، يراجع، مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٢٨.

(٣) المصدر نفسه،ص٢٩.

(٤) W.M.Shuster, the Strangling of Persia story of the European Diplomacy andOriental Intrigue that resulted in the denationalization of twelve million Mohommedans a personal Narrative, New York, 1920,p,87.

(٥) بيتر اوري، تاريخ معاصر ايران، ص٢٩٨.

(٦) علي اصغر شميم، ايران در دورة سلطنة قاجار، ص٥٧٢-٥٧٤.

الى قسمين، الاول بقيادة شعاع السلطنة ويتحرك من جهة مدينة مازندران، اما القسم الثاني فيكون بقيادة ارشد الدولة ويتحرك من مدينة شاهرود باتجاه العاصمة طهران[١].

أدخلت الجرائم البشعة التي ارتكبتها قوات محمد علي مرزا الذعر والخوف في نفوس اهالي المدن والولايات وبالذات العاصمة طهران، مقر الحكومة الدستورية، غير ان رجال الدين أدوا دوراً مهماً في هذا الجانب، بما أبدوه من تهدئة للنفوس، وحث وتشجيع الناس على مقاومة قوات الشاه المخلوع[٢].

وعلى أية حال قسم زعماء الثورة قواتهم الى ثلاثة اقسام أسياسية من اجل القضاء على تمرد محمد علي مرزا وشقيقه سالار الدولة ، تألف القسم الاول من عشائر البختيارية والتي اتجهت صوب همدان لمقاتلة سالار الدولة، وكانت بقيادة زعماء العشائر انفسهم، اما القسم الثاني فكان يتألف من مجاهدي كيلان بقيادة كوجك خان جنكلي والتي تحركت باتجاه مدينة مازندران للقضاء على قوات محمد علي مرزا وشعاع السلطنة، وتألف القسم الثالث من الشرطة واعداد كبيرة من المجاهدين وطلاب المدارس الدينية، وكانت تلك القوة بقيادة يبرم خان ، وقد انيطت بها مهمة القضاء على قوات ارشد الدولة في شاهرود وامداد ومساعدة المجموعة الثانية[٣]. ومن حسن حظ الحكومة انها كانت تمتلك كميات كبيرة من الاسلحة والاعتدة[٤]. ساعدتها بشكل كبير على مواجهة محمد علي مرزا والقادة المساندين له[٥]. وفي الوقت نفسه ارسل مجلس الوزراء رسالة مطولة الى وجهاء مدينة خراسان، ابدى فيها رجال الدين النصح والارشاد لمن انحرف عن جادة الصواب، ومايترتب على ذلك من نتائج وخيمة ومسؤولية شرعية، كما تضمنت وعوداً لاهالي المدينة بإصلاح ما أفسده الدهر[٦]. وقد كان لهذه الرسالة اثرا كبيرا في فرار أعداد كبيرة من قوات محمد علي مرزا

---

(١) مزيد من التفاصيل،انظر، مهدي ملكزاده تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٣٥ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩.

(٣) علي اصغر شميم، ايران در دورة سلطنة قاجار، ص٥٧٣.

(٤) حصلت الحكومة الايرانية عليها اثر صفقة عقدت بينها وبين الروس ايام تحركات ستار خان وباقر خان، وقد خزنت هذه الاسلحة في مخازن رشت وقزوين وبندر انزلي، ثم نقلت الى العاصمة طهران قبل احداث محمد علي مرزا واعوانه ، مزيد من التفاصيل، انظر، المصدر نفسه، ص٥٧٣.

(٥) مهدي ملكزاده، انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٤٠.

(٦) للاطلاع على نص الرسالة، راجع، محمد حسن اديب هروي، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران، ص٣٤٦-٣٤٨.

وانضمامها الى القوات الحكومية، الامر الذي القى الرعب والخوف وانتشار الروح الانهزامية والفزع بين صفوف مقاتلي محمد علي مرزا لاسيما التركمان منهم[١].

وبغض النظر عن تفاصيل المعارك[٢] التي استمرت عدة اسابيع بين القوات الوطنية وقوات محمد علي مرزا، فقد الحقت القوات الوطنية هزيمة نكراء بقوات الاخير، كما اسرت قائد قواته ارشد الدولة، الذي لم يبد أي خوف او ندم او انفعال عما قام به من اعمال، كما اوصى بنقل جثمانه بعد اعدامه الى طهران ودفنه بالقرب من زوجته، وقد اجرت الحكومة ما أوصى به[٣].

وبعد هذا الانتصار ، اصدر مجلس الشورى الايراني، وبتأثير رجال الدين، بيانا اعلن فيه عن منح جائزة نقدية قيمتها "١٠٠ "الف تومان لمن يأتي بمحمد علي مرزا حياً أو ميتاً و"٢٥ " الف تومان لكل من شعاع السلطنة وسالار الدولة[٤] .غير ان محمد علي مرزا كان اسرع من غيره بالهرب خارج الاراضي الايرانية باتجاه روسيا[٥].

وهكذا انتهت حركة محمد علي مرزا التي استهدفت الحكومة الروسية من ورائها انهاء الثورة والقضاء على نظامها الدستوري، غير ان الجهود الكبيرة التي بذلت من الدستوريين والتعبئة الجماهيرية لرجال الدين الايرانيين حال دون تحقيق ذلك ، كما ان اعلان فتوى علماء الدين في النجف التي اكدت على ان مقاتلة المسلمين للشاه المخلوع بمثابة مقاتلة للكفر،كان احد العوامل المهمة في احراز النصر[٦].

ان فشل الشاه المخلوع في انجاح المؤامرة الروسية، ادى الى استيائها وازدياد حقدها على الحكم الوطني ، فأخذت تبحث من جديد عن ذرائع جديدة تستطيع من خلالها النزول بنفسها الى الميدان، فقد اثار تمسك شوستر بالضابط البريطاني ستوكس على رأس قواته ثائرة الروس، الامر الذي دفعها الى ان تبعث بمذكرة شديدة اللهجة الى وزارة الخارجية الايرانية في ١٩ آب ١٩١١، عدت فيها تعيين ستوكس امرا يتنافى مع مصالحها التي تضطرها في حالة الضرورة، الى الاحتفاظ بحقها باقتطاع بعض المساحات الضرورية لأمن

---

(١) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٥١.
(٢) انظر تفاصيل المعارك في، مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٣٥-٤٦.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٠-٥١.
(٤) علي اصغر شميم، ايران در دوره سلطنة قاجار، ص٥٧٣.
(٥) سميرة عبد الرزاق عبد الله العاني، المصدر السابق، ص٦٨.
(٦) طلال مجذوب، المصدر السابق، ص٢٧٧.

وسلامة مصالحها في الشمال[١]. غير ان الحكومة الايرانية اصرت على ابقاء ستوكس في منصبه، لما كان يتمتع به من شعبية كبيرة بين الايرانيين شعباً وحكومة، كونه لم يرتبط بالروس باية علاقات ودية[٢].

وعلى الرغم من وجود الرغبة الاكيدة لدى البريطانيين ببقاء ستوكس في منصبه الجديد، لاغراض تهم مصالحها في ايران ، غير انها لم تستطع الدفاع عن تلك الرغبة، فقد فشلت في اقناع الروس بفكرة احالة ستوكس على التقاعد وانهاء ارتباطاته بدوائرها الرسمية[٣].

ان اصرار الروس على انهاء خدمات ستوكس ورفض فكرة استقالته من جيش الهند ، كان الهدف منه اضعاف شوستر وتعطيل مشاريعه الاقتصادية، اضافة الى حرصها في المحافظة على العلاقات الودية بينها وبين بريطانيا والتي تضمنتها معاهدة ١٩٠٧، وهي ايضاً رغبة بريطانية اكيدة، ولذلك فقد ارسل سر ادوارد كراي، وزير الخارجية البريطاني، رسالة الى ستوكس جاء فيها "نحن موافقون ومؤيدون لروسيا فيما يخص استقالتك ذلك لاننا سوف نعترض على روسيا اذا ما أرادت ان ترسل ضابطاً روسياً الى جنوب ايران[٤].

وأمام الضغط الروسي وبتأييد من لندن، اضطر ستوكس اخيرا الى تقديم استقالته من منصبه الذي اختاره له الخبير الامريكي والتوجه الى الهند[٥]. وعلى الرغم من انتصار الروس وفرض رأيهم فيما يخص قضية ستوكس، غير انهم ظلوا يبحثون عن حجة جديدة لطرد شوستر نهائياً من ايران.

وبما ان ايران قد تعرضت لخسائر كبيرة ، اثر تمرد محمد علي مرزا وشعاع السلطنة وسالار الدولة، فقد قررت الحكومة الايرانية مصادرة اموال وممتلكات شعاع السلطنة وسالار الدولة لتعويض الخسائر التي لحقت بها جراء ذلك[٦]. وقد ارسلت الحكومة الايرانية الى مفوضيتي روسيا وبريطانيا قرار الحكم بحق هؤلاء، لذا اصدر شوستر اوامره الى الجندرمه المكلفة بحماية الخزانة ان تنفذ قرار الحكومة، فتوجهت خمس مجاميع منها مع

---

(١) .W.M.Shuster,op,cit,p,75

(٢) برسي سايكس ، تاريخ ايران، ص٥٩٩.

(٣) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤١٢.

(٤) مورغان شوستر، اختناق ايران، ص٢١.

(٥) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست، ص٢٤٧.

(٦) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٦٨-٦٩.

عدد من الجندرمه ومحاسب واحد باتجاه منـزل وبستان شعاع السلطنة في طهران، غير انها اصطدمت بمجموعة من افراد القوزاق الروسية التابعة للقنصل الروسي والتي كانت مكلفة بحماية ممتلكات شعاع السلطنة، اثناء غيابه في الدولة العثمانية، ومنعتهم من دخول المنـزل والقيام بمهامهم الاحصائية[١]. الا ان اصرار شوستر في النيل من هيبة الروس قد عقد الامور اكثر فأكثر ، فقد عزز شوستر قواته المتواجدة هناك بقوات جديدة بهدف طرد القوزاق الروس من المكان المتنازع عليه[٢]. الامر الذي اثار غضب القنصل الروسي ودفعه الى ان يدعي بأن شرطة الخزانة قد أشهرت سلاحها بوجه ضابطين روسيين كانا مع تلك التشكيلة المكلفة بحماية املاك شعاع السلطنة، من اجل تضخيم الامور وايجاد الحجة المناسبة لطرد شوستر[٣].كما تذرع الروس بان هذه الاملاك هي جزء من ضمانات ديونهم على ايران وشاهها المخلوع[٤].

وهكذا اخذت الحكومة الروسية تضخم الامور وتزيد من تطورها، ففي ٢ تشرين الثاني ١٩١١ ارسلت الحكومة الروسية الى حكومة طهران انذاراً طلبت فيه تعويض الجندرمه المراقبين لاملاك شعاع السلطنة وقادتهم، وكذلك تقديم اعتذار رسمي للقنصل الروسي نتيجة لتصرفات مأمور شوستر السيئة[٥]. الا ان الحكومة الايرانية لم تستجب للانذار الروسي، مما ادى ذلك الى قطيعة مؤقتة للعلاقات السياسية على مستوى المفوضية، على الرغم من بقاء الوزير المفوض الروسي في ايران[٦].

جددت الحكومة الايرانية اصرارها على مصادرة املاك شعاع السلطنة لاسيما بعد ان كشف لها شوستر صحة اكاذيب الروس فيما يخص ادعئها بشأن ديونها التي كانت بذمة شعاع السلطنة[٧]، فقد استطاع شوستر الحصول على نسخة من وصية شعاع السلطنة عن طريق احدى زوجاته رغم الخطر الذي كان يهددها وعائلتها، وقد حملت هذه النسخة بالتفصيل اموال شعاع السلطنة وديونه، فضلا عن عدم وجود اية اشارة تدل على ان

---

(١) بيتر اوري، تاريخ معاصر ايران، ص٣٠٤.

(٢) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران،ص٤٢٠.

(٣) برسي سايكس، تاريخ ايران، ص٦٠٠.

(٤) فوزي خلف شويل، المصدر السابق، ص٢٧.

(٥) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤٢٠.

(٦) بيتر اوري، تاريخ معاصر ايران، ص٣٠٥.

(٧) ادعى الروس ايضا بأن للبنك الروسي بطهران ديون على شعاع السلطنة، انظر المصدر نفسه، ص٣٠٤.

للروس ديون بذمته[١]. وقد شجع ذلك ايضاً شوستر والمسؤولين الايرانيين على المضي بسياسة المصادرة والتغريم، غير ان الحكومة الروسية اعترضت على ذلك، وطلبت اعفاء بعض الاشخاص الذين اعلنت انهم تحت حمايتها، ومن بينهم ايضا علاء الدولة الصديق الحميم لروسيا[٢].

ويبدو ان الخبير الامريكي قد تطرف كثيرا في رفضه وعدم اعترافه بتقسيم ايران بموجب اتفاقية ١٩٠٧ ، عندما اصر على ابقاء قواته في املاك شعاع السلطنة، فضلاً عن ارسال احد موظفيه الماليين ، الانكليزي مسيو ليكوفر (Lecoffer) ، الى المناطق الشمالية لمهمة تفتيشية خاصة، مما اثار ذلك ثائرة الروس، واعتبروا هذا الامر لا يخلو من حقد بريطاني تجاه الروس[٣].

وفي اثناء اللقاء الذي اجراه باركلي مع شوستر بناءً على طلب الخارجية البريطانية، برر شوستر موقفه قائلاً "اننا نحترم منافع ومصالح الدولتين في ايران، ولكن لا يجب ان ننظر الى ايران كدولة غير مستقلة بل يجب ان نعدها من الدول الصديقة التي تتمتع بالاستقلال والسيادة الكاملتين، اما بالنسبة للمسيو ليكوفر لسنين طوال وهو يعمل في ادارة المالية الايرانية، وارسل مرات عديدة كمأمور الى المناطق الشمالية في ايران، وهو ايضاً احد الخبراء المكلفين المستخدمين في ايران[٤].

وفي نهاية اللقاء نصحه باركلي، بأن هذا الامر سيكون من دواعي احتلال الروس لشمال ايران باكمله[٥].

وفي خضم هذه الاحداث كانت روسيا تزيد من قطعاتها داخل الاراضي الايرانية. ونتيجة لاصرار شوستر بالمضي في تنفيذ اجراءاته الاقتصادية ودعم المجلس الوطني له بمختلف كتله ، لاسيما الديمقراطيين ورجال الدين، وجهت الحكومة الروسية في ٢٩ تشرين الثاني ١٩١١ انذارها الثاني والنهائي الى الحكومة الايرانية، امهلت فيه الحكومة مدة (٤٨) ساعة لتنفيذه ،اذ نص على ما يلي:

١. طرد شوستر وليكوفر خارج ايران.

---

(١) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤٢١.
(٢) مزيد من المعلومات ،انظر ، مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٨٢.
(٣) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤٢٢.
(٤) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٧٩.
(٥) خضير مظلوم فرحان البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦ – ١٩١٩؛ ص٢٤٩.

٢. تتعهد الحكومة الايرانية بان لا تقوم بدعوة خبراء اجانب دون موافقة مسبقة من الحكومتين الروسية والبريطانية.

٣. تحمل الحكومة الايرانية لنفقات القوات الروسية الموجودة في الاراضي الايرانية البالغة ١٥٠ الف روبل[١].

أيد البريطانيون من جانبهم الإنذار الروسي تأييدا كاملاً، فقد صرح ادورد كراي، وزير الخارجية البريطاني، أمام مجلس العموم البريطاني قائلاً "يجب ان يؤدي الحل للازمة الحالية الى ايجاد حكومة في ايران توافق على مبادئ الاتفاقية البريطانية- الروسية، ولا تتجاهل مصالح الدولتين في هذه المرحلة"[٢].

ومن هنا ايقن علماء الدين بل وجميع الايرانيين، ان روسيا وبريطانيا كانتا مصرتين على انهاء الثورة والقضاء نهائياً على استقلال ايران، فقد كان الانذار الروسي تدخلاً صارخا في شؤونهم الداخلية[٣].

وأمام الموقف المتشدد الروسي والتأييد البريطاني الصريح له، اخذ علماء الدين بزمام الأمور في محاولة منهم حشد الجماهير وتأليب الرأي العالمي والاسلامي ضد التدخل الروسي ، كما كان للانذار الروسي انعكاساته الواضحة في اوساط المرجعية الدينية، في المدن العراقية المقدسة، النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء ايضاً.

---

(١) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤٢٥.

(٢) R.W.Cottam, Op,cit,p,179.

(٣) نيفين عبد المنعم مسعد، صنع القرار في ايران والعلاقات العربية الايرانية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠١، ص٢٥٧.

المبحث الثالث :

موقف المؤسسة الدينية من الغزو الروسي لإيران وفشل الثورة الدستورية.

كـان الـروس عـازمون علـى انهـاء الثـورة الدسـتورية والاقتصـاص مـن رجالاتهـا المخلصون، وقد اتاحت لهم التناقضات والاختلافات الكبيرة بين قادة الثورة، التي تميزت بها المرحلة الثانية من الثورة الدستورية، فرصة ذلك.

فبعد ان فشلوا في القضاء على الثورة عن طريق عميلهم الشاه المخلوع نزلوا بأنفسهم الى الميدان ليحرموا الشعب الايراني من جني ثمار نصره[١].

وقد رافق انذارهم النهائي اندفاع قواتهم العسكرية فـي الاراضـي الايرانيـة حتى بلغت مدينة قزوين وتبريز ومشهد ، مرتكبة في طريقها اعمالاً لا انسانية بحق الاهـالي وعلمـائهم من كبار رجال الدين، لتعطي بذلك إنذارها صورة جدية وحاسمة[٢].

ولإظهار الصورة المشرفة للمجلس، والشعور الكبير بالكرامة الجريحة، رفض اعضاء المجلس الايراني، وفـي مقدمتهم علمـاء الـدين، الانـذار النـهائي والرضوخ لهذا التـدخل فـي ادق امور البلاد الداخلية، وقد حاول بعض النواب ، ومن بينـهم وثـوق الدولـة، دفـع المجلس والحكومة لقبول المطالب الروسية، الا ان الشيخ محمد خيابـاني، رفض بشدة، معتبرا ذلك منافياً لمبدأ استقلال وحرية ايران[٣].

ومن جانب اخر استقبل الشعب الايرانـي الانـذار الروسـي بالمظـاهرات الصـاخبة التـي طافت شوارع العاصمة طهران وكبريات المدن الايرانية، وعقدت الاجتماعات الحاشدة تحت شعار اما الموت او الاستقلال[٤].

كما تظاهرت الاف النسـاء اللائـي كن يلبسـن الاكفـان، طـالبن بحـرب الـروس والـدفاع عن مقدسات الشعب[١].

---

(١) ابراهيم الدسوقي ستا، المصدر السابق، ص٥٣.

(٢) دونالد ولبر ، المصدر السابق، ص١٠٥.

(٣) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست، ص٢٤٩؛ العقيقي البختياري، المصدر السابق، ص١٧٩.

(٤) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٩٦.

وقد ادت جمعية نساء الوطن (نسوان وطن) دورا بارزا في هذا الجانب ، فقد حملت المسدسات خلال تظاهرة حاشدة اندفعت بها الى المجلس للاطاحة به ، وهددن اعضاء المجلس بالقتل في حالة الموافقة والرضوخ للانذار الروسي[٢].

ومن جانب اخر اعلن رجال الدين ، من على منابر المساجد وبواسطة البرقيات التي ارسلت الى مختلف المدن الايرانية، الجهاد ضد الروس المحتلين، وحرموا في الوقت ذاته استخدام البضاعة الروسية والانكليزية، كالشاي والسكر والقماش والادوية والالات وغيرها[٣].

وشهدت المدن الشمالية احداثا دموية، فقد ابدى سكان تبريز وانزلي ورشت مقاومة عنيفة لقوات الاحتلال وبصورة خاصة مدينة تبريز[٤] ، فقد شهدت هذه المدينة احداثا مروعة اثر المقاومة البطولية التي ابداها علمائها وفي مقدمتهم المجتهد ثقة الاسلام تبريزي، وضياء العلماء اللذين القت قوات الاحتلال القبض عليهما مع ستة اخرين، لتنفذ فيهم حكم الاعدام شنقاً[٥].

وفي مدينة مشهد فتحت القوات الروسية نيران اسلحتها التي اصابت ضريح الامام الرضا عليه السلام محدثة فيه اضراراً كبيرة وسقوط اعداد كبيرةمن القتلى والجرحى ونهب وسلب خزائنه الثمينة التي نقلت الى البنك الروسي[٦] .

كما اعطى الروس اوامرهم لقطعات اخرى بالتوجه صوب العاصمة طهران امعانا في احكام سيطرتهم على المنطقة وقطع سبل الاتصال بين زعماء المجاهدين، الذين شكلوا مجاميع من المتطوعين المسلحين[٧].

---

(١) جانيت افاري، انجمنهاى نيمه سرى زنان در نهضت مشروطه، ترجمة دكتر جواد يوسفيان، جاب اول ، تهران، ١٣٧٧، ص٥٨.

(٢) بينر اوري، تاريخ معاصر ايران، ص٣٠٧.

(٣) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص٩٨.

(٤) مهدي مجتهدي، رجال اذربيجان در عصر مشروطيت، ص١١١- ١١٢

(٥) صمد سرداري نيا، نقش مركز غيبي تبريز در انقلاب مشروطيت ايران، جاب اول، انتشارات تلاش، تهران، ١٣٦٣، ص٣٠١.

(٦) برسي سايكس، تاريخ ايران، ص٦٠١.

(٧) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤٢٧.

وقد ادى القناصل الروس وجواسيسهم في المدن الايرانية دوراً مهما في الكشف عن اماكن تواجد المجاهدين وايصال اخبارهم اولاً بأول الى مراكز العمليات العسكرية الروسية، وكان في مقدمة هؤلاء الجاسوس يوسف خان هراتي، الذي حضي به المجاهدون فقتلوه شر قتلة[١] .

وفي اوج هذه الاحداث ومن اجل الوصول الى حل للازمة، انبثقت لجنة من مجلس الشورى الوطني ضمت مجموعة من اعضائه، من بينهم يبرم خان، وصمصام السلطنة، ووثوق الدولة وغيرهم، لمناقشة الانذار الروسي، وقد اقترح بعض من اعضائها موافقته على قبول الانذار تجنباً لنتائجه الوخيمة، غير ان الشيخ محمد خياباني، المعارض بشدة للانذار الروسي، القى خطاباً في المجلس، اعلن فيه معارضته لمقترح اللجنة وقال : ان المجلس هو الشعب ، وان الحكومة والشعب هم الذين شكلوا المجلس من اجل انهاء التدخل الاجنبي في البلاد، فكيف يخضع اليوم نواب المجلس لمطالب الروس[٢] .

وقد احتدت المناقشات والخلافات بين اعضاء المجلس الوطني من جهة واعضاء اللجنة المنبثقة منه من جهة اخرى بالشكل الذي دفع مؤتمن الملك، رئيس المجلس الوطني، على ارسال برقية الى علماء الدين في العراق، اوضح فيها موضوع الانذار الروسي واحتلال القطعات العسكرية الروسية لبعض الاراضي والمدن الايرانية[٣]. كما أشار في برقيته الى التهديدات البريطانية الرامية الى احتلال اراضي ايرانية اخرى في الجنوب بحجة حماية الطرق التجارية ومراقبة القوات الروسية[٤] . مما اثار ذلك ضجة كبيرة في اوساط المرجعية الدينية والرأي العام العراقي، وقبل الاجابة على برقية مؤتمن الملك، وجه المجتهد محمد كاظم الخراساني خطاباً الى المفوضية البريطانية في طهران، جاء فيه "كان علينا ان لاننخدع بكم كثيراً، فإن بريطانيا التي كانت تدعي الحق والحرية لجميع اقطار العالم وتدافع عن حقوق البشر، وهي السياسة التقليدية لها، مستعدة الان ان تكون نقيضا لذلك، وان تقضي على حرية واستقلال ايران، لذا عليكم ان لاتكونوا كالروس في الشمال، لأن الشعب الايراني الواعي حديثاً سوف يدافع عن حقوقه الوطنية، كما ان الدماء التي سالت

---

(١) برسي سايكس، تاريخ ايران، ص٦٠٣.
(٢) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست، ص٢٥٣.
(٣) جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤٢٦.
(٤) احمد كسروي، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، ص٢٣٠.

والتضحيات التي قدمت سوف لن تذهب سداً، وسنبذل ارواحنا واموالنا للحفاظ على استقلال ايران"[1]. ثم اردف الخراساني ببرقية جوابية الى مؤتمن الملك جاء فيها:

"حضرة السيد مؤتمن الملك، رئيس المجلس الوطني، اعطي حكم الجهاد والدفاع الى كافة المسلمين الايرانيين، فاليوم بحكم العقل والشرع ان تتحد القلوب ويسود التسامح العام، وهذا الامر شاملاً للايرانيين المتواجدين في الخارج، وبعون الله تعالى نحن عازمون على الحركة"[2].

اصبح منزل الخراساني مكانا لانعقاد اجتماعات المجتهدين والتشاور فيما بينهم لاتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهة الغزو الروسي. وقد تزامن مع الهجوم الروسي على ايران، الاحتلال الايطالي لطرابلس الغرب، لذا عقد اجتماع ضم الخراساني، وشيخ الشريعة الاصفهاني والسيد اسماعيل الصدر ، والشيخ عبد الله المازندراني، وفي نهاية الاجتماع اصدروا بيانا مشتركاً اشاروا فيه بان الهجوم الروسي على ايران، وايطاليا على طرابلس الغرب، موجب لذهاب الاسلام واضمحلال الشريعة الطاهرة والقرآن، لذا يجب على الايرانيين ومسلمي الهند وغيرهم، ان يجتمعوا ويطالبوا برفع هذه التعديات غير القانونية من قبل روسيا وايطاليا، وليحرموا السكون والراحة على انفسهم ما لم تكشف هذه الغمة والغائلة العظمى، وليعتبروا نهضتهم هذه تجاه المعتدين على البلاد الاسلامية جهاداً في سبيل الله ، كالجهاد في بدر وحنين[3].كما وجه الخراساني برقية الى علماء الدين في تبريز امرهم فيها بوجوب التدريب على السلاح لمقاتلة الروس المحتلين، وعلى اثر ذلك حاولت الحكومة الروسية تهدئة الموقف الشيعي، فقد بعث القنصل الروسي في بغداد رسالة الى الملا الخراساني، شرح فيها الاسباب التي دفعت حكومته للتدخل العسكري، مؤكداً ان بلاده ستنسحب من الاراضي الايرانية عند قبول شروطها[4] . غير ان الخراساني اجاب برسالة شديدة اللهجة، ابدى فيها اسفه لنقض الروس التزاماتهم مع ايران ، واعتمادهم الاسلوب العسكري بدلاً من الاجراءات الدبلوماسية، كما هدد الخراساني الحكومة الروسية بانها ما لم

---

(1) عبد الحسين مجيد كفائي، مركري در تور دزندكاني آخوند خراساني، انتشارات زوار، تهران، ١٣٥٩،ص٢٥١.

(2) موسى نجفي، تعامل ديانت وسياست در ايران، جاب دوم، انتشارات مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران، تهران، ١٣٧٨، ص٣٣٥.

(3) محمد حسن رجبي، رسايل وفتاوي جهادي، جاب اول، انتشارات وزارة فرهنك وارشاد اسلامي، تهران، ١٣٧٨، ص٢٣٣.

(4) سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص٦٥.

تتخلى عن شروطها فان تراب ايران سيتلون بدماء الملايين، واضاف قائلاً "لقد نفذ صبر المسلمين، وما دامت بين ايديهم ورقة واحدة من القرآن الكريم، فأنهم لا يمكن ان يهزموا، اننا نحن المجتهدون مستعدون لبذل اخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الدولة والشعب الايراني"[١].

لقد نظر علماء الدين في النجف الى الهجوم الروسي في الشمال والتسلل البريطاني في الجنوب، على انه يمثل تحدياً واضحاً للمسلمين، استهدف النيل من الاسلام والقضاء على استقلال ايران، وانه سيمكن في الوقت ذاته الدول الاستعمارية الاخرى من الاندفاع اكثر في تحقيق مشاريعها العسكرية في بلدان العالم الاسلامي، وان الخلافات والاختلافات في وجهات النظر كانت من العوامل المهمة التي مكنت المستعمرين من تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية وبناءاً على ذلك فقد بعث السيد محمد حسين الحائري المازندراني ، والسيد اسماعيل بن صدر الدين العاملي والشيخ عبد الله المازندراني، وسيد علي التبريزي، والسيد مصطفى الحسيني الكاشاني، وشيخ الشريعة الاصفهاني، برسالة جهادية مطولة الى علماء الدين في ايران، وزعماء العشائر الايرانية، وقادة الدولة والمسؤولين، تضمنت حثهم على الاتحاد ونبذ الفرقة لمواجهة اعداء الاسلام بقلوب ملؤها الشجاعة والايمان بالعقيدة المحمدية[٢]. وعلى الصعيد نفسه ارسل الملا الخراساني وعبد الله المازندراني برقية الى علماء الدين في استرأباد تضمنت فتوى بتحريم استخدام البضائع الخارجية لاسيما الروسية منها، لأن التعامل مع الاجانب سيؤدي الى ضياع ثروة البلاد ويعطي وفي الوقت نفسه ذريعة لروسيا لبسط سيطرتها على المنطقة بحجة حماية تجارتها، وتدريجياً ستحل الكنائس محل المساجد، ويبدل الأذان بالناقوس، لذلك فان الجهاد الاقتصادي هو بمنزلة الجهاد والشهادة في ركاب امام الزمان[٣].

ان الضعف الذي اصاب المؤسسة الدينية في ايران من جهة وبروز المصالح الخاصة للزعماء الانقلابيين من جهة اخرى، سهل من مهمة الروس في احكام سيطرتهم على البلاد وضرب المقاومة الوطنية بشدة، الامر الذي دفع احد رجال الدين، المعروف ب(أبو

(١) عبد الحسين مجيد كفائي، مركري در نور، ص٢٥٧.
(٢) مزيد من المعلومات، انظر، محمد حسن رجبي، رسايل وفتاوى جهادى،ص٢٥٩.
(٣) موسى نجفي، انديشة تحريم در تاريخ سياسي ايران، جاب اول، انتشارات استان قدس، تهران، ١٣٧١، ص٥٨-٥٩.

السادات)[١]، بالتوجه من ايران الى النجف واللقاء بعلمائها والاستنجاد بهم، فبعد وصوله الى النجف ذهب مع رفاقه الى ضريح الامام علي عليه السلام حيث السيد محمد كاظم اليزدي الذي كان جالساً على مصلاته، فقبل يده وهو باكياً، ثم قال ياسيدي ترحم على حال المسلمين، ان دينهم في خطر وشرفهم بيد الروس، والله اذا بقيتم على هذا الصمت فإن صلاة الجماعة سيحكم عليها بالموت، بل لن يبق لدينا مسجد ولا صلاة ولا مجتمع، نرجوا منكم ايها العلماء ان تتحدوا لحل هذه المحنة العظيمة قبل فوات الاوان حيث لا ينفع الندم[٢]. غير ان السيد اليزدي اتهمه بالكذب[٣]، فما كان عليه الا الذهاب الى الملا الخراساني وخاطبه، سيدي يجب ان تبذلوا جل هممكم في استخلاص المسلمين من مخالب الروس الكفار، وان تعملوا بكل وسيلة لدفع هذه الغمة عن هذه الامة، وليس هناك من بد لاتفاقكم ولا علاج لهذا الداء سوى اتحادكم، فإن الاجانب لم يكن من اختلافنا وخلافنا بل من عدم اتحاد كبارنا ورؤسائنا، واذا لم تتفقوا فسوف تمحى حتى اثار الاسلام في ايران، الله الله ايها المسلمون ، الله الله ايها العلماء ، اذ ليس من ملجأ سواكم ولا أمل لنا بغيركم[٤].

وامام تطور الاحداث وسقوط المدن الايرانية بيد الروس الواحدة تلو الاخرى وما رافقها من مذابح جماعية للاهالي، قرر الملا الخراساني في الاجتماع الذي ضم عدد من مجتهدي كربلاء والنجف السفر الى كربلاء ومنها الى الكاظمية، وبعد ان قضي الاجتماع نادى المنادي في البلد بأن العلماء اجمعهم سيسافرون يوم الثلاثاء ١٢ كانون الاول ١٩١١ الى كربلاء ومن هناك الى الكاظمية، فمن شاء الاشتراك فليبادر والله مع الجميع[٥].

---

(١) من المجتهدين الشباب الذين لا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين سنة، كان اصلاً من سادات كربلاء، ثم رحل الى ايران وسكن طهران، وبعد الهجوم الروسي على ايران، عاد الى النجف للاستغاثة بعلمائها، انظر،سيد حسن نظام الدين زاده ، هجوم روس واقدامات رؤساى دين، ص٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٣) بعد اقرار الدستور الايراني برز خلاف واضح بين علماء الدين في ايران انسحب وبنفس الدرجة بين علماء الدين في العراق، فتزعم السيد محمد كاظم اليزدي في العراق الجناح المناهض للمشروطه واطلق عليهم (المستبدة) بينما تزعم الملا محمد كاظم الخراساني الجناح المؤيد للمشروطه واطلق عليهم (انصار المشروطه) وقد نجم عن ذلك تنافس شديد بين الجماعتين وصل الى حد الاتهامات والحساسيات المفرطة تعرض خلالها رجال المشروطه في العراق الى الاعتداء والاهانة والضرب على يد رجال المستبدة، ويكفي ان طلبة العلوم الدينية انقطعوا عن زيارة كربلاء واالكوفة ومسجد السهلة لمدة سنة= كاملة خوفا على ارواحهم من جماعة المستبدة، لمزيد من المعلومات، يراجع، عبد الحسين مجيد كفائي، مركري در نور، ص٢١٢ –٢١٣؛ علي الخاقاني ، المصدر السابق، ص٨٦-٨٧.

(٤) عبد الرحيم محمد علي، المصدر السابق، ص١٠٣.

(٥) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست، ص٢٥٤.

كان للحركة الجهادية التي اعلنها الملا الخراساني ردود فعل قوية على مستوى الشارع العراقي ، فقد لبى اغلب رؤساء العشائر العراقية نداء الخراساني وأخذوا يتقاطرون أفواجاً الى منزله مستعدين لتنفيذ الفتوى الجهادية، في الوقت الذي كانت فيه الحكومة الايرانية قلقة جداً من هذه الحركة، ورأتا الوقت غير مناسب لاعلان الجهاد ومحاربة الروس، بسبب مشاكلها الداخلية وسوء اوضاعها الاقتصادية، غير ان علماء الدين في النجف اخبروهم بأن هدفهم من اعلان الجهاد كان من اجل اتحاد الامة وحل جميع الخلافات ومنع التدخلات الاجنبية وحفظ استقلال ايران[١].

كما بعث علماء الدين في النجف المجتهد شيخ العراقيين ليلتقي بوالي بغداد العثماني (جمال بيك) واعلامه هدفهم من الحركة الجهادية[٢].

وفي هذه الاجواء المتوترة قدمت حكومة صمصام السلطنة استقالتها، غير ان ناصر الملك رفض الاستقالة، الامر الذي عده الروس تأكيداً اضافياً لرفض انذارهم، واستجابة صريحة لحركة الجهاد التي اعلنها الملا الخراساني ، فوجد بذلك الخوف طريقه الى الروس والبريطانيين على حد سواء، لأن حركة الجهاد كانت تمثل تهديداً حقيقياً لمصالحهما في المنطقة[٣].

وعلى اية حال فقد عاد علماء الدين من كربلاء، الذين حضروا اجتماعات الخراساني وبقية المجتهدين في النجف، الى مدينتهم ليكونوا من المستقبلين لموكب الخراساني، غير ان القدر حال دون ذلك اللقاء، ففي فجر اليوم التالي ٢٠ ذي الحجة ١٣٢٩ / ١٢ كانون الاول ١٩١١ توفي الملا محمد كاظم الخراساني في منزله اثر نوبة قلبية[٤]. وبوفاته تكون الثورة الدستورية بل والمؤسسة الدينية بصورة عامة قد فقدت اهم ركن من اركانها، واصيبت في الوقت ذاته حركة الجهاد الاسلامية بصدمة عنيفة، مما جعل تحرك العلماء والمجاهدين يتأخر الى حين[٥].

استغل القاجاريون هذا التراجع لاستعادة مواقعهم ، خصوصاً وان الرجعية بدأت ترفع رأسها من جديد، وعلى نطاق واسع في العديد من المناطق الايرانية، فبعد ان اضطرت

---

(١) سيد حسن نظام الدين زاده، هجوم روس واقدامات رؤساى دين، ص٨٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٠.
(٣) سليم الحسني ، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص٦٧.
(٤) عبد الرحيم محمد علي ، المصدر السابق، ص١١٠.
(٥) سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص٦٧.

الحكومة الايرانية[1] الى الاذعان للانذار الروسي وابعاد شوستر[2] من منصبه ، عمد ناصر الملك، الوصي على العرش، الى حل المجلس في ٢٤ كانون الاول ١٩١١، ومنع الصحف من الصدور وأعلن الأحكام العرفية، ونفى الأعضاء الليبراليين إلى قم، وقام بحملة اعتقالات للدستوريين[3].

وبهذا الأسلوب وضعت نهاية حاسمة للثورة الدستورية، فقد استسلم الدستوريون في كل مكان من إيران، وبقيت بعض بؤر المقاومة في تبريز وحدها ، لكنها اختفت بدورها في بداية كانون الثاني ١٩١٢، بعد أن أسرفت القوات الروسية التي دخلت المدينة بقتل المئات منهم وسجن أكثر من ألف شخص آخر من الفدائيين بعد نزع أسلحتهم، أما المجلس الوطني الذي تم حله فلم ينعقد إلا بعد نشوب الحرب العالمية الأولى.

---

(١) في ٢١ كانون الاول ١٩١١ تشكلت هيئة من خمسة اشخاص برئاسة سردار اسعد في اطار حكومة صمصام السلطنة، اخذت على عاتقها بالاتفاق مع الحكومة قبول الانذار، لمزيد من المعلومات يراجع، جانيت افاري، انقلاب مشروطه ايران، ص٤٣١؛ مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم، ص١٤٧٣.

(٢) غادر مورغان شوستر ايران يوم ١١ كانون الثاني ١٩١٢، انظر ، .W.M.Shuster,op,cit,p,215

(٣) ((ايران من ١٩٠٠-١٩٨٠)) ، مجموعة مقالات مترجمة، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٣٥.

الخـــاتمـــة

لا يمكن ان تكون الثورة الدستورية الايرانية الا صفحة مشرقة ومهمة في صفحات تاريخ ايران الحديث ، سواء من حيث اسلوبها الثورية او من حيث نتائجها ، وفي الوقت نفسه لا يمكن ان تبتعد اهمية واثر المؤسسة الدينية في قيادتها ، وتوجيه احداثها عن سلوكها سياسة وطنية طالما عارضت وبشدة الاساليب البالية التي استخدمها النظام القاجاري في تعامله مع مواطنيه ، اذ حققت في هذا المجال انتصارات عديدة قيدت ذلك النظام وحدّت من نفوذه كثيراً ، لا سيما في معالجة الشؤون الداخلية الايرانية ، ففرض المؤسسة الدينية ، بالتعاون مع الحركة الوطنية الايرانية ، لمجلس ودستور في اطار ايران المتخلفة والشرق المضطرب يعد من المكاسب المهمة لها آنذاك ، لا بل ان المؤسسة الدينية الايرانية اثرت وبشكل فاعل في تطور الاحداث الداخلية الى الحد الذي ادى الى الاطاحة برأس النظام وتنصيب اخر محله ، وهذا بحد ذاته تجربة ذات مغزى في ظل الاوضاع العامة التي كانت تمر بها ايران ناهيك عن التراكم الكمي للتجربة الثورية ، التي تحول على اثرها العديد من رجال تلك المؤسسة الى زعماء ثوريين كبار في ايران لاحقاً .

ان استمرارية الثورة الدستورية للفترة (١٩٠٥ -١٩١١) كانت دليلاً واضحاً على روح التضحية التي تبنتها المؤسسة الدينية ، الا ان ميزان القوى الرجعية كانت في موقع تستطيع من خلاله القضاء على الثورة ، والتدخل الاجنبي في بداية ومنتصف عمر الثورة وصل الى حد التدخل الواضح في شؤونها الداخلية ، وان الروس والبريطانيين هناك القوا بكامل ثقلهم الى جانب الرجعية الايرانية ، اذ كشفوا بوضوح عن نواياهم الاستعمارية السيئة ، بعد عقد معاهدة التقسيم لعام ١٩٠٧ ، والتفوا حول الثورة واخرجوها من محتواها ، ومما زاد في الطين بله واثر كثيراً على المؤسسة الدينية الايرانية ، قصر نظر قادتها ، فهناك جانب مهم ، وبدوافع ذاتية ، اتجهوا الى جانب الثورة ، وعندما حققوا ما ارادوا انتقلوا الى الخندق المقابل ، فضلاً عن تراجع العديد من رجال المؤسسة الدينية المعروفين بولائهم للثورة ، ومن ثم انقلابهم ضدها ، الامر الذي ساعد في زرع بذرة الخلاف بين

زعماء الحركة الوطنية بما فيهم قادة المؤسسة الدينية نفسها ، التي اعتمدت في الوقت نفسه على الجماهير المدنية نفسها ، التي اعتمدت في الوقت نفسه على الجماهير المدنية التي لم تكن ثابته في نضالاتها باستثناء تبريز،التي كانت متأثرة بالاشعاع الفكري الاوربي .

لا ننسى هنا ايضاً الاثر الواضح الذي ادته العشائر الايرانية في الشمال والجنوب ، واستجابتها السريعة لنداءات قادة المؤسسة الدينية لنصرة الثورة ، الا ان خلافات زعمائها وعدم قدرتهم في التوفيق بين المصالحم الشخصية ومصلحة البلاد العامة شكل نقطة الضعف الاساسية ، التي لم يكن باستطاعة المؤسسة الدينية تجاوزها ، فزعماء البختياريين وقفوا مع الثورة في بدايتها ، وبعد ان حصلوا على الوزارة والمناصب الحكومية انقلبوا ضدها تدريجياً ، وهذا ما اضعف المؤسسة الدينية ، التي لم تتمكن ، من جراء ما ذكرناه ، من التصدي للامتيازات والمؤسسات الاجنبية في ، الامر الذي دفع بريطانيا وروسيا ، الخصمان التقليديان لأيران ، وصاحبا النفوذ فيها بأن لا يترددا من جانبهما لأتخاذ كل ما يلزم في شمال ايران وجنوبها لمساعدة العناصر القاجارية والرجعية ، في حين دفعهما الاقتراب من الحرب العالمية الاولى في ظل التوتر الدولي آنذاك اكثر فاكثر لضرب المؤسسة الدينية ومن ساندهم من الحركة الوطنية الايرانية عن طريق التدخل العسكري المسافر لتضع نهاية حماسمة للثورة الدستورية وقيادة المؤسسة الدينية لها في نهاية عام ١٩١١.

المصادر والمراجع

اولاً :

الوثائق البريطانية المنشورة

وثائق وزارة الخارجية البريطانية

١. ف.و. ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى كراي برقم ١٩٢ /٢٤٨٣٨ طهران في ٢١ تموز ١٩٠٦
٢. ف.و. ٤١٦/٣٣ من رسالة رايس الى كراي برقم ١٤٣ /٢٦٠٣٠ قلهك في ١٠ تموز ١٩٠٧
٣. ف.و. ٤١٦ /٣٣ من رسالة رايس الى كراي برقم ١٨٣ /٢٩٣٩٣ قلهك في ١٥ آب ١٩٠٧
٤. ف.و. ٤١٦ /٣٣ من رسالة رايس الى كراي برقم ١٨٣/ ٢٩٤٩٣ قلهك في ١٥ آب ١٩٠٧
٥. ف.و. ٤١٦ / ٣٤ من رسالة مارليتك السرية الى كراي برقم ٢٤٣ في طهران في ٧ تشرين الثاني ١٩٠٧

ثانياً :

الاطاريح والرسائل الجامعية

١. باسم حمزة عباس ، المؤسسة الدينية ودورها في السياسة الايرانية ١٨٤٨ – ١٩٠٩ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٨

٢. خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦ – ١٩١٩ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١

٣. سميره عبد الرزاق عبد الله العاني ، العلاقات الايرانية – الالمانية منذ اواخر القرن التاسع عشر – ١٩٣٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ .

٤. عبد المناف شكر جاسم النداوي ، العلاقات الايرانية – السوفيتية ١٩١٧ – ١٩٤١ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية ، ١٩٩٠

٥. علي خضير عباس المشايخي ، ايران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨ – ١٨٩٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ .

٦. فوزية صابر محمد ، ايران بين الحرين العالميتين ١٩١٨ – ١٩٣٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٩٨٦ .

٧. فيصل عبد الجبار عبد علي ، التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية الايرانية ١٥٠١ – ١٩٠٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، ١٩٨٨ .

٨. لازم لفتة ذياب المالكي ، ايران في عهد مظفر الدين شاه ١٨٩٦ – ١٩٠٩ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٧ .

ثالثاً : الكتب

أ) باللغة العربية والمعربة :

١. ابراهيم الدسوقي شتا ، الثورة الايرانية الجذور الايديولوجية ، مؤسسة الوطن العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٢. احمد عبد القادر الجمال ، مشكلات الشرق الاوسط ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٣. ادوارد سابيليه ، ايران مستودع البارود ، سلسلة الدراسات المترجمة ، بغداد ، ١٩٨١.

٤. اروندا ابراهيميات ، ايران بين ثورتين ، الجزء الاول ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ، ١٩٨٥.

٥. أسعد محمد زيدان الجواري ، سياسة ايران الخارجية في عهد احمد شاه ١٩٠٩ – ١٩٢٥ ، دار الحكمة للطباعة ، البصرة ، ١٩٩٠ .

٦. امال السبكي ، تاريخ ايران السياسي بين ثورتين ١٩٠٦ – ١٩٧٩ دار المعارف الكويتية ، بلا

٧. انعام مهدي علي السلمان ، حكم الشيخ خزعل في الاحواز ١٨٩٧-١٩٢٥ ، مكتبة دار الكندي ، بغداد ، ١٩٨٥

٨. بديع محمد جمعة ، من قضايا الشعر الفارسي المعاصر في القرن العشرين ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٩. البرفسور ومين ، اسايا المعاصرة – يقظة العملاق ، ترجمة يوسف صبري العمري، ج١ ، مجلد١ ، مصر ، ١٩٦٤ .

١٠. بزهان جازاني ، مدخل الى تاريخ ايران المعاصر ، مركز البحوث والمعلومات ، سلسلة الكتب المترجمة ، بلا .

١١. بهروز فاضلي ، قاموس المعلومات الايرانية أو دائرة المعارف الاجتماعية ، مؤسسة ، فشار ، بلا .

١٢. جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، بلا .

١٣. جورج لنشوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر الخياط ، مطبعة دار الكشاف ، بغداد ، ١٩٦٦.
١٤. حسن الاسدي ، ثورة النجف ضد الانكليز او الشرارة الاولى لثورة العشرين ، بغداد ، ١٩٧٤ .
١٥. حسن شبر ، تاريخ العراق السياسي المعاصر ، ج٢ ، ط١ ، دار المنتدى للنشر ،بيروت ، ١٩٩٠ .
١٦. دونالدولبر ، ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
١٧. روز لويس كريفس ، المعاهدة الانكليزية – الروسية وبعض وجوهها ومدى تأثيرها على فارس ، ترجمة محمد وصفي ابو مغلي ، البصرة ، ١٩٨١ .
١٨. ريتشارد كوتام ، القومية في ايران ، ترجمة محمد فاضل الخفاجي ، بغداد ، ١٩٧٨.
١٩. زكي الصراف ، المقالة الصحفية في الادب الفارسي المعاصر ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٨.
٢٠. ز.ي هرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني ، بيروت ، ١٩٧٣ .
٢١. سليم الحسني ، دور علماء الشيعة في العراق في مواجهة الاستعمار ، ط١ ، قم ، ١٩٩٤.
٢٢. سليم واكيم ، ايران والعرب – العلاقات العربية عبر التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٧
٢٣. طلال مجذوب ، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ١٩٠٦-١٩٧٩ ، دار الرشد للطباعة والنشر ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٠ .
٢٤. عبد الرحيم محمد علي ، المصلح المجاهد محمد كاظم الخراساني ، ط١ ، النجف ،١٩٧٢ .
٢٥. عبد الرزاق الحسني ، البابيون والبهائيون ، ط٥ ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨٤ .

٢٦. عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ، ج٢ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ .

٢٧. عبد القادر المغربي ، جمال الدين الافغاني ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٢٨. عبد الله النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، بيروت ، ١٩٦٦ .

٢٩. العقيقي البخشايشي ، كفاح علماء الاسلام في القرن العشرين ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

٣٠. علي الخاقاني ، شعراء الغري ، ج١ ، النجف ، ١٩٥٦

٣١. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٣ ، بغداد ، ١٩٧٢ .

٣٢. فاضل الملا محمود ، من تاريخ الحركة الثورية في ايران ، معهد الانماء العربي، لبنان ، ١٩٧٩.

٣٣. فوزي خلف شويل، ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٥.

٣٤. ف.و.فرنو، يقظة العالم الاسلامي، ترجمة بهيج شعبان، ج٢، مطابع الوفاء، بيروت، بلا.

٣٥. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، منشورات اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٥.

٣٦. ـــــ من تاريخ الحروب الايرانية- الروسية، مركز البحوث والمعلومات، بغداد، ١٩٨٤.

٣٧. محب الدين الخطيب، دراسات عن البابية والبهائية، المكتب الاسلامي، مطبعة شعاركو، عين الرمانة، ١٣٩١.

٣٨. محسن الكاظمي ، احسن الوديعة في تراجم علماء الشيعة، بغداد، ١٩٥٨.

٣٩. محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء، ج١، النجف، ١٩٦٤.

٤٠. محمد رضا السماك، الاخوند الخراساني – شمس في منتصف الليل، ترجمة كمال السيد، ط١، مؤسسة انصاريان للنشر، قم، ١٩٩٥.
٤١. محمد زرندي، مطالع الانوار، مصر، ١٩٤٠.
٤٢. محمد سعيد عبد المجيد، مذاهب وشخصيات- نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغاني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، بلا.
٤٣. محمد علي كمال الدين، التطور الفكر في العراق، بغداد، ١٩٦٠.
٤٤. محمد علي محمد الطبسي، ذكرى شيخنا الانصاري بعد قرن(١٢١٤-١٢١٩هـ)، النجف، ١٣١٨.
٤٥. محمد كامل محمد عبد الرحمن، سياسة ايران الخارجية في عهد رضا شاه ١٩٢١-١٩٤١، مركز الدراسات الايرانية، البصرة، ١٩٨٨.
٤٦. محمد وصفي ابو مغلي، الاحزاب والتجمعات السياسية في ايران ١٩٠٥-١٩٨١،ط٢، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، سلسلة رقم (١) ، بغداد ،١٩٨٣.
٤٧. مصطفى عقيل، سياسة ايران في الخليج العربي في عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦)، قطر ، ١٩٨٧.
٤٨. مهدي بزركان، الحد الفاصل بين الدين والسياسة، ترجمة فاضل رسول ، بيروت، ١٩٧٩.
٤٩. مرزا لطف الله خان، جمال الدين الاسدأبادي المعروف بالافغاني، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣.
٥٠. ناصر ملكي، اسرار وعوامل سقوط ايران او الملائية، مركز البحوث والمعلومات ، سلسلة الكتب المترجمة، العدد(١٢)، بغداد، ١٩٨٥.
٥١. نيكي ار كيدي وأرك هوكلند، الثورة الايرانية والجمهورية الاسلامية، ترجمة علي حسين فياض، مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٤.
٥٢. نيفين عبد المنعم مسعد، صنع القرار في ايران والعلاقات العربية الايرانية، مركز دراسات الوحدة العربية،ط١،بيروت، ٢٠٠١.

٥٣. هاني عبد الوهاب المرعشلي، التجديد في الفكر الاسلامي – جمال الدين الافغاني وقضايا المجتمع الاسلامي، دار المعرفة الاسلامية، الاسكندرية، بلا.

٥٤. وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠- الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية في العراق)، مركز دراسات الوحدة العربية،ط١، بيروت، ١٩٨٤.

٥٥. يرفاند ابراهيميان، ايران بين ثورتين، ترجمة مديرية التطوير القتالي، ١٩٨٦.

ب) باللغة الفارسية:

١) ابراهيم تيموري، عصر بيخبري يا تاريخ امتيازات در ايران، تهران، ١٣٣٢.

٢) ابراهيم صفائي، رهبران مشروطه، انتشارات جاويدان، تهران، ١٣٦٤.

٣) ابراهيم فخرائي، كيلان در جنبش مشروطيت، جاب سوم، انتشارات اسلامي، تهران، ١٣٧١.

٤) ابو القاسم طاهري، تاريخ روابط بازركاني وسياسي ايران وانكليس، جلد دوم، بلا، ١٣٥٤.

٥) احمد بشيري، كتاب آبي كزار شهاى محرمانة وزارت امور خارجه انكليس در بارة انقلاب مشروطه ايران، جلد اول، تهران، ١٣٦٣.

٦) ـــــ كتاب آبي كزار شهاى محرمانه وزارت امور خارجة انكليس در باره انقلاب مشروطه ايران، جلد سوم، تهران، ١٣٦٣.

٧) احمد تفرشي، روزنامه اخبار مشروطيت وانقلاب ايران، انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٥١.

٨) احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، جلد دوم، جاب سوم تهران، ١٣٣٠.

٩) ـــــ تاريخ مشروطه ايران، جلد اول، جاب جهارم، تهران، ١٣٨٠.

١٠) ـــــ هيجده ساله اذربيجان، جلد اول، انتشارات امير كبير، تهران، ١٩٧٨.

١١) ـــــ تاريخ هيجده ساله اذربيجان، جلد دوم، تهران، ١٩٩٨.

١٢) اسماعيل امير خيزي، اذربيجان وستار خان، انتشارات تهران، ١٩٦٠.

١٣) اسماعيل رائين، انجمنهاى سرى در انقلاب مشروطيت، تهران، ١٣٦٢.

١٤) ـــــ حيدر خان عمو اوغلي، جاب سوم، انتشارات جاويدان، تهران، ١٣٥٢.

١٥) ايرج افشار، اوراق تازه ياب مشروطيت مربوط به سالهاى ١٣٥٩- ١٣٣٠ قمري، جاب اول، انتشارات جاويدان، تهران، ١٣٥٩.

١٧) ايرج رودكر كيادارا، محال ثلاث (تنكابن، كلارستاق كجور) در نهضت مشروطيت، انتشارات كيان ، تهران، ١٣٨١.

١٨) بزرك الطهراني، المرزا الشيرازي، انتشارات وزارت ارشاد اسلامي، تهران، ١٣٤٣.
١٩) بيتر اوري، تاريخ معاصر ايران از تأسيس تا انقراض سلسلة قاجارية، ترجمة محمد رفيعي مهر أبادي، مؤسسة انتشارات عطايى ، جاب سوم، تهران، ١٣٧٣.
٢٠، جانيت افارى، انجمنهاى نيمه سرى زنان در نهضت مشروطه، ترجمة جواد يوسيفيان، جاب اول، تهران، ١٣٧٧.
٢١) ـــــ انقلاب مشروطه ايران ١٩٠٦-١٩١١، ترجمة رضا رضائي، جاب اول، انتشارات بيتسون، تهران، ١٩٧٨.
٢٣) جلال الدين مدني، تاريخ سياسي معاصر ايران، جلد اول، تهران ، بلا.

٢٤) جميل قوزانلو ، تاريخ نظام ايران ، جلد دوم ، تهران ، ١٩١٠
٢٥) جهانكير قائم مقامي ، تاريخ نو شامل حوادث دورة قاجارية از سال ١٢٤٠ تا ١٢٦٧ ، تهران ١٣٢٧ .
٢٦) ـــــ تاريخ تحولات سياسي نظام ايران ازاغاز قرن يا زدهم هجري تاسال ١٣٠١ هجري شمسي ، تهران ، ١٣٢٦ .
٢٧) ـــــ نهضت ازاد يخواهي مردم فارس در انقلاب مشروطيت ١٣٢٣ هـ - ١٣٢٤ هـ (براساس اسناد رسمي) ، انتشارات مركز ايراني تحقيقات تاريخي ، تهران ، ١٣٥٩ .
٢٨) ـــــ اسناد تاريخي وقايع مشروطه ايران ، جاب اول ، تهران ، ١٣٤٨ .
٢٩) حامد الكار ، نقش روحانيت بيشرو در جنبش مشروطيت ، ترجمة ابو القاسم سرى ، جاب دوم ، انتشارات توس ، تهران ١٣٥٩ .
٣٠) حسن اعظام قدسي ، كتاب خاطرات من يا روشن شدن تاريخ صدساله ، جلد اول ، انتشارات حيدري ، تهران ، ١٣٤٢ .
٣١) حسن الاصفهاني كربلائي ، تاريخ دخانية يا تاريخ وقايع تحريم تنباكو ، جاب اول ، انتشارات دفتر نشر الهادي ، تهران ، ١٣٧٧ .
٣٢) حسن بيرينا ، مختصر تاريخ ايران تا انقراض ساساتيان ، جاب اول ، انتشارات نامك ، تهران ، ١٣٨٥.
٣٣) حسن علاج ، تاريخ تحولات سياسي ايران ، تهران ، ١٣٣٥ .

٣٤) حسن مرسلوند ، حاج شيخ هادي نجم أبادي ومشروطيت ، انتشارات وزارت فرهنك وارشاد اسلامي ، تهران ، ١٣٧٨.

٣٥) حسن نظام الدين زادة ، هجوم روس واقدامات رؤساى دين براي حفظ ايران ، جاب اول ، تهران ، ١٣٧٧ .

٣٦) خان ملك ساساني ، دست بنهان سياست انكليس در ايران ، انتشارات بابك ، تهران ، ١٣٦٢ .

٣٧) ـــــ سياستكران دوره قاجار ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٣٨ .

٣٨) رحيم رضا زاده تكت ، انقلاب مشروطه ايران به روايت اسناد وزرات خارجة انكليس ، انتشارات معين ، تهران ، ١٣٧٧.

٣٩) رحيم نيكبخت ميركوهي ، نقش روحانيت در تحولات سياسي واجتماعي اذربيجان – في كتاب نهضت مشروطيت ايران ، جلد اول ، جاب اول انتشارات مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران ، تهران ، ١٣٧٨ .

٤٠) رضا قلي خان هدايت ، روضة الصفاي ناصري ، جلد اول ، تهران ، ١٣٠٤ .

٤١) زهراء شجيعي ، نمايندكان مجلس شوراى ملي در بيست ويك ، ١٩٨٥ .

٤٢) سعيد زاهد ، تحليل ديكر از انقلاب مشروطيت ايران – في كتاب نهضت مشروطيت ايران ، جلد اول ، جاب اول ، مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران ، تهران ، ١٣٧٨ .

٤٣) سليم الحسني ، نقش علماى شيعة در رويا روبي با استعمار ١٩٠٠-١٩٢٠ ، ترجمة محمد با هر صفا الدين تبرائيان ، مؤسسة مطالعت تاريخ معاصر ايران ، تهران ، ١٣٧٨ .

٤٤) سهراب يزداني ، كسروي وتاريخ مشروطه ايران ، جاب اول ، انتشارات ني ، تهران ، ١٣٧٦ .

٤٥) صمد سردارى نيا ، نقش مركز غيبي تبريز در انقلاب مشروطيت ، انتشارات تلاش ، تهران ، ١٣٦٣.

٤٦) عباس اسكندري ، تاريخ مفصل مشروطيت ايران يا كتاب ارزو ، جاب اول ، تهران ، ١٣٢٢ .

٤٧) عباس اقبال ، تاريخ ايران از بس اسلام ، انتشارات نامك ، تهران ، ١٣٧٥ .

٤٨) ـــــ ميرزاي تقي خان امير كبير ، تهران ، ١٣٤٠ .
٤٩) عبد الحسين علوي ، رجال عصر مشروطيت ، انتشارات اساطير ، تهران ، ١٩٨٤
٥٠) عبد الحسين مجيد كفائي ، مركري در نور (زندكاني اخوند خاساني) ، انتشارات زوار ، تهران ، ١٣٥٩.
٥١) عبد الكريم مشايخي ، جنبش مشروطيت در بوشهر في كتاب نهضت مشروطيت ايران ، جاب اول ، جلد اول ، انتشارات مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران ، تهران ، ١٣٧٨
٥٢) عبد الله رازي ، تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسلة مادتا عصر حاضر ، جاب اول ، انتشارات اقبال ، تهران ، ١٣٣٥ .
٥٣) عبد الله مستوفي ، تاريخ اداري واجتماعي دورة قاجار يا شرح زندكاني مان ، جلد اول ، انتشارات اقبال ، تهران ، ١٣٢١ .
٥٤) عبد الهادي حائري ، تشيع ومشروطيت در ايران ونقش ايرانيات مقيم عراق ، انتشارات امير كبير ، تهران ، ١٣٨١ .
٥٥) ـــــ علي اصغر شميم ، ازنادرتاكودتاي رضا خان مبرنج ، جاب سوم ، انتشارات مدير ، تهران ، ١٣٧٥ .
٥٦) ـــــ ايران در دورة سلطنة قاجار ، قرن سيزدهم ونيمة اول جهاردهم هجري ، جاب دوم ، انتشارات زريابا ، تهران ، ١٣٧٩ .
٥٧) علي اكبر تشكري ، ازورودانديشه نوين تاكودتاي سيد ضياء الدين طبأطبائي (١٢٩٩-١٢٨٥ هـ) ، انتشارات مركز صفاى ، تهران ، ١٣٧٧ .
٥٨) علي اكبر ولايتي ، تاريخ روابط خارجي ايران در دورة اول مشروطه ، جاب دوم ، تهران ، ١٣٧٤ .
٥٩) علي غروي نوري ، حزب دموكراسي ايران در دورة دوم مجلس شورى ملي ، انتشارات فردوسي ، تهران ، ١٩٧٣.
٦٠) غلام حسين زركرى ، منابع انديشة سياسي در تاريخ ايران رسائل مشروطيت ، انتشارات كوير ، تهران ، ١٣٧٣ .

٦١) فتوت نصيرى سوادكوهي ، سير قضائي محاكمة آيت الله حاج شيخ فضل الله نوري ، تهران ، ١٣٧٨ .
٦٢) فريدون آدمين ، امير كبير وايران ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٣٤ .
٦٣) ـــــ أيديولوجي نهضت مشروطيت ايران ، جلد اول ، انتشارات بيام ، تهران ، ١٣٥٤.
٦٤) ـــــ فكر دموكراسي اجتماعي در نهضت مشروطيت ايران ، انتشارات بيام ، تهران، ١٩٨٤.
٦٥) كريم طاهر بهزاد، اذربيجان در انقلاب مشروطيت ايران، تهران،.١٣٣٢
٦٦) كشف تلبس در روئى اسناد محرمانه انكليس در باب ايران، سلسلة انتشارات ادارة كاوه شماره (٣)، برلين، .١٣٣٦
٦٧) لقمان دهقان نيرى، انجمن ملي مقدس اصفهان وكود تاي محمد علي شاه- في كتاب نهضت مشروطيت ايران، جلد اول، جاب اول ، مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران ،تهران، .١٣٧٨
٦٨) محسن بهشتي سرشت، نقش علما در سياست از مشروطه تا انقراض قاجار ،انتشارات مكاونت، تهران،.١٣٨٠
٦٩) محمد اسماعيل رضواني، انقلاب مشروطيت ايران، تهران ، بلا.
٧٠) محمد تقي سبهر (لسان الملك)، ناسخ التواريخ، جلد اول، تهران ، بلا.
٧١) محمد جعفر جعفري لنكرودى، ترمينولوجي، حقوق، جلد بنجم، انتشارات كنج دانش، تهران، .١٣٧٠
٧٢) محمد جواد مشكور، تاريخ ايران زميت از روز كار ياستان تا عصر حاضر ، تهران، ١٣٥٣.
٧٣) محمد حسن اديب هروي، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران، مشهد، .١٣٣١
٧٤) محمد حسن اعتماد السلطنة، كتاب منتظم ناصري ياتاريخ قاجارية، جلد سوم، تهران، ١٣٤٠.
٧٥) محمد حسن رجبي، رسايل وفتاوى جهادى، جاب اول، انتشارات وزارت فرهنك وارشاد اسلامي، تهران، .١٣٧٨

٧٦) محمد علي سفري، مشروطه سازمان، جاب اول، انتشارات علم، تهران، ١٣٧٠.

٧٧) محمد مهدي شريف كاشاني، واقعات اتفاقية در روزكار، جلد اول انتشارات تاريخ معاصر ايران، تهران، ١٣٦٣.

٧٨) مسعود كوثري، اسيب شناسي فرهنك ايران در دورة قاجار، مركز شناسي اسلام وايران، تهران، ١٣٧٩.

٧٩) محمود افشار يزدى، سياست اوربا در ايران، ترجمة سيد ضياء الدين ديسيري، تهران، ١٣٥٨.

٨٠) محمود علي همايوني كاتوزيان، تضاد دولت وملت- نظرية تاريخ وسياست در ايران، ترجمة علي رضا طيب، انتشارات ني، تهران، ١٣٨٠.

٨١) محمود محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ميلادي، جلد جهارم، تهران، ١٣٣٦.

٨٢) ـــــ تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ميلادي، جلد هشتم، تهران، ١٣٣٦.

٨٣) منصوره اتحاديه، بيدايش وتحول احزاب سياسي مشروطيت(دورة اول ودوم مجلس شوراى ملي) ، انتشارات كستره، تهران، ١٩٨٢.

٨٤) مهدي انصاري، شيخ فضل الله نوري، ومشروطيت(رويارويى)، جاب سوم، انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٧٨.

٨٥) مهدي مجتهدي، رجال اذربيجان در عصر مشروطيت، جاب اول، انتشارات زرين، تهران، بلا.

٨٦) مهدي ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد اول، تهران، ١٣٣٨.

٨٧) ـــــ تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد دوم، تهران، ١٣٢٩.

٨٨) ـــــ تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد سوم، تهران، ١٣٣٠.

٨٩) ـــــ تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد جهارم، تهران، ١٣٧٣.

٩٠) ـــــ تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد بنجم، تهران، ١٣٥٨.

٩١) ـــــ تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد ششتم ، تهران، ١٣٣٢.

٩٢) ـــــ تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد هفتم ، تهران، بلا.

٩٣) مورغان شوستر، اختناق ايران، ترجمة ابو الحسن موسوي شوشتري، مؤسسة مطبوعات صفي شاه، تهران، بلا.
٩٤) موسى نجفي، انديشة تحريم سياسي ايران، جاب اول، انتشارات استان قدس ، تهران، ١٣٧١.
٩٥) ـــــ تعامل ديانت وسياست در ايران، جاب دوم، انتشارات مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران، تهران، ١٣٧٨.
٩٦) ناظم الاسلام كرماني، تاريخ بيدارى ايرانيان، جلد اول ، جاب دوم، انتشارات بيكان، تهران، ١٣٢٤.
٩٧) ـــــ تاريخ بيدارى ايرانيان، جلد اول، جاب بنجم، تهران، ١٣٧٦.
٩٨) نور الله دانشور، تاريخ مشروطه ايران جنبش وطن برستان اصفهان وبختيارى، تهران، ١٣٣٥.
٩٩) هاشم محيط مافي، مقدمات مشروطيت تهران، انتشارات علمي، تهران، ١٩٨٤.
١٠٠) يحيى دولت ابادى، تاريخ معاصر يا حيات يحيى، تهران، ١٣٢٨.
١٠١) يعقوب احند، قيام تنباكو، انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٦٧.
١٠٢) يونس مرواريد، از مشروطه تا جمهورى، جلد اول ، جاب اول، تهران، ١٣٧٧.

ج) باللغة الانكليزية:

1. **Algar.H.,Religion and state in Iran 1785-1906, California, 1969.**
2. **Asghar Fathi, Preachers as Subtit use for Mass media: The case of Iran 1905-1909- in Bok towards a modern Iran studies in the tought Politcs and Society, Edited by Elie Kedorie and Sylvia G. Haim, London,1980.**
3. **Brown.E., The Persian Revolution of 1905-1909, London, 1966.**
4. **__________ Aliterary History, vol, 2, Cambridge, 1924.**
5. **Churchill.R.P.,The Anglo-Russian Convention of 1907, New York, 1939.**
6. **Cottam.R.W. Nationalism in Iran, London, 1964.**
7. **Curzon.G.N., Persia and the Persian Question, Vol, 1, second Impression, London, 1966.**
8. **Fram.J., Phaimin Persia the Moslim world, Vol, Iv, 1914.**
9. **Huremitz.J.C. , Diplomacy in the Near and Middile East, A Documentry Record 1535-1914, vol, 1, Newyork, 1972.**
10. **Keddi.N.R.,Revolution and Rebllion in Iran the tobacco potest of 1891-1892, London, 1966.**
11. **Lazzerini.E.J., Syyid Jamal ad- Din- al- Fgani from the Perspective of a Russian Muslim –in Bok towards a**

Modern Iran studies in the tought politcs and society, edited by Elie Kejorie and Sylvia G. Haim, London,1980.

12. **Lederd.V.J., Russian Foreign Policy Essys in Historical perspective, London, 1962.**
13. **Mongol Bayat- Phillpp, Mirza Aqa Khan Kirmani Anineteenth century Persian Nationalist- in Bok towards a Modern Iran Studies in the tought politics and society, Edited by Elie Kedorie and Sylvia G. Haim, London, 1980.**
14. **Robert A.Mcdaniel, the Shuster mission and the persia constitutional, U.S.A, 1974.**
15. **Shuster. W.M., the Strangling of persia story of the European Diplomacy and orient Irigue that resulted in the denationalization of twelve million Mohammedans a Persian Narrateve, New york, 1920.**
16. **Sykes .p.,A history of Persia, Oxford at the Clarendon, London, 1922.**
17. **____________ Thos and Miles in Persia, vol, 2, London,1902.**

رابعاً: البحوث والدراسات

أ) باللغة العربية:

١) ابراهيم خليل احمد، المؤسسة الدينية الفارسية ودورها السياسي في تاريخ ايران الحديث ، ((جامعة الموصل)) ، (مجلة) ، العدد ٩ و ١٠ ، السنة الثانية عشر، ١٩٨٢.

٢) خضير مظلوم فرحان البديري، اذربيجان الايرانية في السياسة الروسية ١٩٠٩-١٩١٤، ((دراسات في التاريخ والاثار)) (مجلة) ، جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق، بغداد، العدد التاسع ،٢٠٠٢.

٣) ـــــ ازمة امتياز التبغ والتنباك في ايران ١٨٩٠-١٨٩٢، ((دراسات في التاريخ والاثار)) (مجلة)، جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق، بغداد، السنة الحادية والعشرين ، العدد الثامن، ٢٠٠٢.

٤) طاهر خلف البكاء، بعض من ملامح الثورة الدستورية من منظور المصادر العربية ((كلية المعلمين)) (مجلة) ، الجامعة المستنصرية، العدد الخامس، السنة الثانية، ١٩٩٦.

٥) كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني – من تاريخ تأسيس الاسرة البهلوية والخيوط الاولى لسياسة الاستعمار الجديد في الشرق الاوسط ((افاق عربية)) (مجلة) ، العدد الثالث، السنة الثامنة، بغداد، ١٩٨٢.

٦) يوسف هادي ، منهج التحريض السياسي عند الافغاني- دراسة لدوره في اغتيال ناصر الدين شاه، بحث منشور على الانترنت، ٢٠٠٤.

ب) باللغة الفارسية:

١)محمد علي أكبري، ظهور موفقيت بحراني در حكومت مشروطه (١٢٨٨-١٢٩٩ش)، مجلة تخصص كروه تاريخ، دانشكاه تهران، دانشكده ادبيات وعلوم انساني، شماره يكم، سال دوم، ١٣٨٠ هـ.ق.

خامساً:

الدوريات والصحف

العربية:

((الهلال)) ، (مجلة)، القاهرة، ١٩٠٩، ١٩١٢.

((العرفان)) ، (مجلة)، صيدا، ١٩٠٩.

الفارسية

((حبل المتين)) (صحيفة)، طهران، ١٩٠٦، ١٩٠٧.

((صور اسرافيل)) ، (صحيفة) ، طهران،١٩٠٧.

سادساً:

دائرة المعارف

“The New Encyclipedia Britannia” ,vol, 21, U.S.A., 1985.

Abstract

The Constitutional Revolution In Iran (1905 –1911) is a significant historical event whose influence has gone farther than the scope of Iran to the degree that it was regarded as the genuine starting point which marked the end of the Qajari regime of Iran , in addition to being a helping factor in the following revolutions which broke out in the neibouring countries which were suffering from opressive regimes . It is noteworthy that the role of religious institution in this revolution has bestowed it with a special feature which made it the principal dynamo for each and every political event on the Iranian scene . This religious feature has distinguished the revolution and made it cope to a great extent with the new Iranian liberal ideas and orientations , therefore , the Iranian Constitutional Revolution is but a landmark in the modern history of Iran , whether in its revolutionary style or in its results. Simultaneously,the significance and influence of the religious institution can not be separated in its leadership from following a pateriotic policy which has so long opposed intensively the deserted styles used by the Qajari regime . In this regard , it has achieved a number of victories which played a great role in restraining that regime and restricted its influence ,especially in handling Iranian internal affairs . Thus ,the council and the constitution imposed by the relligious institution together with the Iranian Pateriotic Movement was regarded one of the important gains at that time .

Not only this , but also the religious institution has greately affected the development of internal events to the extent that over threw the head of the regime and instslled another.

The constitution of the Constitutional Revolution (1905 – 1911) is a clear sign of the spirit of sacrifice adopted by the religious institution . Yet , the balance of power was not stable between the sides : the revolution and the enemies ; for the reactionary side was in a position through which it can destroy the revolution .

Besides , the foreign interference in the beginning and the mid revolution reached to the extent of internal affairs . As for Russian and the British there , they supported the reactionary side , where they revealed their evil imperial intentions after the Partition Treaty of 1907. What is worse is the shortsightedness of some of the leaders of the revolution who changed their stance towards the revolution after they had gained what they aspired to . This helped in finding the seeds of disagreement among the leaders of the Pateriotic Movement , including the leaders of the religious institution .

Needless to say in this regard the clear cut impact of Iranian Tribes in both the north and south in their quick response to the appeals of the leaders of the religious institution to support the revolution . But the disputes of the tribal leaders and their inability to reconciliate their personal interests with the intrests of the country , all that played a role in weakening their stance ; apoint even the leaders religious institution could not overcome.

As an example , the Bakhtiari leaders supported the revolution in its early stages , then they changed their attitude after they had gained government posts . This in turn , weakened the religious institution which , as a result , could not stand firmly against foreign privilege in Iran though the country had witnessed in the early 1910 active movements to ban foreign goods . As a consequence to that , the two traditional opponents to Iran ; that is , British and Russia were not hesitant to take whatever steps necessary to support Qajari and reactionary forces . Finally , being close to the First World War and in the mid of international tension prevalent at that time , these two powers were more and more determinant to hit the religious institution and its supporters via military interference to put an end to the Constitutional Revolution at the end of 1911.